

طبعة مزودة منقحة

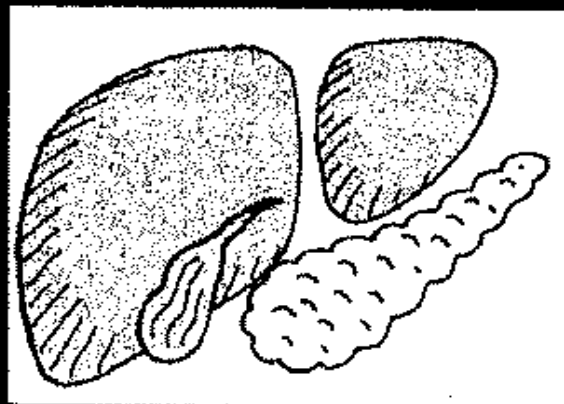
دار
النشروك



المكتبة
الطبية

د. ابوشادي الروي

الكبد المرارة - البنكرياس



أمراضها
علاجها
الوقاية منها

الكبد
المَرَارة - البَنكرياس
أمراضها - علاجها - الوقاية منها

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية
(مزيدة منقحة)
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع سواد حسن - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تليكس : SHROK LH 93001
بيروت ص ب . ٨٠٦٤ - هاتف : ٧١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس . ٨١٧٥٥٥ - تليكس SHROK 30175 LB

أ.د. أبو شادي الروبي

الكبد

المرارة - البنكرياس
أمراضها - علاجها - الوقاية منها

دار الشروق

شكر واجب

أود أن أشكر الصديق العزيز الدكتور محمود على مكى ،
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، على أبيات من الشعر « لابن
الدمينة » لَقَّت نظرى إليها . وأشكر أيضًا زميلي الدكتور زكريا
سلامة على صور الفحص التصويرى التى أتاحتها لى . أما شركة
« سيبا » للأدوية فقد سمحت لى بنشر الصور الملونة التى أبدعها
طبيبهم الفنان « نثر » ، فلهم شكرى وتقديرى .

هذا الكتاب ما كان ليصدر فى شكله النهائى إلا برعاية
الصديق العزيز الأستاذ محمد المعلم ، وبالإشراف الدقيق والمتابعة
المستمرة لزميل الكفاح الأستاذ أحمد الزياى . فلها ، ولكل أسرة
« دار الشروق » ، تقديرى وامتنانى .

أ. د. أبو شادى الروبى

المحتويات

الباب الأول : الكبد

١٥	مقدمة : الكبد في التاريخ
٢٤	١ - بناء الكبد
٣١	٢ - وظائف الكبد :
٣١	(أ) الكربوهيدرات
٣٢	(ب) البروتينات
٣٣	(ج) الدهون
٣٤	(د) الصفراء
٣٨	٣ - وسائل الفحص :
٣٨	(أ) الفحص الإكلينيكي
٤٢	(ب) الفحص التصويري
٤٣	أولا : الفحص بالموجات فوق الصوتية
٤٦	ثانيا : التصوير بأشعة الكمبيوتر المقطعية
٤٨	ثالثا : التصوير بالرنين المغناطيسي
٤٨	رابعا : المسح بالنظائر المشعة
٥٠	خامسا : التصوير الإشعاعي
٥٠	سادسا : الأصباغ أو المواد المعتمدة
٥٠	سابعا : الفحص الإشعاعي التدخلي

٥١	(جـ) الفحص المنظاري
٥١	أولا : منظار الجزء العلوى من القناة الهضمية
٥١	ثانيا : منظار تلوين القنوات المرارية وقناة البنكرياس
٥٢	ثالثا : منظار تجويف البطن البريتونى
٥٣	(د) الفحص المعمل
٥٣	أولا : تحاليل وظائف الكبد
٥٥	ثانيا : تحاليل كيميائية أخرى
٥٦	ثالثا : تحاليل مناعية
٥٦	رابعا : صورة الدم وتحليله
٥٨	خامسا : تحاليل ميكروبيولوجية
٦٠	(هـ) الفحص الباثولوجى وعينة الكبد
٦٠	أولا : دواعى الفحص
٦٢	ثانيا : محاذير الفحص
٦٢	ثالثا : أخذ العينة
٦٣	رابعا : بعد العينة
٦٤	خامسا : الفحص الباثولوجى
٦٦	٤ - التهاب الكبد الفيروسى
٦٦	أولا : مقدمة عن الفيروسات
٦٧	ثانيا : فيروسات التهابات الكبد
٧٠	ثالثا : الأعراض والعلامات
٧١	رابعا : الفحص والتشخيص
٧٢	خامسا : العلاج
٧٣	سادسا : ملاحظات خاصة عن أنواع الالتهاب الكبدى الفيروسى :
٧٣	(١) الالتهاب الكبدى أ

٧٤	(٢) الالتهاب الكبدي ب
٧٩	(٣) الالتهاب الكبدي د (دلتا)
٨٠	(٤) الالتهاب الكبدي ج
٨٠	(٥) الالتهاب الكبدي هـ
٨١	٥ - الالتهاب الكبدي المزمن
٨١	(أ) نوعاه : المثابر والنشيط
٨٢	(ب) التهاب الكبد المزمن المثابر
٨٢	(جـ) التهاب الكبد المزمن النشيط
٨٩	٦ - بلهارسيا الكبد
٨٩	(أ) دودة البلهارسيا ودورة حياتها
٩٠	(ب) الأعراض والعلامات
٩٣	(جـ) الفحوص الخاصة
٩٦	(د) العلاج
٩٩	٧ - تليف الكبد
٩٩	أولا : تليف الكبد : صفاته ونشأته وتصنيفه
١٠٠	ثانيا : أسباب تليف الكبد وأنواعه
١٠١	ثالثا : الأعراض والعلامات
١٠٢	رابعا : الفحوص الخاصة
١٠٤	خامسا : مضاعفات تليف الكبد في الأجهزة الأخرى
١٠٥	سادسا : العلاج
١٠٥	(أ) الغذاء
١٠٦	(ب) الأدوية
١٠٦	(جـ) علاج أسباب التليف
١٠٧	(د) الجراحة

- سابعاً : أنواع خاصة من تليف الكبد ١٠٧
- (أ) تليف الكبد الكحولي ١٠٧
- (ب) تليف الكبد الصفراوي (المراري) الأولي ١٠٩
- (جـ) تليف الكبد من تراكم الحديد ١١١
- (د) تليف الكبد من تراكم النحاس (مرض ولسون) ١١٢
- ٨- ارتفاع الضغط البابى ، ونزف دوللى المرىء ١١٤
- أولاً : الوريد البابى ١١٤
- ثانياً : وسائل الفحص ١١٦
- (أ) الفحص الإكلينيكى ١١٦
- (ب) الفحص التصويرى ١١٦
- (جـ) الفحص المنظارى ١١٧
- (د) الفحص الديناميكي ١١٧
- ثالثاً : أسباب الضغط البابى وأنواعه ١١٨
- (أ) أسباب الضغط البابى قبل الكبد ١١٨
- (ب) أسباب الضغط البابى فى الكبد ذاته ١١٩
- (جـ) أسباب الضغط البابى بعد الكبد ١١٩
- رابعاً : دوللى المرىء والمعدة ١٢٠
- (أ) خطرها ١٢٠
- (ب) علاجها ١٢١
- ٩- فشل الكبد والغيبوية الكبدية ١٢٦
- (أ) الأعراض والعلامات ١٢٦
- (ب) العلاج ١٢٩
- ١٠- الاستسقاء ١٣٢
- أولاً : الأسباب ١٣٢

- ثانيا : الأعراض والعلامات ١٣٤
- ثالثا : وسائل الفحص والتشخيص التفريقي ١٣٦
- (أ) فحص البطن بالموجات فوق الصوتية ١٣٦
- (ب) بزل البطن لفحص عينة من سائل الاستسقاء ١٣٦
- رابعا : العلاج ١٣٩
- (أ) الغذاء ١٣٩
- (ب) الأدوية المدرة للبول ١٤٠
- (جـ) بزل البطن ١٤١
- (د) الاستسقاء العنيد ١٤٢
- ١١ - أورام الكبد ١٤٤
- (أ) سرطان الكبد الأولي ١٤٤
- (ب) سرطان القنوات المرارية ١٤٧
- (جـ) أورام الكبد الثانوية ١٤٧
- (د) ورم الأوعية الدموية ١٤٨
- ١٢ - طفيليات الكبد . خراج الكبد . أكياس الكبد ١٥٠
- (أ) الأميبا ١٥٠
- (ب) الملاريا ١٥٢
- (جـ) اللشمانيا ١٥٣
- (د) البلهارسيا ١٥٣
- (هـ) الفاشيولا ١٥٣
- (و) الهيداتييد ١٥٤
- ١٣ - الكبد والآثار الجانبية للأدوية ١٥٧
- (أ) تعامل الكبد مع الأدوية ١٥٧
- (ب) مناطق الكبد المعرضة للآثار الجانبية للأدوية ١٥٨

١٦٤	١٤ - الكبد في مراحل معينة وفي ظروف خاصة
١٦٤	(١) في الطفولة
١٦٤	(أ) يرقان الوليد
١٦٦	(ب) تليف الكبد في الأطفال
١٦٦	(٢) في الشيخوخة
١٦٧	(٣) في الحمل : يرقان الحمل وأسبابه
	(٤) في أمراض سوء التغذية : تشحم الكبد (الكبد الدهنى)
١٦٩	وأسبابه
١٧٣	١٥ - زرع الكبد
١٧٣	(أ) نقل الأنسجة والأعضاء
١٧٤	(ب) اختيار المرضى المرشحين للزرع
١٧٦	(ج) إعداد المريض للزرع
١٧٦	(د) المانع
١٧٧	(هـ) عملية الزرع
١٧٧	(و) كبت المناعة
١٧٨	(ز) ما بعد العملية

الباب الثانى : المرارة والجهاز المرارى

١٨١	١ - الحصيات الصفراوية (المرارية)
١٨١	(أ) أنواعها
١٨٢	(ب) وبائيات وإحصائيات الحصيات المرارية
١٨٣	(ج) التاريخ الطبيعى للحصيات المرارية
١٨٤	(د) تشخيص الحصيات المرارية

- ١٨٥ (هـ) علاج الحصيات المرارية
- ١٨٩ ٢ - التهابات المرارة والقنوات المرارية
- ١٨٩ (أ) التهاب المرارة الحاد
- ١٩١ (ب) التهاب المرارة المزمن
- ١٩٢ (جـ) التهاب القنوات المرارية
- ١٩٤ ٣ - أورام المرارة والقنوات المرارية
- ١٩٤ (أ) سرطان المرارة
- ١٩٥ (ب) سرطان القنوات المرارية

الباب الثالث : البنكرياس

- ١٩٩ ١ - بناء البنكرياس ووظائفه
- ٢٠١ ٢ - التهاب البنكرياس
- ٢٠١ (أ) التهاب البنكرياس الحاد
- ٢٠٢ (ب) التهاب البنكرياس المزمن
- ٢٠٤ ٣ - أورام البنكرياس
- ٢٠٤ (أ) ورم خلايا الجزيرات
- ٢٠٤ (ب) سرطان البنكرياس

الباب الرابع : اليرقان

- ٢٠٩ (أ) أسباب اليرقان وأنواعه
- ٢١٠ (ب) الفحص والتشخيص
- ٢١١ (١) تاريخ المرض وتاريخ المريض

٢١١	(٢) الفحص الإكلينيكي
٢١٢	(٣) الفحص المعمل
٢١٣	(٤) الفحص التصويري
٢١٣	(٥) الفحص المنظاري
٢١٤	(٦) الفحص الباثولوجي
٢١٤	(جـ) العلاج

الباب الأول
الكبد

مقدمة

الكبد فى التاريخ

يحتل الكبد منزلة متميزة فى التاريخ ، لا فى تاريخ الطب خاصة بل فى تاريخ البشرية عامة . فأولادنا « أفلاذ أكبادنا » ، أى أبناؤنا أعز ما لدينا . وفلان « تُضرب إليه أكباد الإبل » ، أى يُرخل إليه فى طلب العلم وغيره . وفى اللغة ، كبد كل شىء : وَسَطُه ومعظمه ، كقولنا : « أصاب كبد الحقيقة » ، « الشمس فى كبد السماء » . أما « كبد الأرض » فهى ما فى معادنها من الذهب والفضة ونحوهما . وإذا تألم الإنسان من عطش أو حزن صاح « واكْبَدَاهِ ! » أو « واخْرَّ كَبْدَاهِ ! » أو « آء يا كبدى ! » .

وفى الأساطير اليونانية : أن « بروميشيوس » سرق النار من آلهة جبل الأولمب ، وأعطاهما للبشر فتعلموا منها الفنون ، وكان عقابه أن قُيد بالسلاسل إلى جبال القوقاز ، وتولى نِسْر جارح نهش كبد بروميشيوس يوميا كلما نبت من جديد . أما « هند بنت عُثْبَةَ » ، زوجة أبى سفيان وأم معاوية ، فقد حضرت وقعة « بدر » ثم وقعة « أُحُد » وهى مشرقة قبل أن تُسلم ، فلما قُتل « حمزة » عم النبى صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد ، طلبت إلى قاتله أن يأتيها بقطعة من كبد حمزة ، مضغتها ثم لفظتها ، وسُميت هند بعدها « آكلة الأكباد » .

لا غرابة إذن أن لجأ البابليون والآشوريون ، صنَّاع حضارة ما بين نهري دجلة والفرات القديمة ، إلى ما عُرف بـ « تفحص الكبد » ، وهو نوع من



« بروميشيوس » مقيدًا بالأغلال ونسر جارح ينهش كبده

العِرافة واستطلاع المستقبل . فكان الكهنة إذا سألهم أحدُ المشورة ، مريضًا كان أو قائدًا في طريقه إلى الحرب ، يذبحون ثورًا أو خروفًا يفحصون كبده ، ويشيرون على السائل بما يجب أن يفعله أو ما سيكون مصيره ومآله .

وانتشرت هذه العِرافة في اليونان أيضًا ، إلا أن ظهور أبقراط ، طبيبهم العظيم ومدرسته ، بدأ تحولًا من السحر والكهانة إلى الطب العلمى المنظم ، يعتمد على المشاهدة الدقيقة والتجربة الفاحصة . ثم جاء جالينوس ، طبيب الرومان الكبير ، فشرح الحيوانات واكتسب منها معرفة واسعة بتشريح

الإنسان، وإن كان قد جانبه الصواب في كثير منه ، لأن تشريح الجثث الأدمية كان محرمًا . كان جالينوس يؤمن بنظرية « الأخلط الأربعة » ، وهي أن الغذاء يتحول في الجسم إلى مواد أربع : الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء . وأن الكبد مسئول عن تكوين الأخلط كلها وتوزيعها ، فالغذاء يُمتص من المعدة والأمعاء ، ويتجه إلى باب الكبد حيث يُطبخ هناك دمًا ، «والكبد لحم أحمر كأنه دم جامد» ، ثم يوجّه الكبد الماء إلى الكليتين ، والصفراء إلى المرارة ، والراسب الأسود إلى الطحال .

سيطر طب جالينوس ، ووصفه للتشريح ، ونظريته في الأخلط الأربعة ، على الفكر الطبي طوال العصر الوسيط ، واستمر مؤثرًا لأكثر من ألف عام . كان الأطباء العرب يتبعون « الفاضل » جالينوس في أكثر آرائه ، وإن كانت لهم شكوكهم فيه واعتراضاتهم عليه ، وبخاصة أبو بكر الرازي وعبد اللطيف البغدادي وابن رشد وابن النفيس . وفي كتبهم عشرات من المشاهدات الدقيقة والملاحظات المتكررة التي تشهد بأصالتهم وسبقهم .

ثم جاء عصر النهضة ، عصر العلماء والفنانين الموسوعيين ، أشهرهم وأعظمهم بلا جدال « ليوناردو دافنشي » . كان ليوناردو متعدد المواهب والاهتمامات : تحلّد للعالم صورة « موناليزا » أو « الجيوكوندا » الشهيرة ، وعشرات أخرى من الروائع في الرسم والنحت والعمارة ، وكان أيضًا مهندسًا ومولعًا بالعلم واستشراق المستقبل . وقد شرح الجسم البشري ، ووصف الكبد ، رسماً وكتابة ، وصفًا تفصيليًا يشمل أوعيته الدموية وجهازه المراري وبعض أمراضه كتليف الكبد . وظلت أبحاث ليوناردو واكتشافاته مجهولة لأكثر من ثلاثمائة سنة ، وعُزى إلى « فيزاليوس » ، وهو مواطن إيطالي آخر من عباقرة عصر النهضة ، عُزى إليه الفضل في الوصف الحديث لتشريح الكبد .



تفحص الكبد قبل سفر المقاتل إلى الحرب

وفي القرن السابع عشر اكتشف « وليم هارفي » الدورة الدموية ، ففقد الكبد عرشه كمصدر للدم وتوزيعه ، واختزل دور الكبد إلى مجرد مُفرز للصفراء .

ثم اخترع الميكروسكوب ، ففتح آفاقاً جديدة ، واكتشف العلماء عالمًا واسعًا من التفاصيل الدقيقة المجهرية التي يجهلون بها ، وواكب ذلك فهم أصدق وأعمق عن بناء الكبد ووظائفه .

ففي القرن الثامن عشر وصف الإيطالي « مرجاني » والسويسري « هالر » التشريح الدقيق للكبد : فصوصه وخلاياه ، أوعيته الدموية ، أمراضه ، وعلاقة تليف الكبد بالخمر (الكحول) وأكياس الكبد بالديدان الطفيلية .

وفي القرن التاسع عشر جاء المزيد من التفاصيل ، واستعاد الكبد عرشه :
وصف « كلود برنار » دور الكبد المحورى فى تنظيم سكر الدم ، واكتشف مادة
الجليكوجين الذى هو بمثابة النشا الحيوانى لأنه المخزن الرئيسى للسكريات فى
الكبد . ووصف « لينيك » تليف الكبد وضموره وصفا كلاسيكيا حتى
أطلق اسمه عليه . كذلك أطلق اسم « هانو » ، عالم فرنسى ثالث ، على
تليف الكبد المرارى الأولى . وتنبه الأطباء إلى تكرار ظهور أوبئة مصحوبة
باليرقان ، وأثاروا احتمال وجود ميكروبات دقيقة تسبب هذه الأوبئة . إلا أن
« رودلف فيركو » الألمانى ، عملاق علم الأمراض (الباثولوجيا) فى عصره ،
أنكر ذلك وأصر على رأيه بأن سبب هذه الأوبئة اليرقانية سدة مخاطية فى حلقة
الاثنا عشرى ، وظل رأيه سائداً فى الدوائر الطبية حتى منتصف القرن
العشرين .

وفي القرن العشرين انهالت الاكتشافات الحديثة عن الكبد : وظائفه ،
وبناؤه وأمراضه وأسبابها ، ووسائل فحصه وتشخيصه ، والطرق الحديثة
لعلاجه :

على المستوى الوظيفى ، وصف الكيمائيون مسار الجلوكوز فى الجسم
وتحوله إلى الأستون ، وطريقة قياس نسبة البليروبين (صبغ الصفراء) فى
الدم ، ودورة البولينا فى الجسم ، والتحليل الكهربائى لبروتينات الدم ،
وقياس إنزيمات الكبد وتحديد دلالاتها فى تشخيص أمراض الكبد .

وعلى المستوى البنائى ، ابتكر الأطباء إبرة لأخذ عينة من الكبد وفحص
تركيبه وخلاياه ، وأصبحنا بفضل الميكروسكوب الإلكتروني ندرس أدق دقائق
الخلية . كذلك ابتكروا المناظير الضوئية لفحص تجويف البطن وتصوير الكبد
والمرارة وغيرهما من محتويات البطن .

أما على مستوى الأمراض وأسبابها ، فقد تحولت تحولاً جذرياً أشبه بالثورة :
انهار مفهوم « السدة المخاطية » كتفسير لأوبئة اليرقان وحلّت محلها فيروسات
الالتهاب الكبدي ، بدءاً بالفيروس (ب) الذي اكتشفه « بلومبرج » تحت
اسم « المستضد الأسترالي » ونال عليه جائزة نوبل ، ثم وصفه « دان » وصفاً
تفصيلياً بالميكروسكوب الإلكتروني . وجاء بعده فيروس (أ) على يدي
« فاينستون » وزملائه ، ثم فيروس (د) أو (دلتا) على يدي « ريزتو » ، وبقية
الأبجدية تتوالى حتى الآن .

كذلك تنبه الأطباء إلى أنواع من الالتهاب الكبدي المزمن ، منها المناعي
ومنها الفيروسي ، منها المثابر ومنها النشيط . وفي البلاد الاستوائية درست
علاقة الكبد بأمراض المناطق الحارة كالمalaria والأميبا وسوء التغذية ، وشاركت
مصر بنصيب الأسد في بحوث البلهارسيا وتليف الكبد ، ولا ننسى أن « تيودور
بلهارس » الألماني هو الذي اكتشف دودة البلهارسيا أثناء عمله في مصر ، وقد
خلّدت مصر ذكراه وفضله بإنشاء معهد باسمه لبحوث هذا المرض .

أما التقنيات الطبية الحديثة ، كالتصوير التشخيصي (النظائر المشعة ،
الموجات فوق الصوتية ، أشعة الكمبيوتر المقطعية ، إلخ . . .) ، والبحوث
المناعية ، فقد غزت عالم الكبد وأمراضه ، وغيرت كثيراً من مفاهيمه ، وأغنت
كثيراً في تشخيصه وعلاجه .

وإذا تتبعنا علاج أمراض الكبد على مدى السنين ، تبين لنا مدى التقدم
الكبير والخطوات الواسعة التي خطوتها . كنا لا نملك إلا أقل القليل .
نصح الأطباء بشرب المياه المعدنية ، وبخشد من « المواد الطبية » ، نباتية
وحيوانية ومعديّة ، وكلها بلا جدوى ، وباستفراغ « الأخلط الضارة » من
الجسم بالمقيّات والمسهلات والمدرّات ، وبفصد « الدم المحتقن » بالحجامة

والعَلَقُ الطبى (ديدان طفيلية تعلق بالجسم وتستنزف دمه) . وحذّر الأطباء مرضى الكبد من شرب الخمر ، وهى نصيحة محمودة ، ولكنهم بالغوا فيما يؤكل وما لا يؤكل حتى حرّموا التوابل والقهوة . أما الاستسقاء فكان علاجه الوحيد بزل البطن .

ومع القرن العشرين ، جاء فيض من المعرفة العلمية بأمراض الكبد ووسائل علاجها على أساس من العقل والتجربة . تعلمنا كيف نعالج مرض السكر بالإنسولين ، وأمراض المناعة بالكورتيكوزون ، والعدوى من الميكروبات والطفيليات بالعلاج الكيميائى ومضادات الحيوية ، واختلال الملح والماء فى الجسم باستعمال مدرّات البول الحديثة . تعلمنا أيضا كيف نتوقى العدوى من الفيروسات باستعمال التطعيم ، وبدأنا نعالج الالتهاب الفيروسى بمضادات الفيروسات .

وشارك الجراحون فى هذا الغزو العظيم : جراحات مبتكرة لخفض الضغط فى الوريد البابى ، أو لعلاج الاستسقاء ، وأخرى لوقف النزف من دولى المرىء ، وثالثة لاستئصال أورام الكبد أو لعلاج الأكياس أو لشق الخراج . وآخرها وأحدثها وأروعها : زرع الكبد (١) ، ولا زال الغزو مستمرا .

أما حصيات المرارة (الحصيات الصفراوية) فلها أيضا تاريخ يجدر بنا أن نعرفه . فقد سجل مؤرخو الطب ملاحظة غريبة ، وهى أن أبا بكر الرازى ،

(١) كان الشاعر القديم يتنبأ بالمستقبل عندما قال :

بها كبدًا ليست بسدات قروح
ومن يشتري ذا علة بصحيح ؟

ولس كبد مقروحة من يبيعنى
أبى الناس ، ويح الناس ، أن يشترونها

[ابن الدّمينة ، فى «خزانة الأدب» ٨٤ / ٤٢٢]

الطبيب العربى العظيم ، كان أول من لاحظ وجود الحصى فى مرارة الثيران فى القرن العاشر الميلادى (٢) ، وغاب ذلك عن جالينوس وغيره من السابقين المشتغلين بتشريح الحيوانات ، وظل مجهولا بعده طوال خمسة قرون ، حين لاحظ « فولنيو » الإيطالى وجود حصى فى المرارة الأدمية فى القرن الخامس عشر. هذا إذن مثال للراى وما عُرف عنه من قوة الملاحظة ، وهو أيضا مثال للأصالة فى الطب العربى .

وملاحظة أخرى لفتت أنظار الأطباء فى القرن السابع عشر ، وهى أن حصيات المرارة فى الثيران تتكون فى فصل الشتاء ، ثم تختفى فى فصل الصيف . وقد عزا الأطباء ذلك إلى أن غذاء الثيران فى الشتاء يعتمد على التبن (الحشيش المجفف للعلف) ، أما فى الصيف فغذاؤها العُشب الأخضر ، واستتجوا من ذلك أن العشب يذيب حصيات المرارة . وانتشر «علاج البرسيم» هذا طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ورأيناه أيضا فى مصر فى منتصف القرن العشرين ، حيث حل البرسيم محل قصب السكر فى محلات العصير !

وفى القرن الثامن عشر درس العلماء حصيات المرارة دراسة تفصيلية ، فصنّفوها إلى أنواع ، وحلّلوها تحليلاً كيميائياً دقيقاً . أما فى القرن التاسع عشر فقد لاحظوا العلاقة الوثيقة بين تكوين الحصى والتهاب كيس المرارة ، ونسب بين الأطباء خلاف : أيهما أسبق من الآخر ؟ هل تتكون الحصيات أولا ثم تسبب التهاب كيس المرارة ، أو العكس ؟ (هل البيضة قبل الدجاجة ، أو

(٢) انظر : فرانكن وفالك ، صفحة ١٤٥٣ ، الجزء الثانى من « كتاب أكسفورد فى أمراض الكبد الإكلينيكية » ، طبعة ١٩٩٢ ، والمحررون : ماكتير وينامو وآخرون .
" Oxford Textbook of Clinical Hepatology " , 1992, by McIntyre, Benhamou, et al .

العكس ؟) . واففقوا أخيراً على أن العلاقة متبادلة ، بسبب كل منهما الآخر
وينتج عنه .

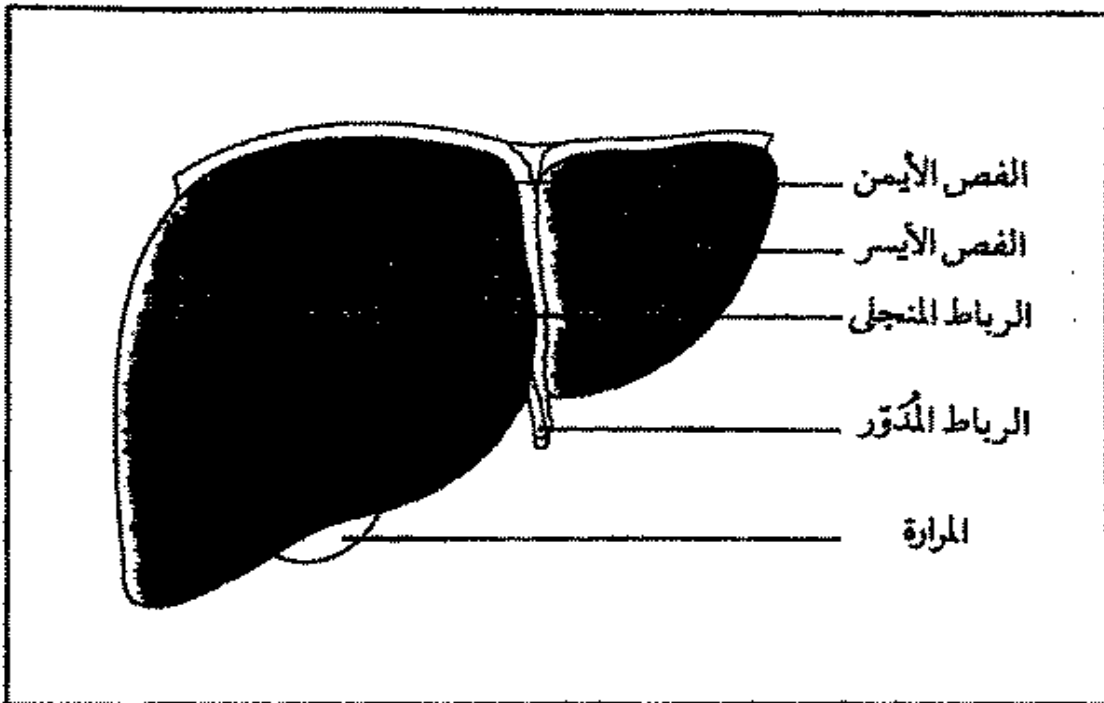
وأما القرن العشرون ، فقد كان قرن الاكتشافات والابتكارات : تصوير
المرارة والحصى بالأشعة وتلوين القنوات الصفراوية ، ثم تصويرها بالموجات
فوق الصوتية ، ثم تلوينها بالمنظير الضوئية ؛ استئصال المرارة جراحياً ، ثم
استئصالها عن طريق المنظار البريتوني ؛ إذابة الحصى كيميائياً ، ثم تفتيتها
بالموجات الصدمية .

مرة أخرى ، لا زال الغزو مستمراً .

١ - بناء الكبد

الكبد هو أكبر عضو في الجسم ، وزنه ١٢٠٠ - ١٥٠٠ جرام . ويشغل الربع الأيمن العلوى من البطن في حماية الضلوع . وشكله يشبه هرمًا راقدًا على جنبه ، وقمته عند طرف عظم القص .

يتكون الكبد ، من الناحية التشريحية ، من فصين رئيسين : أيمن كبير وأيسر صغير ، يفصل بينهما الرباط المنجلي ، وهو ثنية من الغشاء البريتوني



منظر أمامي للكبد

تشبه المنجل . ولفص الكبد الأيمن فصان صغيران آخران هما الفص المرتفع والفص المدّتب .

يتغذى الكبد بالدم من مصدرين : الوريد البابى يجلب الدم الوريدي من الأمعاء والطحال ، والشريان الكبدي يجلب الدم الشرياني من الأورطي . وكلاهما يدخلان من خلال حفرة أسفل الفص الأيمن تسمى باب الكبد ، يتفرعان بعده إلى فروع تتوزع في الفصين . أما إفراز الكبد ، وهو الصفراء ، فيتجمع من كل فص في قناة ، ثم تتحد القناتان في قناة كبدية مشتركة تخرج هي الأخرى من خلال باب الكبد .

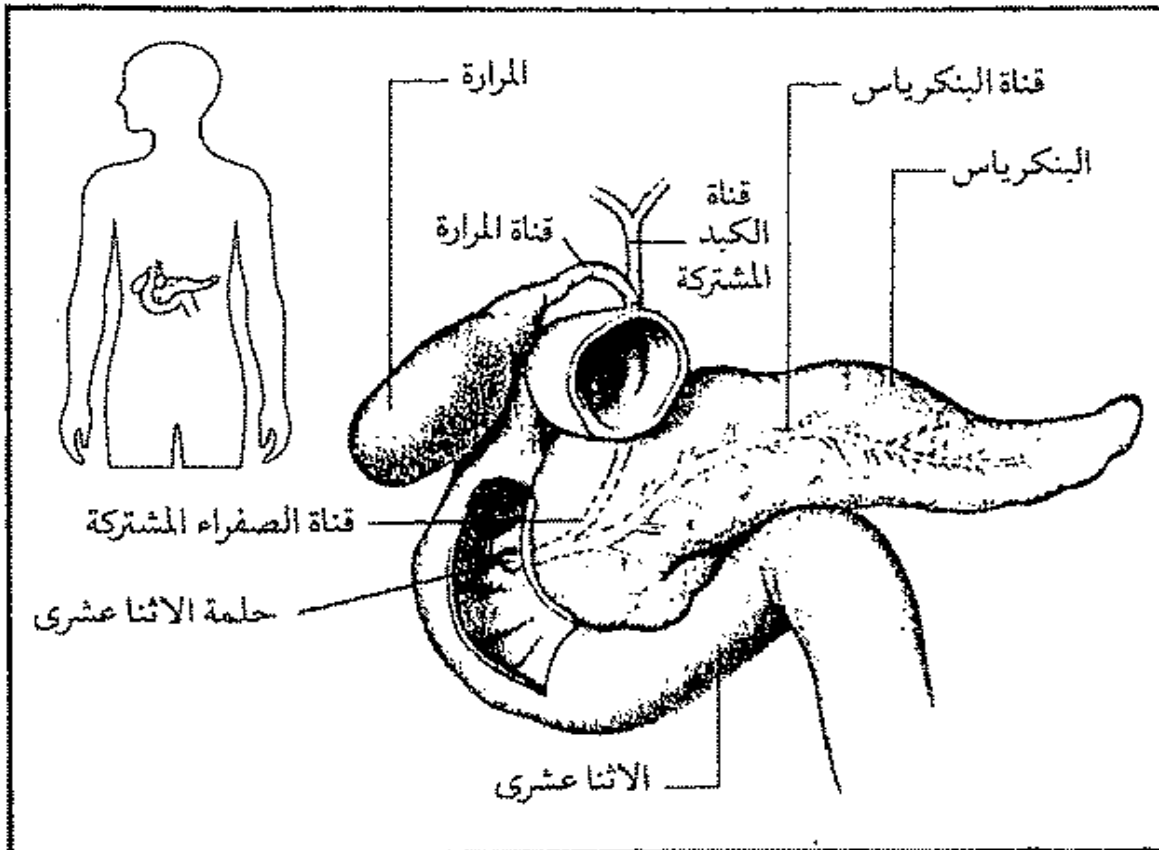
وأما الأوردة الكبدية ، وهي التي تحمل الدم الوريدي من الكبد بعد مروره ، فتخرج مباشرة من الفصين ، وتفتح في الوريد الأجوف السفلي الذي يجري خلف الكبد ويجفر مجرى في ظهره وهو متجه إلى الأذين الأيمن للقلب .

وهناك حفرة أخرى على السطح السفلي لفص الكبد الأيمن يرقد عليها كيس المرارة . وللكبد أيضا أوعيته اللمفية التي تتجمع في عقد خاصة في باب الكبد ، وله أيضا أعصابه المتفرعة من العصب السمبتاوى والعصب الحائر . ويغلف الغشاء البريتوني كل سطوح الكبد فيما عدا المناطق المجاورة والملاصقة له ، وهي الحجاب الحاجز ، وحفرة الوريد الأجوف السفلي ، وحفرة المرارة .

قلنا إن للكبد فصين رئيسين من وجهة النظر التشريحية : فص أيمن كبير، وفص أيسر أصغر منه بكثير (نحو سُدس حجمه) . أما من وجهة النظر الوظيفية ، أى باعتبار تفرع الشريان الكبدي والوريد البابى والقناة الكبدية ، كل منها إلى أيمن وأيسر ، فالقضان إذن يكادان يكونان متساويين ، يفصل بينهما خط وهي يمتد إلى يمين الرباط المنجلي . كذلك بينت لنا الدراسات الحديثة في بنية الكبد التفصيلية أنه مكون من قطع تشريحية segments قائمة



منظر خلفي وسفلي للكبد



البنكرياس والمرارة والجهاز المرارى

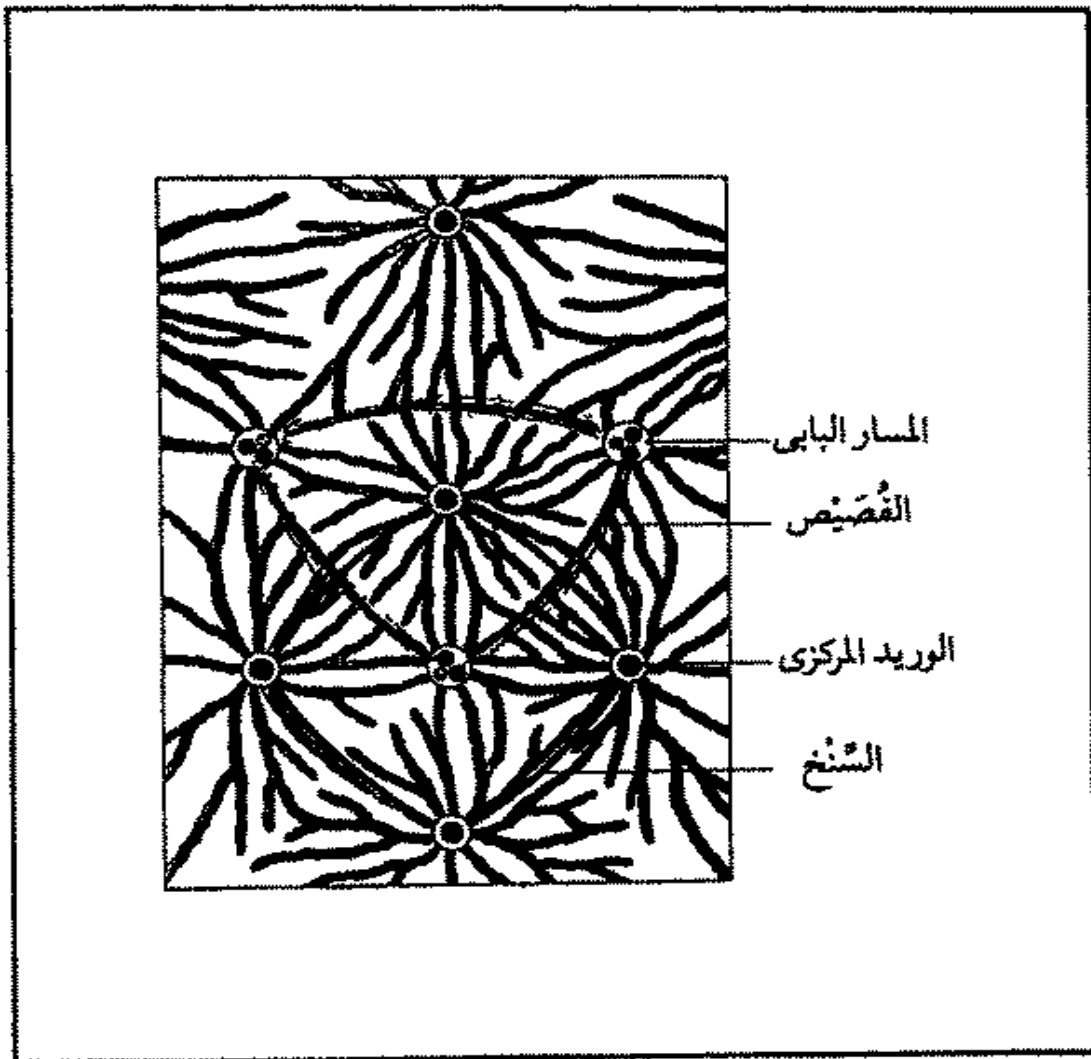
بذاتها مرتبطة بفروع الأوعية الدموية والقنوات الصفراوية ، وهذا المفهوم الحديث له انعكاساته التطبيقية المفيدة ، وخاصة في الجراحة لاستئصال أورام الكبد وغيرها .

هناك أيضا علاقة وثيقة ، تشريحيًا ووظيفيًا ، بين الكبد من جهة وبين المرارة والجهاز المرارى (الصفراوى) من جهة أخرى . يخرج إفراز الصفراء من فصى الكبد فى قناة كبدية يمنى وقناة كبدية يسرى ، تتحدان فى قناة كبدية مشتركة فى باب الكبد ، سرعان ما تتصل بعده بقناة أخرى هى قناة كيس المرارة، وتكونان معًا قناة واحدة هى قناة الصفراء المشتركة . هذه القناة فى غاية الأهمية لأن موقعها ومسارها إستراتيجى ، ومعرضة للضغط والانسداد من أكثر من مصدر ، وبذلك تسبب اليرقان . تنحدر هذه القناة بجوار الوريد البابى والشريان الكبدى ، ثم تمر خلف الجزء الأول من الاثنا عشرى ، ومنه تسير فى أخدود ضيق خلف رأس البنكرياس ، وأخيرًا تفتح فى الجزء الثانى من الاثنا عشرى ، ويكون ذلك عادة بعد التقائها بقناة البنكرياس لتكونا معًا انتفاخًا أشبه بالقارورة ، يسمى « قارورة فاتر ampulla of Vater » . هذا الانتفاخ يُبرز الغشاء المخاطى المبطن للاثنا عشرى على شكل حلمة تسمى حلمة الاثنا عشرى .

أما المرارة فهى كيس كمثرى الشكل ، طولها ٩ سم ، وسعتها نحو ٥٠ سم^٣ ، وقاعها العريض متجه إلى الأمام ، وهو الجزء الذى يُلمس ويُحس بجس البطن . أما عنق المرارة فله انبعاج صغير يسمى « جيب هارتمان » ، يكثر فيه أن تستقر حصاة المرارة عند تكونها . ويستمر عنق المرارة ليكون بعده قناة كيس المرارة التى سبق ذكرها . ويجدار المرارة طبقة عضلية مرنة يبطنها غشاء مخاطى كثير الثنايا والنقر ، أما قناة المرارة فتبطنها طيات حلزونية الشكل

تسمى «صوامت هيوتر» . وللمراة شريان خاص هو فرع من الشريان الكبدى .

إذا تفحصنا البناء التفصيلى لنسيج الكبد وجدناه مكوناً من وحدات أصغر من الفصوص نسميها أحياناً «فصيصات lobules» ، كل فصيص منها مكون من مجموعة متكاملة من الخلايا الكبدية فى شكل هرم تحترقه أو تحفّ به شبكتان من الأنفاق التى تنتشر فى الكبد كله ، وهما القنوات الكبدية المركزية ،



بناء الكبد

والمسارات البابية ، بحيث تخترق إحدى القنوات المركزية محور الفصيص ، وتحف بمحيطه مجموعة من المسارات البابية . كل قناة مركزية يشغلها وريد كبدي صغير هو فرع من الأوردة الكبديّة الكبرى ، وكل مسار بابي تشغله ثلاثة مكونات : وريد بابي صغير ، وشريان كبدي صغير ، وقناة صفراوية صغيرة ، هي في الواقع فروع نهائية للأوعية الثلاثة . أما خلايا الكبد فتصطف في صفوف على شواطئ الشعيرات الدموية الرفيعة الشبيهة بالترع ، ونسُميها «جُبيبات sinusoids» (أي الجيوب الصغيرة) وفيها يسرى الدم من منبعه : الوريد البابي والشريان الكبدي ، ليصب من الناحية الأخرى في الوريد الكبدي ، وهو في أثناء ذلك يتبادل الأخذ والعطاء مع الخلايا الكبديّة ، يغذّيها ويتلقى منها إفرازها .

هناك أيضًا منظور آخر يرى نسيج الكبد مكونًا من وحدات صغيرة أو «عناقيد acini» ، كل عنقود منها عبارة عن مجموعة من الخلايا الكبديّة تتمحور حول مسار بابي وتحف بها القنوات المركزية . هذا المنظور مفيد من الناحية الوظيفية لأنه يميز بين منطقة قريبة من الوريد البابي غنية بالغذاء ، ومنطقة بعيدة عنه فقيرة في الغذاء ، مما يفسر الكثير من أمراضه .

هذا الشرح التفصيلي لنسيج الكبد أساسي لفهم بنائه ، وأداء وظائفه ، وتفسير أمراضه . فإذا دققنا الفحص على المستوى الميكروسكوبي تعلمنا مزيدًا من التفاصيل وأقدنا الكثير :

جبيبات الكبد مثلًا تبطنها طبقة من الخلايا الشبكية البطانية تسمى خلايا كُبتَر ، مهمتها التهام الميكروبات والأجسام الغريبة للتعامل معها أو اختزانها . نواة الخلية الكبديّة غنية بمادة الكروماتين وتؤثرها فيروسات الالتهاب الكبدي عندما تغزو الكبد . أما الميتوكوندريا (المتقدّرات) فهي من مكونات الخلايا

الكبدية التي تولّد الطاقة وتزوّدى الكثير من التفاعلات الكيميائية مثل الأكسدة والفسفرة- أى إضافة الأكسجين أو الفوسفور إلى المركبات المختلفة .
وأما الشبكة البلازمية الخشنة ، وهى مكونة آخر من مكونات الخلية الكبدية ، فوظيفتها تخليق البروتينات الأساسية كزلال الدم ، وعناصر تجلط الدم ومنها البروثرومين ، والإنزيمات المختلفة المساعدة لكثير من العمليات الكيميائية ، كما تشارك فى التفاعلات المرتبطة بالسكريات والدهنيات . وهناك شبكة بلازمية ناعمة أخرى وظائفها متعددة ، منها تخليق المركبات المعروفة بالسترويدات (ومنها الكولسترول وأملاح الصفراء) ، ومعالجة مادة البليروبين بتحويله من هيئته فى الدم إلى هيئته فى الصفراء وهو ما نسميه بالاقتران ، كما تتولى تخليص الكبد من كثير من سمومه ومواده الضارة بها فيها الكثير من الأدوية .

٢- وظائف الكبد

الكبد هو المعمل الرئيسى لكيمياء الجسم وتفاعلاته ، يتلقى من غذائه مكونات الجسم فيتعامل مع عناصر بنائه ، يخزن ما يخزن ، ويصرف ما يصرّف ، ويولد الطاقة لنفسه ولغيره ، ويخلص الجسم من فضلات نشاطه وما قد يتسرب إليه من سموم .

وفي محاولتنا لفهم أداء هذا العضو العجيب ، البالغ التركيب والتعقيد ، نشرح الأدوار الرئيسة التى يقوم بها فى تعامله مع عناصر الجسم المختلفة :

(أ) الكربوهيدرات (السكريات) :

وظيفة الكبد العليا هى الحفاظ على نسبة السكر فى الدم ، وهو من أجل ذلك يتلقى السكر مع الغذاء الممتص من الأمعاء ، أو الناتج من تفاعله مع البروتينات ، فيحوّله أولاً من سكر بسيط (جلوكوز) إلى سكر أكثر تعقيداً يسمى الجليكوجين ، وهو مركب متعدد السكريات ، هو الشكل الأساسى لتخزين الكربوهيدرات فى الحيوان ، ويسمى أيضاً بالنشا الحيوانى . يقوم الكبد بعد ذلك بفك الجليكوجين مرة أخرى إلى سكر بسيط يورده إلى الدم حسب حاجته ، ويستعين فى ذلك باستعمال الإنسولين ، وبيانزيمات مساعدة مهمتها ربط السكريات بعنصر الفوسفور لتكوين فوسفات ذات محتوى عالٍ من الطاقة .

يقوم الكبد بوظيفة أخرى في مجال السكريات ، وهي تحويل جزء من الجلوكوز إلى مادة أخرى تسمى حمض الجلوكيوروبونيك ، مهمتها الاتحاد مع مواد أخرى كثيرة لتغيير طبيعتها وإفقاد سُميتها أو تسهيل إفرازها من الجسم . هذه العملية الهامة نسميها الاقتران ، ومن أمثلتها اقتران حمض الجلوكيوروبونيك بإيادة البليروبين (صبغ الصفراء الأحمر) لتحويله وإفرازه من الدم إلى الصفراء .

(ب) البروتينات :

تتكون البروتينات من جزيئات أصغر تسمى الأحماض الأمينية ، هي بمثابة اللبنات التي نحصل عليها من الغذاء الممتص أو من تحلل الأنسجة المختلفة . ثم يقوم الكبد بالتعامل مع هذه الأحماض الأمينية في أشكال مختلفة :

هناك أولاً تخليق البروتينات ، وهي على نوعين : بروتينات بنائية ، لتكوين خلايا وأنسجة الجسم ، بها فيها خلايا وأنسجة الكبد نفسه . وبروتينات بلازما الدم ، وهي كثيرة ومتنوعة ، أهمها : الزلال ؛ جلوبيولينات البلازما من نوع ألفا وبيتا (ولكن ليس منها الجاما جلوبيولين) ؛ عوامل تجلط الدم وأهمها الفيبرينوجين والبروثرومبين ؛ البروتينات الناقلة لمعادن الجسم وأهمها الترانسفيرين الناقل للحديد والسريوبلازمين الناقل للنحاس ؛ ثم أخيراً وليس آخرًا الإنزيمات ، وهي عوامل مساعدة لإجراء التفاعلات الكيميائية المختلفة من أهمها الفصيلة المعروفة بالترانسامينازات ، وهي إنزيمات تقوم بنقل مجموعة أمينية (ن يدَمْ) من حمض أميني إلى آخر بدونها ، وتعرف بأسماؤها المختصرة : GOT (ترانساميناز جلوتاميك أكسالوأستيك) و GPT (ترانساميناز جلوتاميك بيروفيك) .

يقوم الكبد أيضًا بالتعامل في اتجاه آخر ، وهو فك البروتينات والأحماض الأمينية ، وإزالة المجموعة الأمينية (ن يد) السابق ذكرها وتحويلها إلى أمونيا (نشادر) ومنها إلى يوريا (بولينا) للتخلص منها . وللکبد أيضًا وظائف أخرى في مجال البروتينات والأحماض الأمينية ، منها (مثل الجلوسين) ما هو لازم لبناء هيموجلوبين الدم ، ومنها ما يشارك في عملية الاقتران السابق ذكرها لإزالة السُّمية من كثير من المواد .

(ج) الدهون :

تصل الدهون إلى الكبد عن طريق الدم من مصدرين : الدورة الدموية العامة ، والوريد البابي المحمل بنواتج الهضم والامتصاص من الأمعاء . والدهنيات مصدر غني للطاقة . وعندما يجوع الإنسان يلجأ أولاً إلى رصيده من السكريات المخزونة في الكبد وهو الجليكوجين ، فإذا نفذ لجأ إلى الدهن المخزون في الجسم وقام بتحويله إلى الكبد فيتجمع فيه .

والدهنيات على أنواع :

- أبسط هذه الأنواع المسماة بالجلسريدات الثلاثية ، وهي مركبات من الجلسرين والأحماض الدهنية ، ووظيفتها الرئيسية تخزين الطاقة وتوريدها .

- أما الدهون المُقسَّمة ، وهي مركبات تجمع بين الأحماض الدهنية والقواعد المعروفة بالكولين أو اللسيثين ، مضافاً إليها حمض الفسفوريك ، فتقوم بدور رئيسي في تكوين أغشية الخلايا وفي الكثير من التفاعلات الكيميائية .

- وأما الكوليستيرول ومركباته ، فوظائفه متعددة : بناء أغشية الخلايا ؛

تكوين أحماض الصفراء ؛ تكوين الهرمونات الستيرويدية ، مثل الكورتيزون والهرمونات الجنسية .

كل هذه الدهون بأنواعها يقوم الكبد بتخليقها والتعامل معها ، وعليه أيضاً أن يحولها إلى صورة قابلة للذوبان في الماء ، أى في بلازما الدم ، ويتم ذلك بالربط بين الدهون والبروتينات (جلوبيولينات ألفا وبيتا) في مركبات تسمى ليوبروتينات .

واضح إذن أن عناصر الجسم الرئيسة الثلاثة : الكربوهيدرات والبروتينات والدهنيات ، كلها متبادلة ومتداخلة ومتكاملة ، والكبد هو البوتقة الكبرى التي تتجمع فيها كل هذه الأجناس وتنصهر .

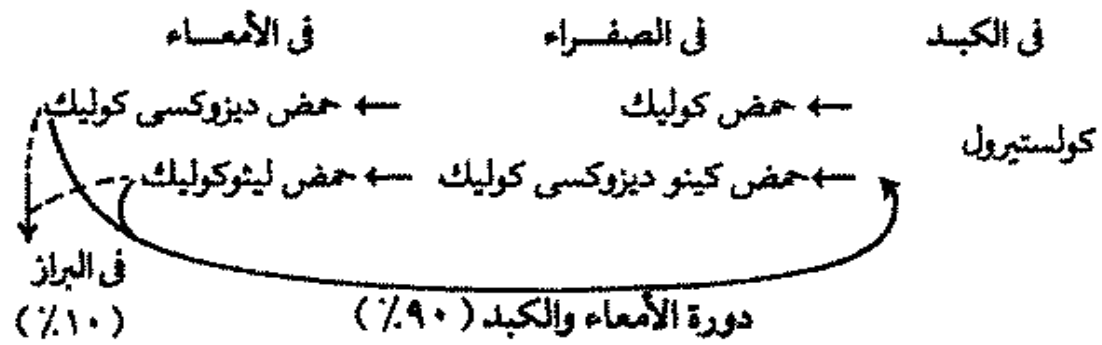
(د) الصفراء :

الصفراء هي الإفراز الخارجى للكبد ، وهو سائل أصفر فاتح اللون ، يفرزه الكبد في نحو نصف لتر في اليوم الواحد ، ثم يتركز في كيس المرارة فينقص حجمه ويتحول إلى لون بنى ذهبي أو أخضر داكن قبل أن يُفرغ في الأمعاء . والصفراء ، بالإضافة إلى الدهون المفسفرة والكولستيرول ، تحتوى على عنصرين أساسيين ، هما أحماض الصفراء (الأحماض الصفراوية) وصبغ الصفراء (البليروبين) ، ولكل منهما قصة طويلة لا بد من سردها لفهم مغزاها وتفسير نتائجها ، منها مثلاً تفسير اليرقان (اصفرار الجسم) وأسبابه ، أو مثلاً تفسير تكوين حصيات المرارة وأنواعها . لذلك سنحاول شرح كل من هاتين القصتين في أقصر عبارة ، ودون إخلال بأهم معالمها .

أحماض الصفراء تتكون من مادة الكولستيرول في الكبد ، وهما حمضان رئيسان : حمض كولييك ، وحمض كينوديزوكسى كولييك . بعد ذلك ينتقل

هذان الحمضان من الصفراء إلى الأمعاء ، فيؤديان وظيفتهما الهامة في هضم الدهون وامتصاصها ، ويتحولان إلى حمضين آخرين هما : حمض ديزوكسي كولييك ، وحمض ليثوكولييك . ١٠٪ من هذين الحمضين يضيع مع البراز ، والباقي (٩٠٪) يعود من الأمعاء إلى الكبد ، فيستأنف دوره في تنشيط الكبد واستعادة أحماض الصفراء من جديد ، ويكون على الكبد أن يعوض الفاقد في البراز بتخليق أحماض صفراوية جديدة (أى ال ١٠٪) .

هناك إذن دورة مستمرة هي دورة الأمعاء والكبد ، يمكن تلخيصها كما يلي :



وتتكرر هذه الدورة من ٢ - ١٥ مرة في اليوم الواحد ، حسب اختلاف الأشخاص واختلاف الظروف . وهذه الأحماض الصفراوية منذ بدء تكوينها في الكبد تقترن بأحماض أمينية أخرى (وبخاصة الجليسين والتورين) لضمان ثباتها حتى تؤدي وظائفها المتعددة ، فهي تحافظ على سيولة الصفراء وانسيابها بفضل إبطالها لظاهرة التوتر السطحي ، وهي تحول الدهون إلى مستحلب يمكن امتصاصه من الأمعاء ، كما أنها تساعد إنزيمات البنكرياس على هضم الدهون والبروتينات .

أما صيغ الصفراء (البليروبين) فله قصة أخرى طويلة يمكن أن نبدأها

بزيادة الهيموجلوبين ، وهو الصبغ الأحمر المعروف الذى يلون كرات الدم الحمراء .

ينشأ الهيموجلوبين فى نخاع العظم فى مرحلة تكوين كرات الدم ، وهو مركب من ثلاث مواد : حديد ، وبورفيرين ، وجلوبين . أما الحديد فأمره معروف ، مصادره خارجية هى الغذاء ، وداخلية من تحلل أنسجة الجسم وخلاياه (بيا فيها كرات الدم المستهلكة) . وأهم مخزن للحديد هو الكبد . وأما المكونات الأخرى ، البورفيرين والجلوبين ، فهما مركبان من البروتين والأحماض الأمينية (وخاصة الجليسين) ، يُخَلَقُها الكبد ويصدرهما ، ومعهما الحديد ، إلى نخاع العظام لتصنيع الهيموجلوبين اللازم لتكوين كرات الدم الحمراء .

تعيش الكرات الحمراء فى المتوسط ١٢٠ يومًا ، تستنفد عمرها وتصبح مستهلكة ، فيتولاها عندئذ جهاز خاص فى الجسم هو النسيج الشبكي البطاني ، ومن أهم أعضائه الطحال . يتعامل هذا الجهاز مع الهيموجلوبين المستهلك فيفك مكوناته : الحديد والجلوبين ، ويُعادان إلى مخازن الجسم لاستعمالها من جديد ، أما البورفيرين فيفك مرة أخرى إلى مكون أبسط هو صبغ الصفراء الأخضر (بليفردين) ومنه إلى صبغ الصفراء الأحمر (بليروين) .

يسرى البليروين فى الدم فيلتقطه الكبد ويحوّله إلى صورة مختلفة فى غاية الأهمية ، ذلك لأن البليروين السارى فى الدم غير قابل للذوبان فى الماء (ولذلك يسمى بليروين غير مباشر) ، فإذا التقطه الكبد ربط بينه وبين مادة أخرى هى حمض الجلوكيورونيك الذى ذكرناه من قبل كمثال لعملية الاقتران ، وبذلك يتحول البليروين إلى بليروين « مقترن » أو « مباشر » قابل للذوبان فى الماء . عندئذ يتعامل الكبد مع البليروين المباشر فيفرزه فى الصفراء ، ومنها إلى

الأمعاء . وفي الأمعاء تفض البكتريا اقتران البلرويين وتحتزله إلى مادة أخرى هي الستركوييلينوجن ، جزء منها يخرج مع البراز فيلونه ، والباقي يعاد إلى الكبد فيفرزه من جديد (كما في دورة الأمعاء والكبد) ، وقد يتسرب جزء منه عبر الكلى إلى البول فيسمى باسم آخر هو اليوروييلينوجن .

هذه القصة الطويلة ، رغم كل اختصاراتها ، لا مفر من سردها إذا أردنا أن نفهم ظاهرة اليرقان فهما منطقيًا مقنعًا ، لأن اليرقان كعرض من أهم علامات مرض الكبد وأكثرها دلالة ، ولعلّ الشكل المصاحب يوضح ويلخص ما قلناه ، وسنجد المزيد من الشرح والتفصيل في فصل « اليرقان » من الكتاب .

٣ - وسائل الفحص

عند تقييمنا لحالة الكبد ، نلجأ إلى وسائل متعددة لفحصه ، منها الفحص الإكلينيكي (السريري) ، والتصويري ، والمنظاري ، والمعمل ، والباثولوجي . كل وسيلة من هذه الوسائل تمثل وجهة نظر ، لأن الكبد في بنائه ووظائفه أشبه ببلمرة متعددة الوجوه ، نحاول بجمعها وتكاملها أن نكون صورة صادقة عن موقف الكبد .

(أ) الفحص الإكلينيكي :

نبدا دائما بالاستماع إلى المريض والإصغاء إلى حكايته . ما شكواه ؟ وما أعراضه ؟ بعض المرضى يتنبهون بسرعة إلى أن شيئاً غير طبيعي قد ألمّ بالكبد : يرقان (اصفرار الجسم) مثلا ، أو ألم محدد في منطقة الكبد ، أو تضخم واضح في حجمه (الربع الأيمن العلوى من البطن) .

والبعض الآخر يلجئون إلى الطبيب ، لأعراض عامة لا يعرفون مصدرها ، ولا يدرون أن سببها مرض الكبد : ورم القدمين مثلا من امتلائها بالماء (أوديبا) ، أو سيولة في الدم ونزف من الأنف أو اللثة أو الجلد ، أو عسر هضم وفقد الشهية . ومن الناس من يلجأ إلى طبيب الأمراض الجلدية بسبب حكة أو « هرش » مزمن ومنتشر في الجسم ، والسبب مرض في الكبد . ومنهم

من يستشير طبيب الأمراض العصبية والنفسية ، لضعف الذاكرة والتركيز أو ارتعاش اليدين أو اضطراب النوم ، والسبب في الكبد .

ثم هناك أعراض أو علامات غير مباشرة سرعان ما توجه الانتباه إلى الكبد، منها مثلا : تضخم الطحال ، وهو عرض شائع ومشهور خاصة بين مرضى البلهارسيا في الريف ، وهؤلاء الناس ينشغلون ويهتمون بالطحال وينسون أن سببه الكبد . والشئ نفسه يقال عن استسقاء البطن (انتفاخه وامتلأه بالماء) ، أو قيء الدم (من نزف دوالي المريء) ؛ فقد تكون هذه العلامات هي أول بادرة تنبهنا إلى مرض الكبد . وشبيه بذلك أن يُفحص الشخص العادى فحصًا شاملاً من قبيل الاطمئنان ، أو عند التقدم لوظيفة أو عمل جديد ، فتجرى له تحاليل معملية روتينية : وإذ بها تكشف عن خلل واضح في وظائف الكبد .

كل هذه نماذج من أعراض مرضى الكبد وشكاواه . وفي كل هذه الحالات علينا أن نتحرى الدقة ونتقصى كل سؤال ؛ فقد يكون بالغ الدلالة والأهمية : جنس المريض وسنه : هناك أمراض خاصة بالأطفال مثلا ، وأخرى بالإناث وخاصة في مرحلة الحمل ، مكان الإقامة وطبيعة العمل : أمراض الريف معروفة وأشهرها البلهارسيا . أمراض المهنة أيضًا معروفة : المهنة الطبية وتعرضها للعدوى بفيروسات الكبد أو لأدوية التخدير . الكيمائيون أو المشتغلون بالصناعات الكيمائية أو المبيدات الحشرية . العادات والأمراض السابقة : الخمر (المشروبات الكحولية) والمخدرات (شمس أو بلع أو حقن) . هل سبق للمريض أن أصيب باليرقان من قبل ؟ وهل تعرض لعمليات جراحية أو لنقل الدم ؟ وهل عولج من قبل بأى أدوية سواء بالفم أو بالحقن ، بما في ذلك علاج البلهارسيا ؟ وهل تعرض المريض لأى مرض سابق ، في مصر

أو في الخارج (كالمالاريا مثلا في إفريقيا) ؟ وهل عُرف عن المريض وجود أفراد آخرين في الأسرة مرضى بالكبد أو باليرقان أو بالأنيميا ؟

ثم إذا انتقلنا إلى البحث عن العلامات الإكلينيكية بالوسائل المعروفة :
المعاينة والجلس والقرع والتسمع ، بدأنا بنظرة شاملة للجسم بحثًا عن أى علامة من علامات مرض الكبد : اليرقان ، وهو اصفرار الجلد والعينين ، أشهر هذه العلامات ، ولونه يتفاوت في شدته من الأصفر الفاتح الليمونى (كما في الأنيميا الناتجة من تحلل الكرات الحمراء) إلى الأخضر الداكن الزيتونى (كما في انسداد القنوات المرارية) . وقد أفردنا فصلا كاملا لليرقان ، نظراً لأهميته وتعدد أسبابه .

هناك تغيرات أخرى في الجلد قد تكون ذات دلالة ، منها مثلاً احمرار الكفين ؛ العناكب الشريانية ، وهى تفرعات شعيرية من أحد الشرايين الدقيقة فى جلد الجزء العلوى من الجسم ؛ كدمات الجلد من سيولة الدم ؛ «فُرْقُرية» purpura وهى نقط نزفية دقيقة وخاصة فى الساقين سببها نقص صفائح الدم أو ضعف فى الشعيرات ؛ امتناع الوجه أو اصطباغ جلد الرجلين بلون رمادى أو بنى .

هناك أيضًا من علامات مرض الكبد المزمن اضطراب وظائف الغدد الجنسية ، فى الذكور : ضعف الشهوة والقدرة ، تساقط شعر الجسم كالإبط والعانة والذقن ، تضخم الثدي (وقد يكون مؤلماً) ، وصغر حجم الخصية . أما الإناث ، ففيهن اضطراب الحيض وقد ينقطع ، وضمور الثدي ، وضمور الرحم ، والخصوبة عادة ضعيفة أو منعدمة .

ولأمراض الكبد أيضًا علاماته فى الدورة الدموية : دفء الأطراف وتوردها ، سرعة النبض وتواتب دقاته ، وانخفاض ضغط الدم . وله أيضًا

علاماته العصبية : زُعاش (ارتعاش) الجسم ويبدو واضحًا في اليدين
والذراعين المبسوطتين فهما أشبه بخفق جناحي طائر ؛ تغير رائحة النَّفس
(نَسْنُ الكبد) ؛ ضمور عضلات الأطراف ؛ تغيرات ذهنية ونفسية كضعف
الذاكرة والتركيز أو اضطراب النوم ، وقد يتحول تدريجيًا إلى غيبوبة كاملة .

بعد هذا الفحص الشامل نركز الاهتمام على البطن عامة والكبد خاصة :

شكل البطن وحجمه قد يكون طبيعيًا ، أو يكون متفخًا من هواء أو سائل
أو عضو متضخم أو مزيج من أيها . هنا نستعين بالجلس والقرع . وفي حالات
الاستسقاء وامتلاء البطن بالماء تنفرج الضلوع السفلى فوق المَرَأَق وتباعد
عضلات جدار البطن وقد يبرز فتق سُرى أو أُزْبِي ، أو يتجمع الماء في الصَّفَن
(كيس الخصية) . وكثيرًا ما تحتقن الأوردة المتصلة بالوريد البابي أو الوريد
الأجوف فتبرز في جدار البطن وتتجمع حول السرة ، وقد يُحس سريان الدم
فيها بالأنامل أو يسمع بالمسماع وكأنه خرير أو هدير موج البحر .

أما الكبد فنستعين أولاً بالجلس لتحديد حافته السفلى . هذه الحافة تتحرك
نزولاً وصعودًا مع التنفس العميق ، ولذلك نُحس بسهولة أسفل الضلوع في
الرياضيين والمغنين . وأما القرع بالأصابع فيساعدنا على تحديد حافة الكبد
السفلى متى تعذر علينا جَسُّه ، وهو أيضًا الطريقة الإكلينيكية الوحيدة
لتحديد حافته العليا . ونحن نحاول دائمًا تقدير حجم الكبد ، وقوامه ،
وملمسه . هل هو مؤلم للَّمْس ؟ هل هو نابض يُحس بالعين واليد ؟ هل يُسمع
له لَغَط أو فوقه احتكاك بالمسماع ؟ إن « باع » span الكبد الأمامي ، وهو
أقصى المسافة العمودية بين حافته العليا والسفلى في الخط المنصف للترقوة
اليمنى ، يبلغ عادة ١٢ - ١٥ سم ، ويتفق في ذلك القرع بالأصابع مع قياس
حجم الكبد بالموجات فوق الصوتية . وحجم الكبد قد يكون طبيعيًا ، أو

متضخماً ، أو منكمشاً ، وقد يختلف الفصان فيكون أحدهما أكبر أو أصغر من الآخر ، ولكل علامة من هذه دلالتها . وفص الكبد الأيسر يشغل منطقة فم المعدة (الشراسيف) ، وهو مكشوف يسهل جَسُّه ، وحافته السفلى في منتصف المسافة بين طرف قص الصدر والسرة .

وأما المرارة فلا ترى ولا تجس إلا إذا كانت متنفخة ، وتصبح عندئذ كيساً ممتلئاً بالسائل أشبه بشكل الكمثرى وحجمها ، ويسهل فحصها بدفعها إلى أسفل مع الشهيق .

والطحال عضو أساسي في فحص البطن عامة ، وتقييم دوره بالنسبة للكبد خاصة ، لأن الطحال ، كما قيل ، هو « غدة الكبد » ، يتأثر بمرضه فيحتقن ويتضخم . والطحال عادة لا يُجس في الشخص الطبيعي البالغ ، لأنه يرقد خلف المعدة وفي جِى الضلوع اليسرى السفلية . فإذا تضخم الطحال امتد إلى الأمام وإلى أسفل في اتجاه السرة ، وأمكن جَسُّه متى ظهر من تحت الضلوع ، ويساعد في إظهاره الشهيق العميق . وعلينا أن نحدد حجم الطحال ، وقوامه ، وملمسه ، وهل يسمع صوت احتكاك فوقه (من التصاقات به مثلاً)؟ وهل هو متجانس السطح أم به نتوءات ؟

ويكتمل فحص البطن بجَسِّ باقى محتوياته ، وخاصة الأمعاء ؛ وكذلك البحث عن أى تضخم في العقد (الغدد) اللمفية .

(ب) الفحص التصويرى :

هناك وسائل متعددة لتصوير الكبد وأقربائه : الجهاز المرارى ، والبنكرياس ، والطحال ، تهدف إلى تحديد حجمها وشكلها وبنائها الداخلى . أقدم هذه الوسائل هو التصوير بالأشعة السينية ، إلا أن الوسائل

الحديثة أضافت وتجاوزت الكثير ، وسنبدأ بأبسطها وأكثرها شيوعًا الآن ، وهي الفحص بالموجات فوق الصوتية .

أولاً : التصوير بالموجات فوق الصوتية (US) Ultrasound : وسيلة مفيدة ، وبسيطة ، ومأمونة ، وقليلة التكاليف . فكرته الأساسية هي إلقاء شعاع دقيق من الموجات الصوتية عالية التردد على أجسام متفاوتة الكثافة والمرونة ، تنعكس أصداؤها من مكونات الجسم المختلفة بدرجات متباينة يمكن حصرها وتسجيلها كهربائيًا وتحويلها إلى صورة متنوعة الظلال يمكن رؤيتها على شاشة تليفزيونية وتصويرها . تستطيع هذه الوسيلة أن تميز بين ما هو جامد مصمت وما هو كيس سائل ، ويعرقل نفاذها وجود العظام (كالضلوع) أو انتفاخ الغازات (كالأمعاء) . وأهم من ذلك ، أنها وسيلة ، رغم سهولتها وبساطتها ، تحتاج لإنطاقها ومصداقية نتائجها إلى فاحص خبير متمرس . والجهاز ، لسهولته ، يمكن نقله إلى المريض على سريريه ، كما يمكن استعماله لتشخيص الحالات الحرجة التي يتعذر فحصها بالوسائل الأخرى المعقدة .

تصور لنا الموجات حجم الكبد ، وشكله ، وبناءه الداخلى : هل حجمه طبيعى ، أو متضخم ، أو منكماش ؟ هل تكوينه متجانس ؟ وما كثافته ورجع صدهاء echogenicity ؟ أتوجد به أجزاء أو « بؤرات » مغايرة لبقية الكبد؟ وما طبيعتها ؟ صلبة أم سائلة ؟ ورم أم كيس أم خراج ؟ إن الموجات فوق الصوتية تستطيع أن تميز التغيرات ، حتى لو كانت صغيرة لا يتجاوز قطرها ملليمترات . وهي أيضًا ترسم لنا الأوعية الدموية المرتبطة بالكبد : الوريد البابى ، وريد الطحال ، الأوردة الكبدية والوريد الأجوف السفلى ، ثم الأورطى . ما قطر كل واحد منها ؟ هل هي سالكة أم مسدودة ؟ هل هناك



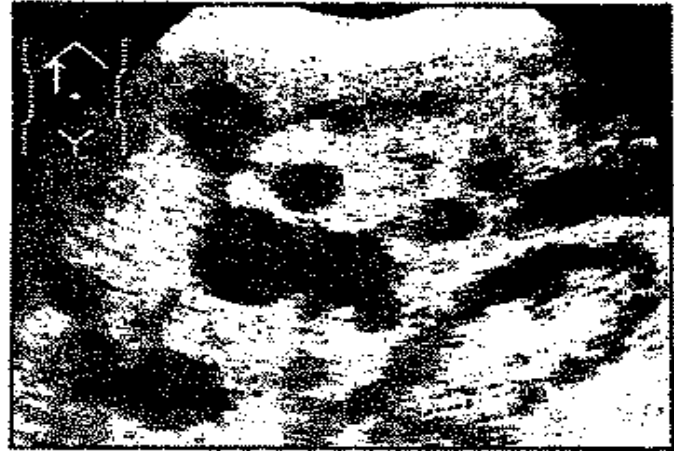
(ب) خراج الكبد



(أ) بلهارسيا الكبد
(ألياف كثيفة في المسارات البابية
تشبه مخالب الطير)



(د) حصاة في كيس المرارة
(لاحظ ظل الحصاة وراءها)



(جـ) أورام ثانوية منتشرة بالكبد

أوردة جانبية (نسميها « دولي ») توصل بين الوريد البايى والوريد الأجوف ؟
إن ابتكارًا جديدًا يسمى « دوبلر Doppler » يستطيع بمساعدة الموجات أن
يحدد تيار الدم وحجمه في الأوعية ، ويفيدنا هذا كثيرًا في التشخيص .

تُصور لنا الموجات أيضًا الجهاز المرارى : المرارة والقنوات المرارية داخل
الكبد وخارجه ، وهو موضوع قائم بذاته سنشرحه في فصول « المرارة »
و« اليرقان » .

ثم هناك عضوان آخران مرتبطان بالكبد هما البنكرياس والطحال . أما
البنكرياس ، فيحتاج إلى إعداد جيد ومهارة خاصة ، لصعوبة تصويره ، إذا
حجبه الغازات المتجمعة في الأمعاء . ونستطيع أحيانًا تمييز أورام البنكرياس
وأكياسه إذا كان حجمها كبيرًا ، خاصة إذا سدّت القنوات الصفراوية وظهر
تمدد لها واضحا . وعمومًا نلجأ عادة إلى وسائل أخرى تصويرية متى اشتبهنا في
أمراض البنكرياس وأورامه ، أهمها الفحص بأشعة الكمبيوتر المقطعية ، ثم
تلوين قناة البنكرياس والقنوات المرارية بواسطة المنظار .

وأما الطحال ، ذلك الرفيق الملازم لأمراض الكبد ، فيسهل تصويره
بالموجات فوق الصوتية : حجمه ، وشكله ، وتجانسه ، وهل به بؤرات غريبة
كالورم أو الكيس أو الخراج ، وما قطر وريد الطحال ، وهل هو سالك أم
مسدود ، وهل هناك أوردة جانبية (الدوالي) مرتبطة بالطحال ؟

تكشف الموجات كذلك ، عن محتويات البطن الأخرى : الاستسقاء
(السائل المتجمع في التجويف البريتونى) وكميته ، وهل هو حرّ طليق أم
محصور بين التصاقات الأحشاء ؟ والغدد (العقد) اللمفية الدفينة ، حول
شريان الأورطى أو في مساريق الأمعاء ، هل هى ورمية أم درنية ؟

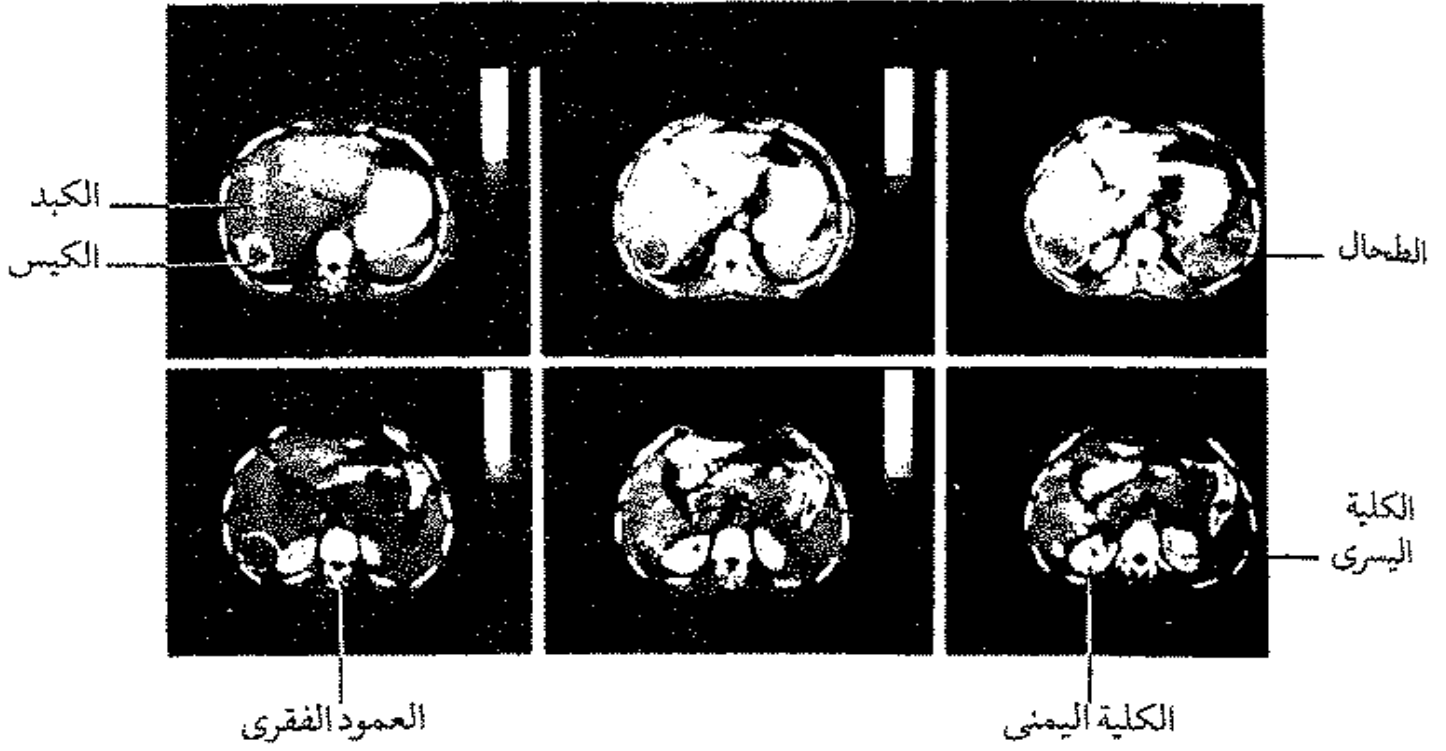
يستطيع الفاحص المجرب أيضًا أن يتنبه إلى أجزاء أخرى من البطن قد تبدو

بعيدة الصلة بالكبد ومتعلقاته المباشرة ، مثل الكلية أو الرحم أو المبيض ؛ فقد تكون مصدر ورم تنتشر ثانوياته إلى الكبد أو إلى البريتون .

ثم هناك وسيلة مفيدة لتشخيص الأورام والأكياس والخراجات ، وغيرها من «البؤرات» الغريبة في جسم الكبد وغيره (كالبنكرياس أو الطحال مثلا) ، وذلك بإدخال إبرة لشفطها أو لأخذ عينة منها مَوْجَّهة تحت بصر الموجات فوق الصوتية وتوجيهها . والطريقة نفسها تستخدم لتوجيه الإبرة في هدى أشعة الكمبيوتر المقطعية .

ثانيا : التصوير بأشعة الكمبيوتر المقطعية - Computerized Tomogra- phy (CT) : في هذه الطريقة ، تستعرض الأشعة محتويات البطن (بما فيها الكبد) ، على شكل مقاطع أفقية متتابعة ، من أعلى البطن إلى أسفلها ، في شرائح يقوم الكمبيوتر بتجميعها لرسم أعضاء البطن المختلفة . ويضاف إلى هذا الفحص عادة ، تلوين القناة الهضمية أو القنوات المرارية أو الأوعية الدموية ، بأصبغ معتمة تساعد في تحديد البناء التشريحي للأعضاء .

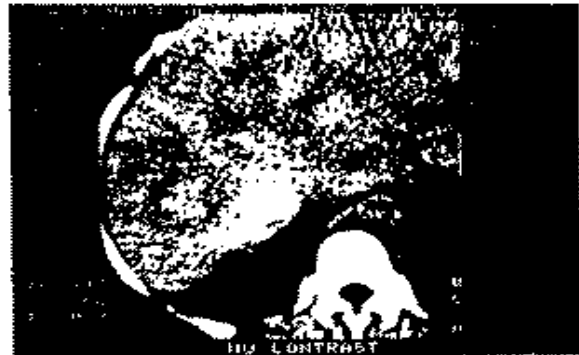
والفحص بأشعة الكمبيوتر المقطعية ، وسيلة معقدة ومكلفة ، يمكن الاستعاضة عنها بفحص الموجات فوق الصوتية في كثير من الحالات البسيطة ، أو لغرض المسح الطبى الشامل . لكنّ أشعة الكمبيوتر لها فائدها المميزة في تشخيص أسباب اليرقان ، وتحديد أنواع « البؤرات » المختلفة في الكبد ، والنفاذ إلى الأجزاء الدفينة في البطن ، مثل البنكرياس والعقد اللمفية المجاورة لشريان الأورطى . هذه الأماكن العميقة يصعب أحيانا الوصول إليها بالموجات فوق الصوتية ، خاصة في البدنين ، أو عند انتفاخ الأمعاء بالغازات .



(أ) مقاطع متتالية تبين كيس الهيداتيد في فص الكبد الأيمن
(لاحظ الرواسب الجيرية في جدار الكيس)



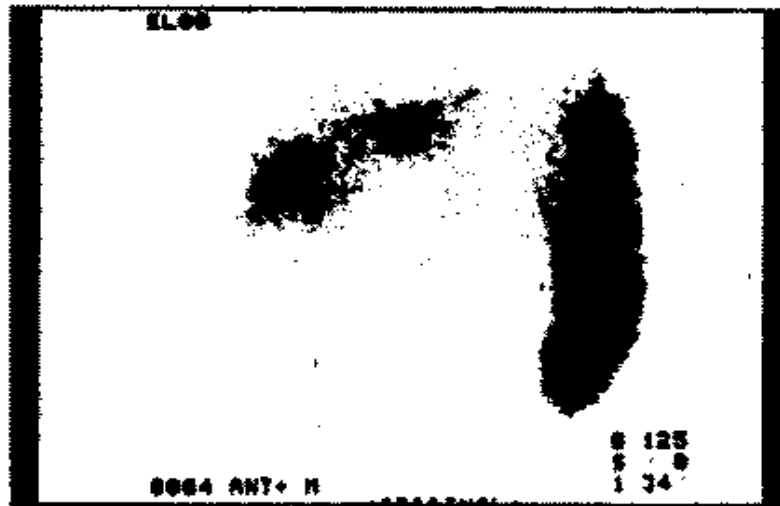
(جـ) سرطان في رأس البنكرياس



(ب) أورام ثانوية منتشرة بالكبد

ثالثا : التصوير بالرنين المغناطيسى Magnetic Resonance Imaging (MRI) : هذه الطريقة المبتكرة ، هي أحدث وسيلة لفحص أجزاء الجسم ، باستخدام مبادئ فيزيائية معقدة مرتبطة بنشاط الذرة والنواة ، ليس هنا مجال الإسهاب فيها . يكفى أن نقول إن هذا الفحص الجديد لدراسة الكبد وأمراضه لا زال في مرحلة تجريبية مبكرة ، وهو يبشر بالخير لأنه مأمون ولا يتعرض لأخطار الإشعاع ، إلا أنه باهظ التكلفة . أهم استعمال له حتى الآن هو اكتشاف البؤرات الغريبة في جسم الكبد وخاصة الأورام ، لأن بعض هذه يفلت من عين أشعة الكمبيوتر المقطعية وغيرها من وسائل التصوير .

رابعا : المسح بالنظائر المشعة - Scintigraphy (Radio - isotope Scanning) : تستعمل النظائر المشعة حقناً في الوريد ، على نوعين رئيسيين : الأول ، باستعمال مادة التكنشيوم المشع الذى يتركز في خلايا الجهاز الشبكي البطاني فينتشر في جسم الكبد ويتوزع توزيعاً متجانساً إذا كان الكبد سليماً ،



تليف الكبد وتضخم الطحال
(لاحظ اختفاء النظير من الكبد وتراكمه في الطحال)

فيرسم شكله وحجمه ، ويمكن تصويره من أمام ومن خلف ومن الجانب .
أما في حالات تليف الكبد ، أو التهاب الكبد الشامل ، فيخفت تركيز النظير
المشع في الكبد ويتقل أكثره إلى الطحال ونخاع العظم . وأما في حالات
البؤرات الغريبة ، كالورم أو الخراج أو الكيس السائل ، فتظهر كفجوات
«باردة» في جسم الكبد متى تجاوز قطرها ٢ سم . أما الاستعمال الثانى ، فهو
بمادة الهيدا HIDA التى تتركز في خلايا الكبد ، ومنها تفرز إلى القنوات المرارية ،
فترسم لنا مسارها ، وتساعدنا في تشخيص أمراض المرارة ، وفي التفريق بين
أسباب اليرقان : هل هو من داخل الكبد أو من انسداد خارجيه ؟

وعلى العموم ، يعتبر التصوير بالنظائر المشعة في أمراض الكبد محدود
القيمة ، بعد استحداث الوسائل الجديدة كالموجات الصوتية والأشعة
المقطعية .



تلوين الجهاز المرارى بالصبغة بواسطة المنظار
(لاحظ الحصاة الكبيرة في كيس المرارة في يسار أسفل الصورة)

خامسا : التصوير الإشعاعي (X-Ray) Radiography : لازال التصوير بالأشعة السينية ، يجد مكانه في مزاحمة الوسائل الحديثة المبتكرة . فصورة أشعة البطن البسيطة ، أى بدون إضافة الأصباغ الملونة ، يمكن أن تبين شكل الكبد وحجمه ، خاصة حافته العليا الملاصقة للحجاب الحاجز الأيمن ، والتي تبرز وتتحدّب إذا كان في الكبد خراج أو ورم كبير . كذلك تين الأشعة البسيطة الرواسب الجيرية المختلفة : حصوات المرارة المعتمة (٢٠٪) ، الرواسب الكلسية (المكونة من الكالسيوم) في البنكرياس أو في نسيج الكبد ، أو في العقد اللمفية أو في جدار شريان الأورطى .

سادسا : أما الأصباغ أو المواد المعتمة فيمكن استعمالها مع الأشعة لتلوين مسالك مختلفة : المرارة والقنوات المرارية يمكن تلوينها بالصبغة عن طريق الفم ، أو بالحقن في الوريد ، أو عن طريق منظار المعدة والاثنا عشرى ، أو بالحقن المباشر في لحم الكبد . الأوعية الدموية يمكن تلوينها بحقن الأوردة (كورريد الطحال والوريد البايى للكشف عن دوالى المرىء والمعدة) أو بحقن شريان الكبد (للكشف عن أورام الكبد) . القناة الهضمية كما هو معروف يمكن تلوينها بمادة الباريوم ، وبهنا هنا في مجال الكبد الكشف عن دوالى المرىء والمعدة ، وعن أورام الكبد والبنكرياس .

سابعا : ثم هناك أخيراً إضافة جديدة هي الفحص الإشعاعى التداخلى **Interventional Radiology** يحاول أن يساعد ويساهم في تشخيص الأمراض وعلاجها . فمثلاً يستطيع طبيب الأشعة ، بالتعاون مع الباطنى ومع الجراح ، أن يأخذ عينة محددة وموجهة من بؤرة معينة في جسم الكبد ، أو أن يأخذ عينة « صعبة » من كبد منكمش ومعرض للنزف ، ويستطيع عندئذ باستعمال قسطرة خاصة أن يسد الثغرة الناجمة عن بزل العينة . يستطيع أيضاً أن يحقن

أورام الكبد حقناً موجهًا بالعلاج الكيميائي ، أو أن يفرج عن انسداد القنوات المرارية بإدخال قساطر أو أنابيب خاصة من خلال المنظار وفي هدى الأشعة .

(جـ) الفحص المنظاري :

هناك ثلاثة مناظير رئيسية لفحص الكبد وملحقاته :

أولاً : منظار الجزء العلوى من القناة الهضمية : يفحص المرىء والمعدة والاثنا عشرى ، ويكشف لنا عن دولى المرىء والمعدة في حالات تليف الكبد وارتفاع ضغط الوريد البابى : ما مدى انتشار الدوالى ، وما حجمها ، وهل هى متسلخة أو مُندرة بالنزف ؟ وما حال المعدة وغشائها المبطن : هل هى محتقنة ؟ هل بها تسلخات أو قروح ؟ ثم الاثنا عشرى : هل به قروح ؟ هل هناك ورم أو تضخم في حلمة الاثنا عشرى أو في رأس البنكرياس ؟

نستطيع أيضًا بفضل المنظار أن نحقق الدوالى بمواد مجلطة لوقف النزف منها ومنع تكراره .

ثانياً : منظار تلوين القنوات المرارية وقناة البنكرياس (ERCP) : هذا المنظار مشابه للمنظار السابق ، إلا أن الرؤية فيه جانبية وموجهة لفحص حلمة الاثنا عشرى وإدخال أنبوبة رفيعة (قسطرة) من خلالها لتلوين قناة البنكرياس وقناة الصفراء المشتركة ، وبعدها لتلوين المرارة والقنوات الصفراوية خارج الكبد وداخله . نحن إذن نلوّن « الشجرة الصفراوية » من أسفل إلى أعلى ، بعكس التصوير التقليدى (التلوين) متى تعذر هذا في حالات اليرقان . عندئذ نستطيع تحديد مكان الانسداد في اليرقان : هل هو من داخل الكبد أم من خارجه ؟ من حصاة في القناة الصفراوية أم من ورم في رأس البنكرياس ؟

نستطيع أيضًا أن نمارس نوعًا من العلاج المنظارى والتدخل الإشعاعى ،
كأن نشق حلمة الاثنا عشرى لفك اختناق القناة الصفراوية وإخراج حصاة
محصورة فيها ، أو « لزرج » أنبوب صغير فى أسفل القناة يفتح الطريق لورم
خبيث يسد المرور .

ثالثا : منظار تجويف البطن البريتونى : يحاول هذا المنظار الخاص أن
يستكشف محتويات البطن ويتجول فى جوفه بعد نفخه بالهواء ، فهو بمثابة
بديل للجراحة الاستكشافية .

نوجه الاهتمام أولا إلى الكبد : ما شكله وحجمه ولونه وقوامه ؟ هل هو لين
أملس ، أم يابس مُحَبَّب ؟ هل به عُقَد أو أورام أو أكياس ؟ هل به التصاقات ،
أو أوردة محتقنة ، أو أوعية لفية متمددة ؟ وما حال المرارة : طبيعية ملساء ، أو
مسدودة منتفخة ، أو ملتهبة ومثليفة ؟ إننا نستطيع من خلال المنظار أن
نحس قوام الكبد ، وأن نحس بالحصيات فى كيس المرارة ، ونستطيع طبقا أن
نأخذ عينة مباشرة من الكبد نراها رأى العين .

ثم نتجه يسرة إلى الطحال : ما حجمه وشكله ولونه وقوامه ؟ هل به أورام
أو أكياس ؟ هل حوله التصاقات أو أوردة محتقنة ؟ ثم نلقى نظرة شاملة إلى
المعدة والأمعاء لأننا لا نستطيع أن نرى إلا سطحها الأمامى .

أما البنكرياس ، فبعيد عنا فى عمق البطن لا نراه . لكننا نستطيع أن
نتفحص تجويف البريتون الذى يكسو جدران البطن ويحميها . هل هو
طبيعى أملس لامع ، أو ملتهب غاضب ، أو مغطى بالبثور الدرنية ؟ هل
هناك سائل متجمع فى تجويف البريتون (استسقاء) ؟ ما مقداره ولونه وقوامه ؟
نستطيع طبقا أن نجتمع منه كمية كافية ، لفحصه بكتريولوجيا وباثولوجيا ،

بحثًا عن طبيعة خلاياه . ونستطيع أيضًا أن نأخذ عينة من بشور البريتون أو التصاقات أو أورامه .

ثم نتجه بعد ذلك إلى حوض البطن : نفحص قاع المثانة ، وفي النساء نفحص الرحم والمبيضين والبوقين .

ونستطيع من خلال منظار البطن أن نقوم أيضًا بعمليات جراحية محدودة : ربط البوقين لمنع الحمل وتحديد النسل ، شفط كيس المبيض ، استئصال المرارة وحصاها ، استئصال الزائدة الدودية الملتهبة في بعض الحالات المناسبة .

(د) الفحص المعملی :

اختبارات الكبد المعملية كثيرة ، أكثرها شيوعًا واستعمالًا : التحليلات الكيميائية لاختبار وظائف الكبد . لكن أنواعًا أخرى يُحتاج إليها عادة لتقييم حالة الكبد ، منها : صورة الدم وفحوصه المختلفة ، والتحليل المناعية ، والميكروبيولوجية ، وعشرات أخرى يضيق عنها المجال لذكرها تفصيلًا .

أولًا: لمحاليل وظائف الكبد: تقسم عادة إلى أربع مجموعات من التحاليل ، غرضها تقييم كل مجموعة من وظائف الكبد الأربعة الرئيسية ، وهي في الوقت ذاته تكشف عن مكونات الكبد التشريحية والبنائية الأربعة الرئيسية . وإليك بيانها :

(١) وظائف الخلايا الكبدية نفسها ، التي تخلق الكثير من عناصر الجسم الأساسية مثل زلال البلازما الذي يحافظ على توازن البروتين والماء في الجسم ، ومثل البروثرومين اللازم لتوازن تجلط الدم ، ومثل الإنزيمات (ترانسامينازات GOT , GPT) المساعدة في التفاعلات الكيميائية ، والتي تتركز خلايا الكبد

على الاحتفاظ بها ، حتى إذا التهبت أو ماتت تسربت الإنزيمات منها إلى مجرى الدم فارتفعت نسبتها .

(٢) وظائف الصفراء وغيرها من المواد الأخرى التى يتعامل معها الكبد ويعمل على إفرازها ، وأهمها نسبة البليروبين فى الدم (مقترن وغير مقترن ، أى مباشر وغير مباشر) ، ونسبة اليوروبيلين (جين) فى البول ، وإنزيم الفوسفاتاز القلوى AP وشبيهه إنزيم جاما جلوتاميل ترانسبيتيداز GGT ، وكلاهما ترتفع نسبته فى حالات الانسداد المرارى ، إلا أن الثانى قد يرتفع أيضًا مع اختلال خلايا الكبد فى حالات الخمر (الكحول) ومضار بعض الأدوية .

(٣) وظائف الجهاز الشبكى البطانى ، وهو كما قلنا جزء أساسى فى بناء الكبد ، ويتنشر أيضا فى أنسجة الطحال والعقد اللمفية ونخاع العظم وغيرها من الأنسجة . ويقوم هذا الجهاز بتخليق الجلوبيولينات ، وهى بروتينات الدم التى نميزها بطريقة « الاستشراد الكهربائى Electrophoresis » لإمرار تيار كهربائى فى البلازما يفصل الزلال ، الذى هو نتاج وحيد للخلايا الكبدية ، عن الجلوبيولينات ، وخاصة فصيلة جاما جلوبيولين ، التى هى نتاج النسيج الشبكى البطانى وترتفع نسبته فى الالتهاب الكبدى المزمن وفى تليف الكبد .

(٤) وظائف الأوعية الدموية التى تتخلل جسم الكبد من شرايين وأوردة وجيبات ، هذه تكشف عنها بصبغ خاص مثل بروم سلفالين Bromsulphalein أو إندوسيانين الأخضر Indocyanin Green ، نحقنها فى الدم ونحسب مدى تصفيتها من الكبد كمقياس لمرورها من خلال أوعيته الدموية .

عندما نطلب من المعمل ، أو نتلقى منه ، تحاليل كيميائية كثيرة عن وظائف الكبد فإننا لا ننسقط فيها أى اختلال يدل على المرض كيفما اتفق ، بل

نحاول أن نستشف من هذه النتائج معنى معيناً ونمطاً محددًا لموقف الكبد ،
 آخذين في الاعتبار دائماً أن الكبد هو في الحقيقة أربعة أعضاء في واحد ، أو قل
 هي أربع وحدات في كبد واحد ، كل وحدة منها بنائية -وظيفية في آن واحد :
 وحدة الخلايا الكبدية (تخليق) ، وحدة الصفراء (إفراز) ، وحدة النسيج
 الشبكي البطاني (مناعة) ، وحدة الأوعية الدموية (دوران الدم) .

خذ مثلاً نسبة البروتينات في الدم ، قد تبدو لأول وهلة طبيعية (مثلاً ٧
 جم %) ، ولكننا إذا فصصناها إلى مكوناتها ، الزلال مثلاً ٢ جم والجلوبيولين
 ٥ جم ، وجدنا النسبة بينها مقلوبة ، وكان ذلك دليلاً على مرض شديد
 بالكبد كالتليف (عمُجَز في تخليق الزلال من الخلايا الكبدية ، ونشاط مَرَضِي
 في مناعة النسيج الشبكي المنتج لجاما جلوبيولين) .

أو خذ مثلاً نسبة البليروبين (الصفراء) في الدم إذا كانت مرتفعة في
 حالات اليرقان فإننا لن نفهم مغزاها وسببها إلا إذا فككنا البليروبين إلى مباشر
 (مقترن) وغير مباشر (غير مقترن) ، ونظرنا أيضاً إلى الإنزيمات :

بليروبين غير مباشر	بليروبين مباشر	إنزيمات خلوية	إنزيمات إفرزية
±	±	GPT GOT	GGT AP
+	±	++	± أو +
±	+	±	++

يرقان خلوي (التهامي)
 يرقان قنوي (السدادي)

ثانياً : هناك طبعا تحاليل كيميائية أخرى كثيرة ، قد يُحتاج إليها لتقييم
 الكبد في حالات معينة : نسبة السكر في الدم مثلاً في مرض السكر المصحوب
 باختلال الكبد ، أو نسبة الكولستيرول في أمراض التشحم ، أو نسبة الأيونيا
 (النشادر) في حالات الغيبوبة الكبدية ، أو نسبة الحديد أو النحاس في الدم في
 أمراض معينة ترسب في الكبد ، أو البحث عن بروتين معين (ألفا فيتوبروتين)

ترتفع نسبته في الدم في سرطان الكبد الأولي ، أو قياس نواتج مادة الكولاجين (بروكولاجين من النوع الثالث) في تليف الكبد .

ثالثًا : محاليل مناعية : أكثر هذه استعمالاً نوعان : الجلوبيولينات المناعية ، وأهمها ثلاثة - جلوبيولين IgG ترتفع نسبته في الالتهاب الكبدي المزمن النشط وفي تليف الكبد . جلوبيولين IgM ترتفع نسبته ارتفاعاً شديداً في تليف الكبد المراري الأولي ، وأقل من ذلك في الالتهاب الكبدي الفيروسي وفي أنواع التليف الأخرى . جلوبيولين IgA ترتفع نسبته في تليف الكبد خاصة الناجم من الكحول .

أما الأجسام المضادة غير النوعية فأهمها مضاد الميتوكوندريا ، وله قيمة تشخيصية كبيرة في تليف الكبد المراري الأولي .

هناك أيضاً محاليل مناعية كثيرة بالغة الأهمية في تشخيص أمراض معينة ، مثل الالتهاب الكبدي الفيروسي بأنواعه ، وإصابة الكبد بالطفيليات كالبلهارسيا والأميبيا والفاشيولا والهيداتيد ، وأمراض المناعة الذاتية وتليف الكبد ، وكثير غيرها سنرجئ الحديث عنها إلى أماكنها المناسبة في الكتاب .

رابعًا : صورة الدم ومحاليله : تختلف صورة الدم في كثير من أمراض الكبد ، خاصة في تليف الكبد ، ويزداد الخلل إذا كان مصحوبًا بالاستسقاء ، عندئذ يزداد حجم الدم من الزيادة في نسبة البلازما على حساب الكرات الدموية ، أي يصبح الدم مخففًا . كذلك يحدث أحيانًا أن يتضخم الطحال و«يتوخش» ، فيلتهم الكرات الحمراء أو البيضاء أو الصفائح الدموية ، بعضها أو كلها ، ونواجه ما نسميه « فرط الطحالية hypersplenism » .

الكرات الحمراء تنقص عددها في تليف الكبد عادة ، وقد يكبر حجمها أو يصغر ، وتنقص نسبة الهيموجلوبين . هذه الأنيميا لها أسباب عدة في مرض

الكبد ، منها سوء التغذية ، والنزف من القناة الهضمية خاصة دوالي المريء والمعدة ، وضعف تجلط الدم ، ونقص حمض الفوليك وفيتامين ب ١٢ اللازمين لتكوين الكرات الحمراء . ثم هناك مجموعة من أمراض الدم نسميها « الأنيميا التحليلية hemolytic anemias » تؤدي إلى تحلل الكرات الحمراء لأسباب مختلفة ، وتصاحبها عادة أعراض وعلامات لإصابة الكبد والطحال يسهل تشخيصها بالوسائل المعملية .

الكرات البيضاء هي الأخرى ينقص عددها في مرضى تليف الكبد ، ولكنها تزيد في مرضى التهاب القنوات المرارية وفي خراج الكبد وسرطان الكبد .

صفائح الدم لها وظيفة مزدوجة : سد الشغرات في جدران الأوعية والشعيرات الدموية ، والمشاركة في تجلط الدم عند الحاجة . واختلال الصفائح قد يكون كماً أو كيفاً ، أى من نقص في عددها أو في وظائفها (تجمعها وتلاصقها) ، وهذا الاختلال شائع في كل أمراض الكبد ، إلا أنه إذا زاد عن حدّه تسبب في أعراض سرعة النزف ، كما في الأنف والثة ، وكدمات الجلد ، والفُرْفُرِيَّة التي سبق أن وصفناها . وتزداد شدة الأعراض بازدياد نقص الصفائح كما في حالة « فرط الطحالية » ، وقد تصاحبه الأنيميا الشديدة ونقص الكرات البيضاء .

أما تجلط الدم blood coagulation ، فعملية ضخمة ومعقدة يحتاج شرحها إلى كتاب قائم بذاته . يكفي أن نقول ، في معرض الكلام على الكبد وأمراضه ، إن ما لا يقل عن ٢٠ عاملاً أساسياً يشارك في عملية التجلط ، كلها بروتينية في طبيعتها ، وأكثرها يحتكر الكبد تخليقها أو يشارك فيها .

وتبدأ القصة باختصار شديد ، وبمتمهى التبسيط ، بإدتين أوليين في الدم

الطبيعى ، هما البروثرومبين والفيبرينوجين . وعندما ينزف الدم من وعاء مقطوع يتحول البروثرومبين إلى ثرومبين ، ويقوم هذا الثرومبين هو الآخر بتحويل الفيبرينوجين إلى فيبرين ، وهذا هو الهدف الأخير لتكوين شبكة ليفية محكمة تسد الشغرة في الوعاء النازف :

فيبرينوجين
 بروثرومبين ← ثرومبين ↓
 فيبرين

هذه القصة البسيطة وراءها أدوار وممثلون كثيرون ، نشفق على القارئ من تفاصيلها ، وسنذكر بعضاً منها في أماكنها المناسبة من فصول الكتاب الأخرى . يكفى مرة أخرى أن نقول إن كثيراً من هذه العوامل (الممثلين) المشاركة في التجلط يعتمد تخليقها على فيتامين ك ، وهو بدوره يحتاج إلى أملاح الصفراء لامتناعه مع الدهون من الأمعاء .

الكبد إذن هو سيد الموقف ، وقائد الأوركسترا ، وكاتب السيناريو ، ومخرج المسرحية . لا غرو إذن أن تكون سيولة الدم من أهم أعراض مرض الكبد وعلاماته . وأهم اختبار له هو قياس سرعة ونسبة البروثرومبين ، أما بقية التحاليل لمراحل التجلط الأخرى فمعقدة ومكلفة ، ويندر أن نحتاج إليها في فحوصنا الروتينية .

خامساً : تحاليل ميكروبيولوجية : يقصد « بالميكروبيولوجيا » الكائنات الحية الدقيقة من فيروسات وبكتريا وفطريات وطفيليات وحيدة الخلية أو ديدان . هذه الكائنات الحية تنتقل بالعدوى إلى الإنسان ، وكثيراً ما تصيب الكبد بأنواع شتى من المرض .

ونحاول عادة لتشخيص مثل هذه الأمراض أن نعثر على الكائن المسبب بوسيلة مباشرة إن أمكن ، أى بالفحص الميكروسكوبى (الضوئى ،

والإلكترونى إذا لزم) ، وإلا لجأنا إلى الوسائل غير المباشرة وأشهرها الفحص المناعى ، كالبحث عن الأجسام المضادة للكائنات المسببة للمرض ، وقد سُهل لنا هذا كثيراً بالطريقة المبتكرة المعروفة بالإنليزا ELISA لفحص الأجسام المناعية .

نحن إذن نبحث عن هذه الميكروبات فى سوائل الجسم وإفرازاته وأنسجته بكل الطرق الممكنة :

البول : هل هو ملوث بالبكتريا والصدئ ؟ هل به بويضات لديدان البلهارسيا ؟ هذه التغيرات قد تكون لها انعكاسات على حالة الكبد .

البراز : هل به عدوى بكتيرية ، أو طفيلية (أميبا) ، أو بويضات ديدان (بلهارسيا ، أسكارس ، فاشيولا) ؟ كل هذه الكائنات الغريبة قد تنتقل إلى الكبد وتُمرضه .

الدم : نفحص الدم مباشرة على شريحة مصبوغة بحثاً عن طفيلي الملاريا أو غيره من طفيليات الدم وميكروباته ؛ ثم نزرع الدم ونفحصه بكتريولوجياً بالوسائل العادية إذا اشتبهنا فى عدوى تصيب الكبد ، مثل الحمى التيفودية والحمى المالطية . أما العدوى بالفيروسات ، كالتهاب الكبدى الفيروسى ، والحمى الصفراء ، والحمى الغدنية ، وغيرها ، فنشخصها عادة بالوسائل المناعية غير المباشرة ، ويندر أن نلجأ إلى الميكروسكوب الإلكترونى للفحص المباشر ، إلا لأغراض البحث الأكاديمى أو فى الحالات الغامضة .

البصاق : يُفحص هذا لميكروب الدرن إذا اشتبهنا فى إصابة الكبد أو البريتون به ، ويفحص معه عادة اختبار الجلد للتيوبركلين (المادة المستخلصة من ميكروب الدرن لاختبار الحساسية) .

سائل الاستسقاء : في حالات الاستسقاء ، خاصة إذا كانت عتيمة لا تستجيب للعلاج بالأدوية المدرة للبول ، فإننا نشطف من هذا السائل كمية تكفى لفحصه كيميائياً وبكتريولوجيا وسيتولوجيا (خَلَوِيَا) للبحث عن أى عدوى ميكروبية أو خلايا سرطانية .

(هـ) الفحص الباثولوجى وعينة الكبد :

ينزعج كثير من المرضى عندما يُطلب إليهم أخذ عينة من الكبد لفحصه : يشفقون من ألم الوخز ، ويتوجسون من مخاطره . ونحب بادئ ذى بدء أن نطمئنهم ، ونرى من حقهم ، ومن واجبنا ، أن نشرح لهم موضوع عينة الكبد شرحاً مطولاً ومفصلاً .

عينة الكبد (خِزْعة الكبد liver biopsy) وسيلة قديمة لفحص الكبد ، تاريخها أكثر من قرن ، ونحن نمارسها يوميًا وبصورة روتينية طوال الخمسين عامًا الماضية . لماذا ؟ لأنها وسيلة أساسية لفحص نسيج الكبد ، يتعذر أحيانًا بدونها تشخيص المرض تشخيصًا دقيقًا وعلاجه علاجًا ناجحًا رغم كل الوسائل الأخرى المستحدثة من مناظير وموجات وكمبيوترات . ولماذا أيضًا ؟ لأنها وسيلة مأمونة متى اخترنا الحالة المناسبة وأعدنا الاحتياطات اللازمة لأخذ العينة ؛ نسبة الوفاة ١ : ١٠,٠٠٠ (واحد من كل عشرة آلاف مريض أخذت منه العينة) .

أولاً : دواعى الفحص : نحتاج لعينة الكبد في المرض المزمن أكثر من حاجتنا إلى المرض الحاد . نريد مثلاً أن نعرف : هل الكبد مصاب بالتهاب مزمن ؟ وإذا كان ملتهبًا فهل هو نشيط أم ساكن ؟ وهل الكبد متليف ؟ وما نسبته ؟ (سؤال يسأله المرضى بإلحاح) . وما نوعه وسببه ؟ هل هو فيروسى ، أو مناعى ، أو بلهارسى ، أو كحولى ، أو مرارى ؟

إن التهاب الكبد الحاد لا تتعرض له عادة بأخذ العينة ، ومعظم حالات اليرقان يمكن تشخيصها الآن بالوسائل الجديدة ، كالموجات فوق الصوتية والأشعة المقطعية والمناظير ، دون حاجة إلى عينة من الكبد ، إلا أن حالات معينة من مرض الكبد ، مثل إصابات الكبد الناجمة من الكيمياءويات أو بعض الأدوية الضارة ، أو من عدوى غامضة المصدر كالدرن أو الالتهاب الأميبي أو الإصابة بالفطريات أو الطفيليات ، أو بعض حالات اليرقان التي تستعصى على الوسائل التشخيصية الأخرى - كل هذه دواعٍ لأخذ عينة من الكبد متى تحفظنا للاحتياطات اللازمة .

نحن نحتاج أيضًا ، وبلهفة ، إلى معرفة طبيعة « البؤرة focus » أو البؤرات الغريبة في جسم الكبد متى اكتشفنا وجودها بالموجات فوق الصوتية أو أشعة الكمبيوتر المقطعية ، عندئذ نحاول عادة أن نسبر غورها بعينة موجهة إليها في هدى وسائل التصوير هذه ، وقد نكتفى إذن بإبرة رفيعة جدًا تجمع لنا بعض الخلايا لفحصها فحصًا خلويًا (سيتولوجيا) يبين لنا طبيعتها ، وهل هي حميدة أو سرطانية .

وهناك على العكس بؤرات أخرى نتجنب عادة وخزها بالإبرة إذا كانت وربما حينًا من الأوعية الدموية ، أو كيسًا طفيليًا من الديدان الشريطية المعروفة باسم « هيداتيد » ، تجنبًا للنزف أو للحساسية ، ونكتفى عادة بمتابعة الحالة والتصوير بالموجات حتى نطمئن .

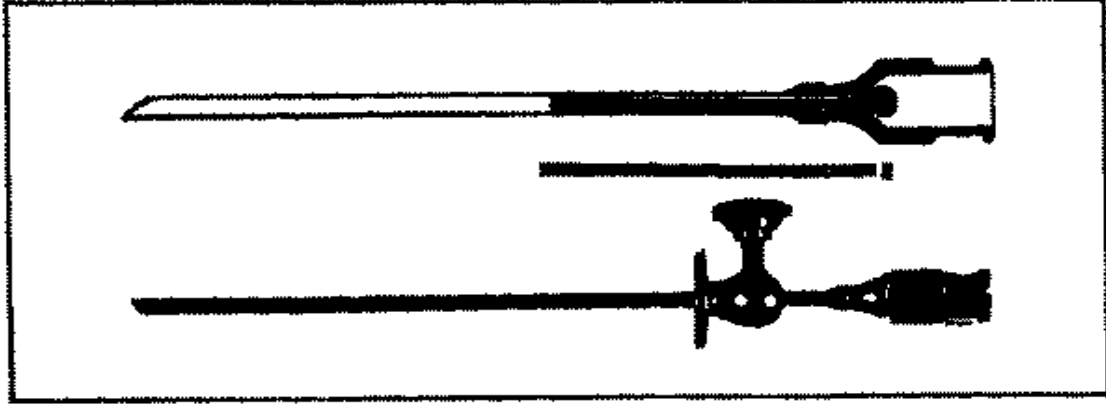
ثم نحتاج أخيرًا إلى عينة الكبد في أمراض عامة تشمل الكبد ضمن أعضاء أخرى مصابة ، نريد أن نحدد موقف الكبد من هذا المرض ، وأحيانًا تكون عينة الكبد هي الوسيلة الوحيدة لتشخيص المرض إذا كان غامضًا أو نادرًا ، مثل تشحم الكبد lipoidosis (ترسيب الدهن في الكبد) ، والنشوانية

amyloidosis (ترسيب مادة شبه نشوية في الكبد والأنسجة الأخرى) ،
والغَرَناوِيَّة sarcoidosis (عقد التهاوية حبيبية تصيب الكبد والرئة والغدد
اللمفية) ، والسَّل الدُّخْنِي miliary T.B. (هذا قد لا تكشفه أشعة الصدر ولا
اختبار الدرر ، ولكن عينة الكبد تكشفه عادة) ، والأورام اللمفية lympho-
ma بما فيها مرض هودجكين Hodgkin's disease .

ثانيًا : محاذير الفحص : نحن نتجنب عينة الكبد عادة إذا كان الكبد
صغيرًا منكمشًا ، أو كان الاستسقاء ممتلئًا مشدودًا ، أو كان أداء الكبد منهارًا
أو منذرًا بالغيوبة ، أو كانت هناك أمراض بالدم تدعو إلى النزف . نحن نصر
ألا يزيد زمن البروثرومين عن ثلاث ثوان زيادة على الزمن الطبيعي ، وألا
يقل عدد صفائح الدم عن ٨٠,٠٠٠ . وفي حالات الضرورة ، إذا كان عدد
الصفائح حرجًا ، حَقْنَا المريض بصفائح الدم المركزة قبل أخذ العينة ؛ وإذا
كان التجلط هو الآخر حرجًا ، أعددنا البلازما الطازجة المجمدة للضرورة .
وفي كل الحالات يجب أن تكون فصيلة دم المريض معروفة ، وأن يكون الدم
اللازم للنقل متاحًا عند الحاجة ، وأن يحقن المريض بفيتامين ك قبل وبعد
العينة .

ثالثًا : أخذ العينة : هناك نوعان من الإبر المستعملة لعينة الكبد : إبرة
منجيني Menghini ، وإبرة تروكت Trucut . الأولى أصغر حجمًا وأسرع زمنيًا
وأقل ثمنًا ، ولكن البعض يفضلون الثانية في حالات تليف الكبد خاصة
للحصول على عينة كبيرة ومتناسكة .

نوجه الإبرة عادة ، بعد تخدير الجلد وما تحته تخديرًا موضعيًا ، إلى فص
الكبد الأيمن بدفع الإبرة في المسافة بين الضلعين الثامن والتاسع ، أو بين
التاسع والعاشر في الخط الأوسط للإبط الأيمن ، دفنًا سريعًا يلتقط من لحم



إبرة عينة الكبد

الكبد أسطوانة رقيقة طولها نحو ٢ سم وقطرها نحو ٤ و ١ ملليمتر ، ثم نسحبها سريعاً ونحفظها في مادة حافظة (فورمالين) في زجاجة صغيرة .

وخز الكبد بالإبرة والتقاط العينة وسحبها قد لا يستغرق ثانية أو ثانيتين ، يُطلب إلى المريض أثناءها أن يكتم نفسه في وضع الزفير .

وفي بعض الحالات إذا كان الكبد كبيراً ، وخاصة في الأطفال ، نأخذ العينة من البطن تحت الضلوع . أو يكون فص الكبد الأيسر هو الفص المصاب أساساً ، فعندئذ نوجه العينة إليه مع الحذر حتى لا تصيب الإبرة وعاء دموياً أو جزءاً من الأمعاء .

أحياناً أيضاً نلجأ إلى عينة الكبد بطرق غير تقليدية وفي ظروف خاصة ، كأن نوجه الإبرة بقسطرة خاصة عن طريق الوريد الودجى والوريد الكبدى ، أو عن طريق المنظار البريتونى مع فحص محتويات البطن ، أو أثناء الجراحة لاستكشاف البطن أو لاستئصال المرارة مثلاً .

رابعاً : بعد العينة : نفضل عادة أن يمضى المريض ٢٤ ساعة تحت الإشراف الطبى بالمستشفى ، وإن كان البعض يكتفى بمتابعته أثناء النهار

يُخرج بعدها إلى بيته . يُطلب إلى المريض مباشرة بعد أخذ العينة ، أن يلزم الراحة راقداً على جنبه الأيمن فوق مكان الوخز ، ويسجل النبض وضغط الدم بانتظام . بعض المرضى يحسون بألم خفيف مكان الوخز ، أو في الكتف الأيمن أو في الظهر ، ويستجيبون عادة لمُسكن بسيط .

مضاعفات العينة نادرة : النزف يتبها إليه سرعة النبض وانخفاض الضغط ، وتنداركة بنقل الدم . التهاب البلورا (غشاء الرئة) يستمر ألكة بعض الوقت ثم ينصرف تلقائياً . انسكاب الصفراء أو انتشار العدوى إلى البريتون يستجيب عادة للعلاج بالمضادات الحيوية . وكل هذه ، كما قلنا ، مضاعفات نادرة .

خامساً : الفحص الباثولوجى : فحص عينة الكبد بالعين المجردة يفيدنا كثيراً : الكبد الدهنى تطفو عيته فوق المحلول ، ويكون لونها باهتاً كالدهن ؛ اليرقان يصبغ العينة باللون الأصفر أو الأخضر ؛ وفى مرض « دوبين وجونسون » ، وهو مرض من أمراض اليرقان الخلقى ، تكون العينة قائمة بلون الشيكولاتة ؛ أما تليف الكبد فيكون ملمسه يابساً خشناً عند الوخز ، وتكون العينة عادة مفتتة .

بعد ذلك تجهز العينة بقطعها إلى شرائح تصبغ وتفحص ميكروسكوبياً . والحد الأدنى هو الصبغ الروتينى (هيماتوكسلين وأيوسين) ، وصبغ خاص لألياف النسيج الضام ، ثم صبغ ثالث (أوردسين) لفيروس الكبد ب . وأحياناً نضيف إلى ذلك أصبغاً أخرى للكشف عن الجليكوجين أو الحديد أو النحاس فى رواسب الكبد مثلاً .

أما فحص العينة بميكروسكوبات خاصة كالميكروسكوب الإلكتروني ، فيكون عادة لحالات خاصة أو لبحوث أكاديمية .

نتمنى عادة عند فحص العينة بالميكروسكوب أن نستعرض مساحة كبيرة من نسيج الكبد تكشف لنا عناصره ومكوناته ، عدة فصيصات أو أربعة مسارات بايية على الأقل ، ولكن ليست كل عينة بهذا الثراء . وعلينا أن نذكر أن عينة الكبد المأخوذة بالطريقة العادية هي عينة « عمياء » ، تعتمد على الصدفة ، وليست موجهة إلى جزء أو « بؤرة » معينة ، ولذلك يتوقف نجاحها ومصداقيتها على طبيعة المرض المفحوص ؛ فهي أصدق ما تكون في الأمراض الشاملة والمتشرة في نسيج الكبد ، وأكذبها في الأمراض الجزئية المنتشرة . وعلينا أيضًا أن نذكر أن الكبد ، في استجابته للعديد من المؤثرات ومصادر الأذى المختلفة ، رصيده الباثولوجى محدود وأنماطه قليلة . لذلك نحترق أحيانا للتمييز بين الالتهاب الكبدى الفيروسى وبين التهاب الكبد الناجم من بعض الأدوية أو الكيمياويات الضارة . ومثل هذه المواقف المحيرة تحتاج إلى خبرة طويلة ، وقد تطلب عينة ثانية بعد فترة من المتابعة .

٤ - التهاب الكبد الفيروسي

أولاً : مقدمة عن الفيروسات :

الفيروسات كائنات دقيقة أصغر حجماً من البكتريا ، يتراوح حجمها من ٠,١ إلى ٠,٣ من الميكرن (الميكرن $\frac{1}{1000}$ من المليمتر) ، وهي لذلك لا ترى عادة إلا بالميكروسكوب الإلكتروني .

هذه الكائنات لا تعيش ولا تتكاثر إلا بعد أن تغزو خلايا حية تعتمد عليها ، سواء في النبات أو الحيوان أو الإنسان ، وبعض الفيروسات تغزو البكتريا نفسها .

والفيروس قد يتخذ شكلاً كروياً أو أسطوانياً ، ويتكون من جزأين : نُبْ داخلي ، وسطح أو غطاء خارجي .

أما اللب ، فهو الحمض النووي الذي يتكاثر ويكرر نفسه ، وهو على نوعين : DNA (ح . ن . د . = الحمض النووي الديزوكسيريبوزي) ، أو RNA (ح . ن . ر . = الحمض النووي الريبوزي) .

وأما الغطاء الخارجي فمكون من البروتينات ، ومهمته حماية محتويات الفيروس ، ويقوم أيضاً بغزو الخلية عن طريق الربط بينه وبين مكونات استقبالية معينة في جسم الخلية .

عندئذ يبدأ الحمض النووي في تسخير الخلية المصابة لخدمته ، فينمو

ويتكاثر على حساب مكونات الخلية ومركز قيادته المتمثلة في الجينات (الناسلات) . هذه الخلايا المصابة قد تمراض وتنهار فتخرج منها الفيروسات ، حتى إذا غزت خلايا أخرى بدأت تنشط وتتكاثر من جديد .

والفيروسات لها ميول خاصة : منها ما يؤثر الجهاز التنفسي كما في فيروسات نزلات البرد المعروفة ، ومنها ما يؤثر الجهاز العصبي كما في فيروس شلل الأطفال ، ومنها ما يفضل الكبد ويستقر في خلاياه ، وهو على عدة أنواع .

يحاول الجسم أن يحمي نفسه من غزو الفيروسات ، ويعتمد في ذلك أساسًا على الجهاز المناعي . ومن أهم مكونات الجهاز المناعي كرات الدم البيضاء المعروفة بالخلايا اللمفية ، فهي تفرز أجسامًا مضادة لمقاومة الفيروس ، وقد تلجأ أحيانًا إلى قتل الخلايا المصابة لتتخلص من الفيروس . وعلى العكس من ذلك ، يستطيع الفيروس أحيانًا أن يشل نشاط الخلايا اللمفية ويفقدها مناعتها كما في مرض « الإيدز » .

ثانيًا : فيروسات التهابات الكبد :

هذه على أنواع ، منها ما يسبب أمراضًا معينة كالحمى الصفراء (في إفريقيا الاستوائية وأمريكا الجنوبية) ، والحمى الغدية ، والحلأ (هيريس herpes) ؛ إلا أن أكثرها شيوعًا هي مجموعة الفيروسات التي تسبب ما يعرف بالتهاب الكبد الفيروسي Viral Hepatitis ، وأفراد هذه المجموعة تسمى بحروفها الأبجدية ، أشهرها خمسة (انظر الجدول المرفق) ، وإن كانت حروف الأبجدية قابلة للزيادة مع التعرف على أفراد جدد .

تنتقل العدوى إلى المصاب بالفيروس إما عن طريق الفم ، بالماء والطعام

ملاحظات عامة	التهاب الكبدى هـ Hepatitis E	التهاب الكبدى د Hepatitis D	التهاب الكبدى ج Hepatitis C	التهاب الكبدى ب Hepatitis B	التهاب الكبدى أ Hepatitis A	نوع المرض
نوع الحصص التورى في اللب أنتيجين من سطح الفيروس أنتيجين من لب الفيروس	HEV RNA -- --	HDV (Delta) RNA D (Delta) Ag	HCV RNA -	HBV DNA HB _s Ag HB _e Ag HB _c Ag	HAV RNA HA Ag	الفيروس اسمه نوعه مولدات المصافات (مستضبات - أنتيجينات)
	Anti - HEV	Anti - D	Anti - HCV	Anti - HB _s Anti - HB _e Anti - HB _c	Anti - HAV	الأحسام المصادة
	من البراز إلى الدم وإثلى وموطن (خاصة في الهند - جنوب شرق ووسط آسيا - الشرق الأوسط - مناطق من إفريقيا - الكسبك)	عن غير الدم (حقنًا)	عن غير الدم (حقنًا)	عن غير الدم (حقنًا) متفرق في الغرب ، متوطن في الشرق	من البراز إلى الدم متفرق وراثي	وسائل العدوى مدى الانتشار
	٢٠ - ٥٠ يومًا	٢٠ - ٥٠ يومًا	١٥ - ٥٠ يومًا	٤٠ - ١٨٠ يومًا	١٥ - ٥٠ يومًا	مدة الحصاة
هذه الأرقام وأصاها أجنبية	٢٠٪ في الجوامل	٢٠٪ قد يصل إلى	١ - ٢٪	١ - ٣٪	١٪	سنة التوفيات
هذه الأرقام وأصاها أجنبية	غير معروف	٧٠ - ٩٠٪	٦٠ - ٧٠٪	٥٪	لا يحدث	الإيمان

الملوث بالبراز ، وإما عن غير طريق الفم والأمعاء - أى باختراق الجلد أو الغشاء المخاطي كما يحدث بعد الحقن أو نقل الدم . والتهاب الكبد الفيروسي قد يكون متفرقاً ، أو متوطناً ، أو وبائياً . و « اليرقان الوبائي » ، كما كان يسمى ، مرض قديم ومذكور منذ أيام أبقراط ، ويتشر هذا الوباء خاصة في ظروف الحرب ، أقربها وباء الشرق الأوسط الذي حصد آلاف الأرواح إبان الحرب العالمية الثانية .

وعندما تبين أن الالتهاب الكبدي سببه فيروس ، أمكن التمييز بين النوع (أ) المنقول عن طريق الفم ، والنوع (ب) عن غير الفم ، وبقى اعتقاد بين الأطباء بوجود نوع ثالث غير محدد سموه بالنوع « لا (أ) ولا (ب) » ، إلى أن أمكن التعرف عليه وتحديد طبيعته ، وعُلم أنه يشمل أكثر من نوع واحد ، منها الفيروس (ج) C ، الذي ينتقل من نقل الدم ، والفيروس (هـ) E الذي ينتقل عن طريق الفم . أما الفيروس (د) أو (دلتا) D ، فهو في الحقيقة فيروس ناقص ، لأنه يعتمد في تكوينه على كسوة من غطاء الفيروس (ب) ، ولذلك لا يصاب به المريض إلا من كان مصاباً أصلاً بالفيروس (ب) .

عندما يهاجم الفيروس الكبد فإنه يُشعل فيه التهاباً شاملاً : المناطق المركزية من الكبد تعاني فيها الخلايا الكبدية معاناة خاصة فتلتهب و«تتكزز» ، (أى تموت) ، والمسارات البابية تحتشد فيها أنواع من الخلايا الالتهابية ، ويظل هيكل النسيج الشبكي للكبد عادة سليماً ، حتى إذا انقضت المعركة استعاد الكبد خلاياه الجديدة مرصوفة كما كانت . إلا أن نسبة صغيرة من الحالات يعصف بها المرض عصفاً شديداً ، فتموت الخلايا الكبدية موتاً جماعياً ، وينكمش حجم الكبد وتصبح الحياة مهددة . هذا الالتهاب الكبدي المداهم fulminant hepatitis قد يشفى تماماً ، أو يتحول إلى التليف . وقد نجحت

المحاولات الحديثة لإنقاذ مثل هؤلاء المرضى المهددين بالموت بزرع الكبد بدلا من الكبد التالف .

وفي حالات أخرى من التهاب الكبد الفيروسي ، يمتد (التنكز) من المناطق المركزية إلى المسارات البابية ، فينهار الهيكل الشبكي ، وتمتد الجسور الموصلة بين المناطق المختلفة وتتحول إلى حواجز ليفية . هذا المسار الطويل ، قد يتوقف شهوياً في حالة من الهدوء النسبي نسميه الالتهاب الكبدي المزمن المتأخر chronic persistent hepatitis ، وقد يتخذ مسلكاً نشيطاً وعدوانياً ، فيزداد التنكز والتليف ، وهو الالتهاب الكبدي المزمن النشط chronic active hepatitis ، وتصبح الحالة مرشحة لأن تتحول إلى تليف الكبد liver cirrhosis .

ثالثاً : الأعراض والعلامات :

الصورة الإكلينيكية لالتهاب الكبد الفيروسي واحدة ، بالرغم من اختلاف أنواع الفيروسات ، ومع فروق معينة . وتتفاوت هذه الصورة تفاوتاً بيناً ؛ فقد يصاب المريض بالعدوى دون أن يحس بأية أعراض أو يرقان ، وبخاصة الأطفال ، بينما آخرون تشتد عليهم الأعراض ويدهمهم المرض ، فيموت منهم البعض ، والبعض يزمن فيه الالتهاب .

وفي الحالة التقليدية ، يمر المريض بأمارات وبوادر مبكرة في الأيام القليلة الأولى ، منها : التوعك والضيق ، فقد الشهية (بما في ذلك التدخين والخمور) ، غثيان أو قيء أو إسهال أو إمساك ، صداع وأوجاع في العضلات ، ارتفاع طفيف في درجة الحرارة ، ألم في فم المعدة أو في الجانب الأيمن العلوي من البطن .

ثم يظهر اليرقان ، وعلامته أن يصبح لون البول غامقًا والبراز فاتحًا ، وتراجع الأعراض ، فيستعيد المريض شهيته ، ويزول ألم البطن وارتفاع الحرارة ، ولكن الحُكَاك (الهرش) قد يظهر لأول مرة . هنا يُحَسُّ الكبد عادةً أملس ، ولكنه مؤلم بعض الشيء ، وقد يُحَسُّ الطحال أيضًا . وتنتهى مرحلة اليرقان عادةً خلال أسابيع قليلة ، ولكنها قد تورث الإعياء والاكْتئاب لفترة ، وقد تنتكس الحالة بعد التسرّع في استئناف النشاط المجهّد .

وهناك حالات من التهاب الكبد الفيروسي ، خاصة من النوع (أ) ، يطول فيها اليرقان لمدة شهور حتى يشبه الانسداد المرارى الجراحي ، وقد يحتاج الأمر إلى فحوص خاصة وإلى أخذ عينة من الكبد ، ولكن مثل هذه الحالات تنصرف عادةً انصرافاً كاملاً دون أى تدخّل جراحي .

أما التهاب الكبد المداهم ، وهو نادر ، فيتمكن من المريض خلال عشرة أيام ، ويكون اليرقان عادةً قائماً ، والدهن مشوشاً ، والقىء متكرراً ، والنفس مُتّنا ، ونزف الدم منتشرًا ، والكبد صغير الحجم حتى كأنه ذاب ، ثم تعم الغيبوبة وترتفع الحرارة ، ويندر أن يعيش المريض .

رابعًا : الفحص والتشخيص :

يظهر البليروبين (صبغ الصفراء) في البول مبكرًا قبل ظهور اليرقان ، ويساعد ذلك في تشخيص الحالات المبكرة وتمييزها من نزلات البرد والنزلات المعوية . أما البراز ، على العكس من البول ، فيبهت لونه أولاً ، حتى إذا عاد إليه اللون كان ذلك علامة طيبة تبشر بالشفاء .

صورة الدم لا تكشف كثيرًا : نقص في الكرات البيضاء ، وارتفاع في سرعة الترسيب ، إلا أنها تساعد في التفريق بين الالتهاب الكبدي الفيروسي وأمراض

أخرى مشابهة ، منها مثلاً الحمى الغددية ، والأنيميا الناجمة من تحلل الكرات الحمراء .

كيمياء الدم تبين ارتفاع نسبة البليروبين وانخفاض نسبة البروثرومين ، أما بروتينات الدم (الزلال والجلوبيولين) فلا تهتز كثيراً . وأهم من ذلك نسبة الإنزيمات (الترانسامينازات GOT , GPT) فهي دائماً مرتفعة ، حتى في الحالات التي لا يصاحبها اليرقان ، ونتوقع لها أن تعود إلى معدلها الطبيعي خلال أسابيع ، فإذا استمر ارتفاعها لأكثر من ستة أشهر ، كان ذلك نذيراً بالإلزام والحاجة إلى أخذ عينة من الكبد .

أما عينة الكبد فيندر أن نطلبها لتشخيص التهاب الكبد الفيروسي الحاد ، إنما نلجأ إليها في الحالات الغامضة كالتهاب الكبد التسمي من مواد كيميائية أو من أدوية ، أو في حالات الانسداد المراري الجراحي (وأكثرها يمكن تشخيصه بالتصوير والمنظار) .

يبقى بعد ذلك قطاع كبير ومهم وهو الفحص المناعي والسيرولوجي لتشخيص أنواع الفيروسات المختلفة : دلالاتها ، ومولدات المضادات (الأنتيجينات) ، والأجسام المضادة - وسنرجئ هذا إلى الكلام التفصيلي عن أنواع الالتهاب المختلفة .

خامساً : العلاج :

- الراحة ضرورية حتى يستعيد المريض عافيته ، وتعود وظائف الكبد إلى المعدل الطبيعي .

- الغذاء متوازن ومريح للهضم ، ولا داعي للإفراط في السكريات ولا للحرمان من الدهون ، والمريض عادة في مثل هذه الحالات يعاف الأكل الدسم .

- الأدوية لن تغير من مسار الالتهاب الكبدي الفيروسي الحاد ، ومركبات الكورتيزون بالذات لا داعى لها في الحالة التقليدية ، إنما نلجأ إليها أحياناً في الحالة المصحوبة بركود إفراز الصفراء بعد طول انتظار . ونحن عموماً ننصح بالإقلال من الأدوية في مثل هذا المرض ، لأنها سلاح ذو حدين ؛ فالكثير منها يؤذى الكبد ، ويرفع نسبة الترانسامينازات ، ويصبح مصدرًا للبلبلة .
للصداع والأوجاع يمكن استعمال باراسيتامول بكميات محدودة .
للهرش : دواء كولستيرامين . للنزف : فيتامين ك .
للسيدات : تجنب حبوب منع الحمل مؤقتًا .

سادسًا : ملاحظات خاصة عن أنواع الالتهاب الكبدي الفيروسي

(١) الالتهاب الكبدي أ Hepatitis A :

(أ) ينتقل هذا المرض من تلوث الماء والطعام بالبراز المحتوى على الفيروس ، ولذلك ينتشر في البلاد النامية مع تخلف وسائل الصحة والنظافة ، ويحدث متفرقًا أو وبائيًا ، وفي سنة ١٩٨٨ اندلع وباء منه في الصين ، شمل أكثر من مليون شخص . يصيب هذا المرض الأطفال عادة ، وقد وُجد أن ٩٠٪ من الأطفال فوق سن العاشرة يحملون الأجسام المضادة لهذا الفيروس أ .

(ب) في الأطفال يمر هذا المرض مرورًا عابرًا ، وقد لا يصاحبه يرقان ، ولذلك يُشخص عادة على أنه مجرد نزلة بسيطة . أما في الكبار فالأعراض أشد ، فقد ترتفع درجة الحرارة ، أو يشتد الصداع خاصة فوق العينين ، أو يزداد اليرقان والهرش مع ركود إفراز الصفراء . إلا أن النتيجة عادة طيبة ، ولا إزمان في هذا المرض .

(ج) التشخيص المناعي لهذا النوع من الفيروس يعتمد على الجسم المضاد anti - HAV ، وهو على نوعين : IgM في حالة الالتهاب الحاد ، و IgG بعد الشفاء واكتساب المناعة .

(د) أنتج حديثاً لقاح وافي ضد الفيروس (أ) ، يُنصح بتطعيمه لسلاجانب الذاهيين إلى المناطق المتوطنة بهذا الفيروس ، كما نأمل أن يُعمم استعمال هذا اللقاح الجديد في مصر مستقبلاً ، وبخاصة بعد انحسار العدوى بالفيروس (ب) مع تعميم استعمال اللقاح الواقى منه .

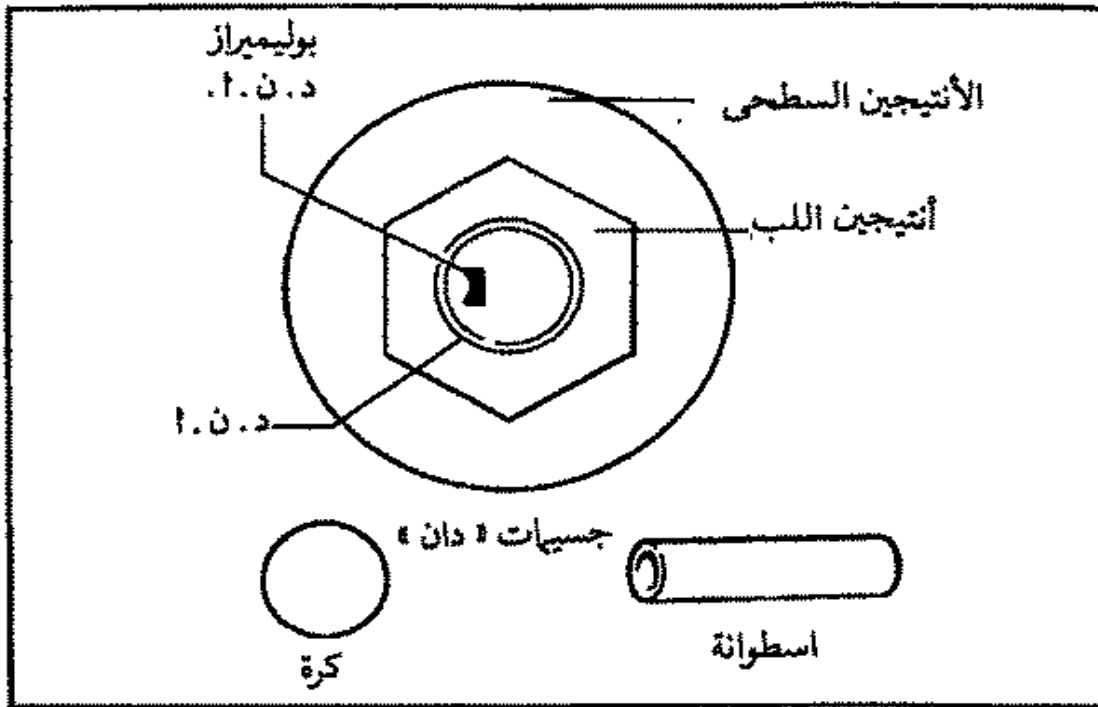
أما عزل المريض أو مخالطيه ، فهو محدود الجدوى ، لأن الفيروس يُفرز في البراز قبل ظهور اليرقان وتشخيصه بأسبوعين .

(٢) الالتهاب الكبدي ب Hepatitis B :

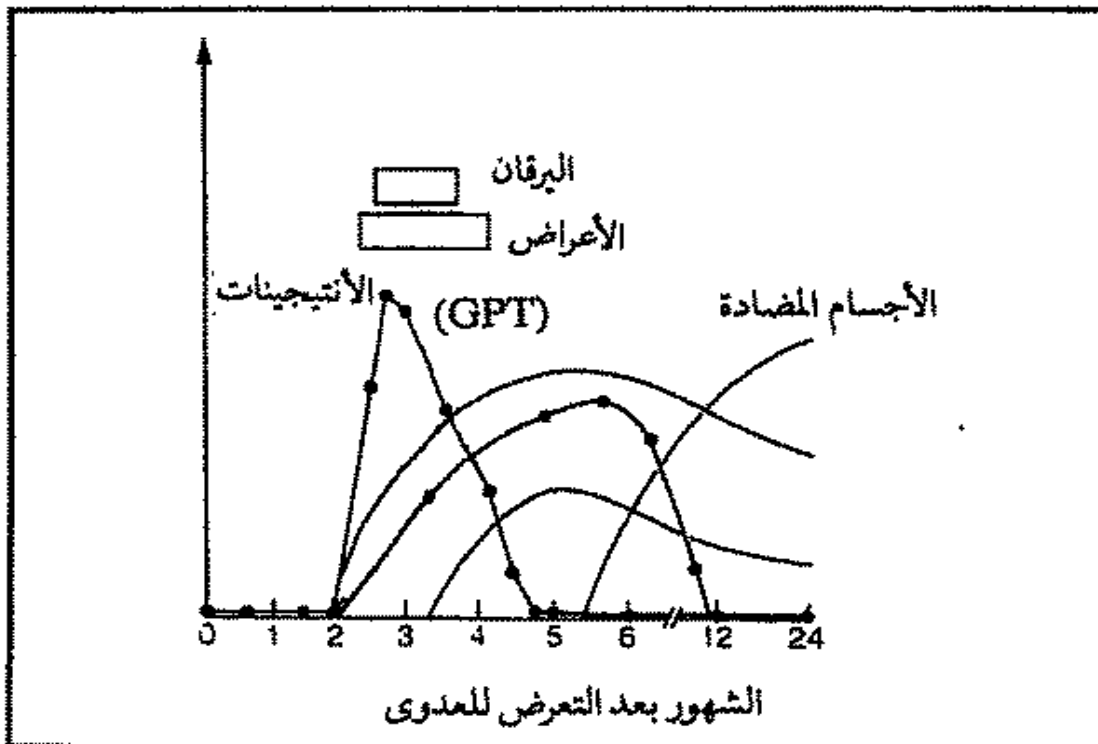
(أ) فيروس الالتهاب الكبدي ب هو أول فيروس من هذه المجموعة يتم فصله ودراسته (انظر الشكل) . يحتوي سطح الفيروس على أنتيجين^(١) يسمى الأنتيجين السطحي HBs Ag ، أما اللب فيحتوي على أنتيجين اللب HBc Ag ، بالإضافة إلى الحمض النووي DNA وإنزيمه الخاص DNA Polymerase . هناك أيضاً أنتيجين آخر في اللب ، له أهمية خاصة ، يرمز إليه بحرف e واسمه الكامل HBe Ag .

(ب) التشخيص المناعي (السيرولوجي) لمريض الالتهاب الكبدي الفيروسي يعتمد على العثور على أنتيجينات الفيروس ، أو على الأجسام المضادة لها ، في دم المريض . أول هذه هو الأنتيجين السطحي HBs Ag ، يظهر في الدم بعد نحو ستة أسابيع من العدوى ، ويختفي عادة خلال ثلاثة أشهر ، أما إذا استمر بعد ستة أشهر ، فالمصاب إذن حامل للفيروس . وأما

(١) الأنتيجين ، أو مولد المضاد ، هو مادة تحث على تكوين جسم مضاد عند دخولها الجسم الحي .



فيروس الالتهاب الكبدى (ب)



المسار السيرولوجى لفيروس الالتهاب الكبدى ب

الجسم المضاد له ، وهو Anti-HBs فيظهر متأخرًا ، ويبقى ، لأنه دليل المناعة .

أما الأنتيجين الآخر HBe Ag ، فيظهر وينخفض أسرع من سابقه ، لأنه دليل على العدوى بالفيروس وعلى تكاثره ، فإذا استمر بالدم لأكثر من عشرة أسابيع ، كان ذلك دليلًا قويًا على الإزمان ، أما إذا ظهر جسمه المضاد Anti-HBe فهو دليل الشفاء التام .

هناك أيضًا الأنتيجين الثالث HBe Ag ، وهو لا يُعثر عليه عادة في الدم ، ولكننا نبحث عن جسمه المضاد Anti-HBe ، وبخاصة جزؤه الجلوبيولينى IgM ، فقد يدل على الإزمان .

ويبقى أخيرًا الحمض النووى HBV DNA ، فهو أدق المؤشرات دلالة على تكاثر الفيروس .

هناك أيضًا فحوص مناعية تجرى على نسيج عينة الكبد ، منها مادة «أورسين» التى تصبغ الأنتيجين السطحى باللون البرتقالى ، وفحوص أخرى للكشف عن لب الفيروس .

(جـ) نسبة الإصابة بحامل الفيروس ب ، إذا اعتبرنا الأنتيجين السطحى فقط ، قُدرت فى العالم أجمع بثلاثمائة مليون مصاب ، ٧٥٪ منهم آسيويون ، إلا أن نسبة الإصابة تختلف من بلد إلى بلد : ١ ، ٠ - ٢ ، ٠٪ فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، ٣٪ فى اليونان وجنوب إيطاليا ، ٥٪ فى مصر ، وقد تصل إلى ١٠ - ١٥٪ فى إفريقيا والشرق الأقصى . أما إذا اعتبرنا أيضًا الجسم المضاد للفيروس ، فنسبة الإصابة للتعرض للعدوى إذن أعلى بكثير .

(د) ينتقل فيروس ب عن غير طريق الفم عادة ، وقد ينتقل جنسيًا . ويصاب الطفل الوليد بالعدوى من أمه حاملة الفيروس أثناء الولادة أو

بعدها ، والعدوى بين أفراد العائلة الواحدة شائعة ، خصوصا عند استعمال الأدوات المشتركة كفرش الأسنان وأمواس الحلاقة . والعلاقات الجنسية الوثيقة ، وحتى التقبيل ، قد تنقل العدوى .

أما انتقال العدوى عن طريق نقل الدم ، فنحن نحاول أن نمنعه باستبعاد حاملى الفيروس من بين المتطوعين وبائعى الدم . لكن وسائل العدوى إلى الدم متعددة : الأدوات غير المعقمة فى العمليات الجراحية ، أو فى علاج الأسنان ، أو فى العلاج بالحقن ، أو التطعيم ، أو الوشم ، أو تقليم الأظافر ، أو ثقب الأذن للمقرط ، أو العلاج بوخز الإبر - ثم هناك طبعا مدمنو المخدرات ، وأصحاب الشذوذ الجنسى .

إن أهل المهنة الطبية ، خصوصا الجراحين وأطباء الأسنان والمتعاملين مع علاج الأورام أو بنوك الدم أو عيادات الغسيل الكلوى ، كل هؤلاء معرضون لمخاطر خاصة للعدوى بالفيروس ، و « شبكة الإبرة » معروفة عواقبها جيدا للجراحين .

سؤال : البعوض والبق وغيرهما من الحشرات الناقلة للدم ، هل هى وسيط للعدوى بفيروس الالتهاب الكبدى ؟ الجواب لازال مجهولا ، على الرغم من أنه لم يثبت أن الفيروس يتكاثر فى الحشرات .

سؤال آخر : هل يودى استعمال المناظير الطبية إلى انتقال العدوى بالفيروس من المريض إلى السليم ؟ والجواب : قطعاً لا ، طالما المنظار ينظف ويعقم بالوسائل المعروفة .

(هـ) إصابة الكبد بالفيروس ب قد تحدث بلا أعراض ودون أى يرقان ، كما هو واضح من النسبة المرتفعة لحاملى الفيروس ، إلا أن الالتهاب من النوع ب يكون عادة أشد وطأة من النوع أ أو النوع ج ، وله بوادر مبكرة ومناعية ،

منها ارتفاع الحرارة وألم المفاصل والأرتكاريا أو طفح الجلد ، وله أيضًا مضاعفات مناعية تلهب الأوعية الدموية في الجهاز الهضمي أو في الكلى أو في الأعصاب .

أما حامل الفيروس فقد يبدو سلبيا لأول وهلة ، وحتى وظائف الكبد المعملية قد تبدو طبيعية ، إلا أن عينة الكبد قد تبين التهابا في الكبد تتفاوت درجته إلى حد التليف ، وخير وسيلة للبحث عن نشاط الفيروس المتكاثر هو الفحص السيرولوجي للأنتيجين e وللحمض النووي DNA .

(و) التطعيم ضد فيروس الكبد ب يُحضر لِقَاحُه من الأنتيجين السطحي . جُمع أولاً من بلازما حامل الفيروس ب ، وهو يُصنَّع الآن بتكنولوجيا الهندسة الوراثية من الخميرة .

الجرعة للبالغ ١٠ ميكروجرام في العضل (عضل الكتف خير لهذا الغرض من عضل الألية) ، وتكرر بعد شهر ثم بعد ستة أشهر . ولا داعي للتطعيم ، إذا كان الشخص أصلاً يحمل الأجسام المضادة لسطح الفيروس ولته . بعض الناس ، وخصوصا البدينين وكبار السن ، يحتاجون إلى جرعة أكبر (٢٠ ميكروجرام) ، أو إلى جرعة تعزيزية بعد بضع سنوات ، أما الأطفال فلهم جرعة أصغر .

التطعيم ضروري لأهل المهنة الطبية ، وخصوصا الجراحين وأطباء الأسنان ومساعدتهم ، والمتعاملين مع وحدات الغسيل الكلوي ومراكز الكبد ومعامل التحليل . والتطعيم مطلوب كذلك لأهل المريض بالتهاب الكبد الفيروسي ب ، وللمخالطين لحامل الفيروس ، وعلى وجه الخصوص لشريك الزواج . وفي حالة مخالطة المريض بالالتهاب الكبدى الحاد ، يمكن تطعيمهم باللقاح الواقى ، وحقنهم في الوقت نفسه بالمصل المناعى للجلوبيولين . والتصرف ذاته

يطبق على الطبيب ومساعديه ، إذا تعرض أحدهم بالصدفة لوخز أو جرح في جسمه أو تلوث بدم يحتوي على الفيروس .

وتقوم في مصر حتى الآن ، ثلاثة مصانع مصرية لإنتاج المحاقن البلاستيك لاستعمالها مرة واحدة ، منعا لنقل العدوى .

أما الأطفال حديثو الولادة ، فلهم أهمية خاصة ، لأن الإصابة المزمنة بالفيروس ب قد تؤدي بمرور الوقت إلى مرض الكبد المزمن وسرطانة ، لذلك يُنصح بالتطعيم المبكر للأطفال ، وقد أوصت هيئة الصحة العالمية بالتطعيم الروتيني ضد الفيروس ب في أي شعب تزيد نسبة الإصابة به عن $\frac{1}{4}$ % ، وأعلنت وزارة الصحة المصرية أنها ستقوم بتطعيم ٢ مليون طفل خلال عام ١٩٩٢ ؛ وفي عام ١٩٩٣ أشادت منظمة الصحة العالمية بنجاح حملة التطعيمات في مصر والتي غطت ٩٠% من المعرضين للإصابة بهذا المرض .

(٣) التهاب الكبدى د (دلتا) (Hepatitis D (Delta) :

(أ) هذا الالتهاب ، كما قلنا ، سببه فيروس ناقص يحتاج إلى غطاء من الفيروس ب ، حتى يمارس نشاطه ويتكاثر ، وهو لذلك لا يصيب إلا المرضى أو الحاملين لفيروس ب ، إما في مصاحبته ، وإما بعد العدوى به . صورته الإكلينيكية مشابهة للالتهاب الكبدى ب ، إلا أن أعراضه أشد ، وقد تكون مدهامة ، وعلينا دائماً أن نتذكره في كل مريض حامل للفيروس ب يصاب بنكسة بعد تحسن حالته .

(ب) تشخيصه المناعى يعتمد على الجسم المضاد Anti - delta في الدم ، ويكون عادة من النوع IgM في بداية الالتهاب ، ويختفى خلال ستة أسابيع ليحل محله الجلوبيولين الباقى IgG ، أما إذا استمر طويلاً كان تديراً بالإزمان وتَجَلُّل بالتحول إلى تليف الكبد .

والوقاية من هذا المرض ، كما هو بديسى ، يتوقف على الوقاية من الفيروس بـ باللقاح المناسب .

(٤) التهاب الكبدى ج Hepatitis C :

(أ) ينتقل الفيروس الكبدى ج عن طريق نقل الدم ، أو كعدوى متفرقة بين الناس لا علاقة لها بنقل الدم . هذا المرض يختلف عن الالتهابات الأخرى (أ) و (ب) و (د) ، فى أن مرحلته الحادة خفيفة ، وقد لا يصاحبه يرقان ، إلا أنه ميال للإزمان ، ونسبة كبيرة من المصابين به يتحولون إلى تليف الكبد . تشخيصه كان يعتمد على استبعاد الأسباب الأخرى ، لأن العثور على الأنتيجين الخاص بالفيروس ج بالوسائل السيروولوجية غير متاحة ، والجسم المضاد يتأخر ظهوره إلى عدة شهور ، أضف إلى ذلك أن اختباره للفحص عنه (ويسمى « إليزا » ELISA) كانت نتائجه أحياناً كاذبة . أما اختبارات الجيل الثانى فهي أكثر دقة ، أهمها يسمى « ريبا » RIBA ، إلا أنه أكثر تكلفة . ثم ظهر أخيراً اختبار للفيروس نفسه (HCV RNA) يسمى PCR .

(ب) من الصعوبة تحضير لقاح ضد الفيروس ج لوجود تباين كبير فى غطاء الفيروس المفصول من مصادر مختلفة ، والاهتمام الآن مُركّز على استعمال الدواء المضاد للفيروس المعروف بـ « إنترفيرون » فى علاج هذا المرض وزميله من النوع ب ، كما أن دواء آخر مضافاً للفيروس اسمه « ريبافيرين » تجرى تجربته وتقييمه بهمة . وسنرجئ الكلام على هذا العلاج إلى فصل « التهاب الكبد المزمن » من الكتاب .

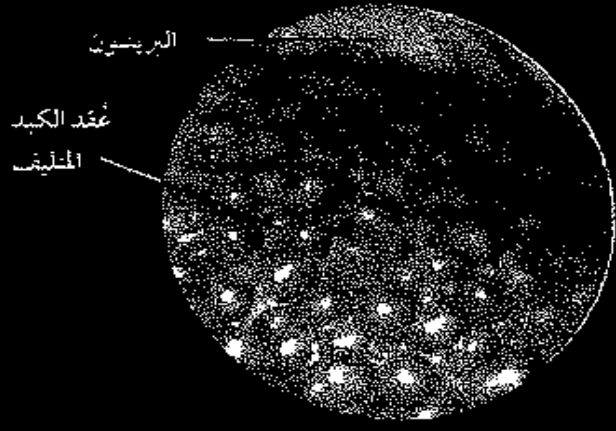
(٥) التهاب الكبدى هـ Hepatitis E :

انظر الجدول المرفق .

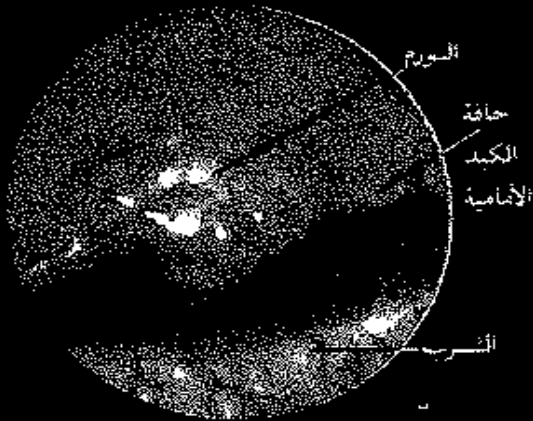
الفحص بالمنظار البريتوني



الكبد والمسرة الطبيعيان



تليف الكبد



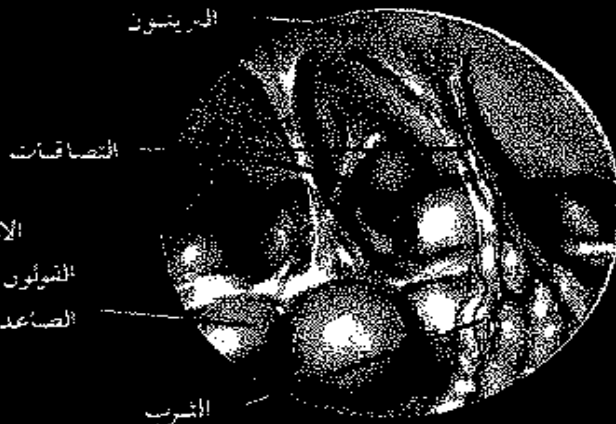
ورم في الكبد



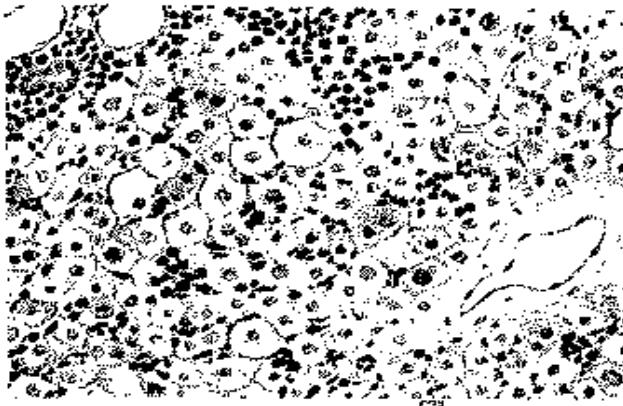
أورام ثانوية في الكبد



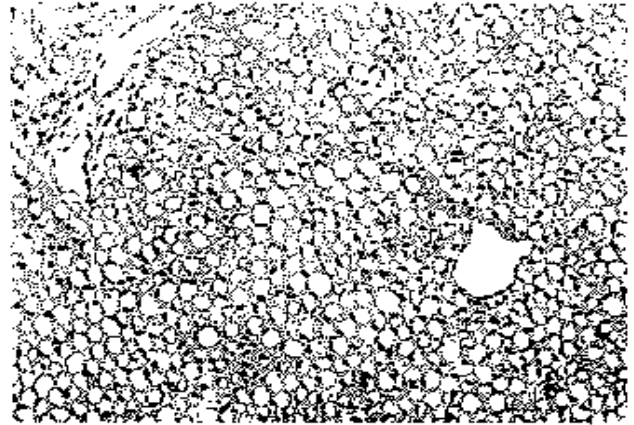
أورام ثانوية في البريتون واستسقاء



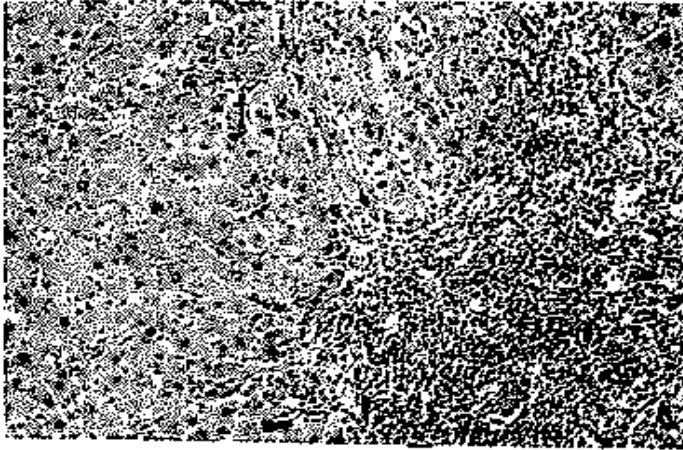
التصاقات بريتونية



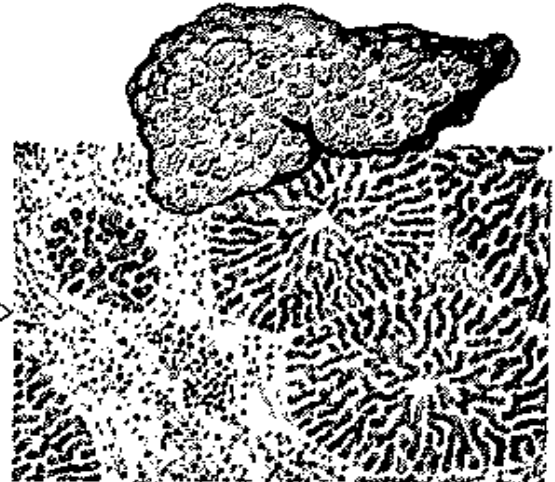
(ب) التهاب كبدي فيروسي حاد



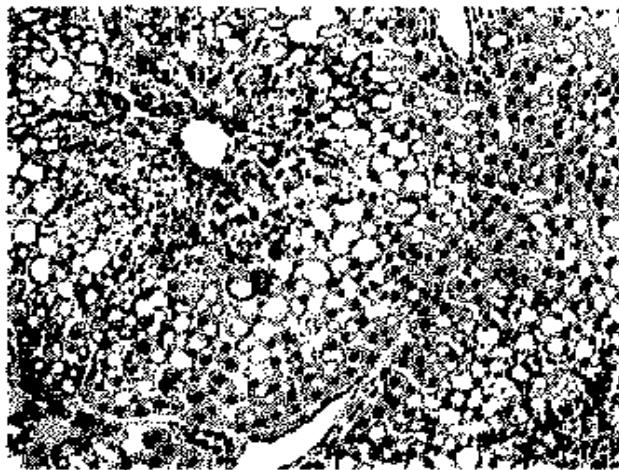
(أ) تسمم الكبد (الكبد الدهني)



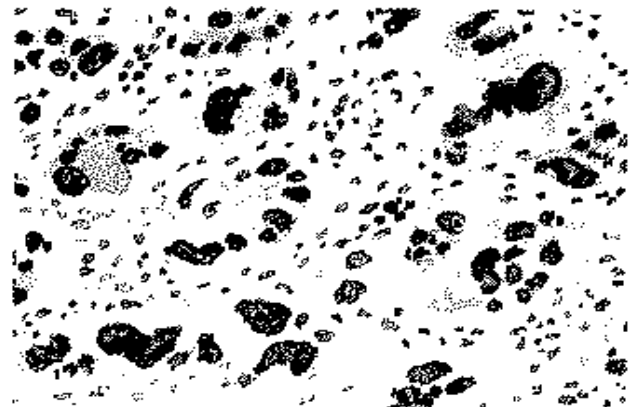
(ج) التهاب الكبد المزمن النشط



(د) تليف الكبد



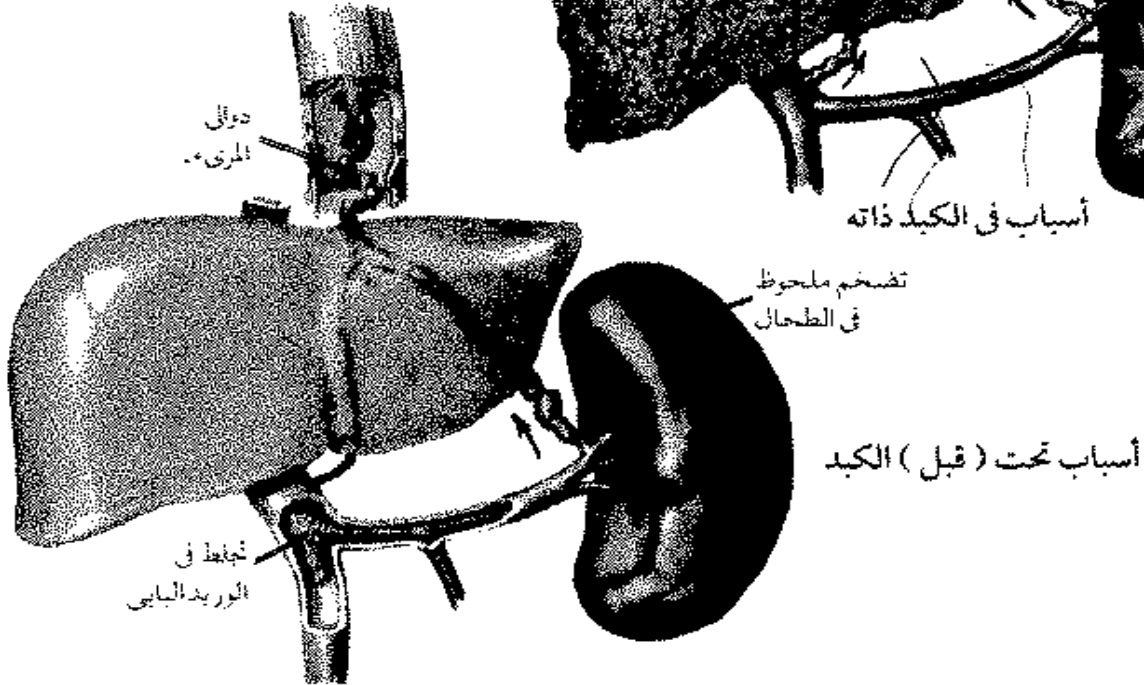
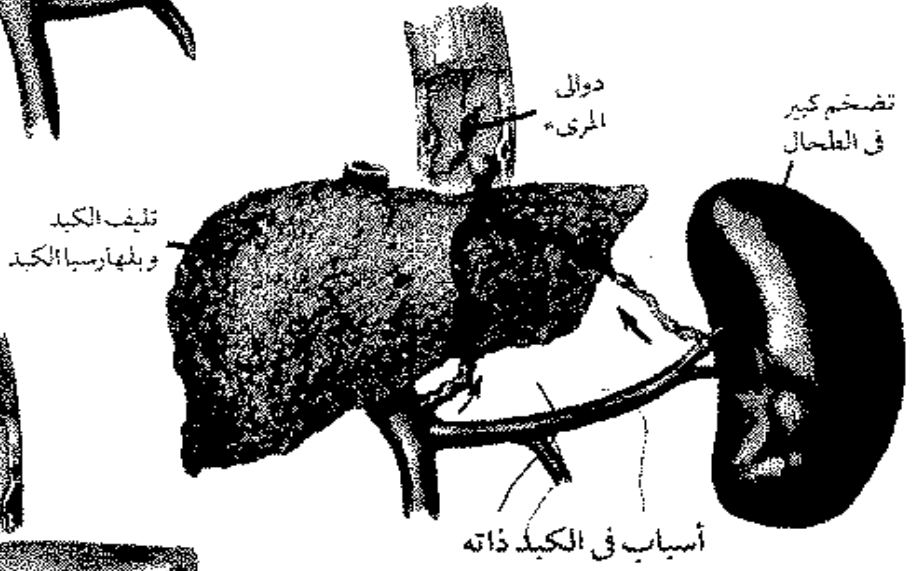
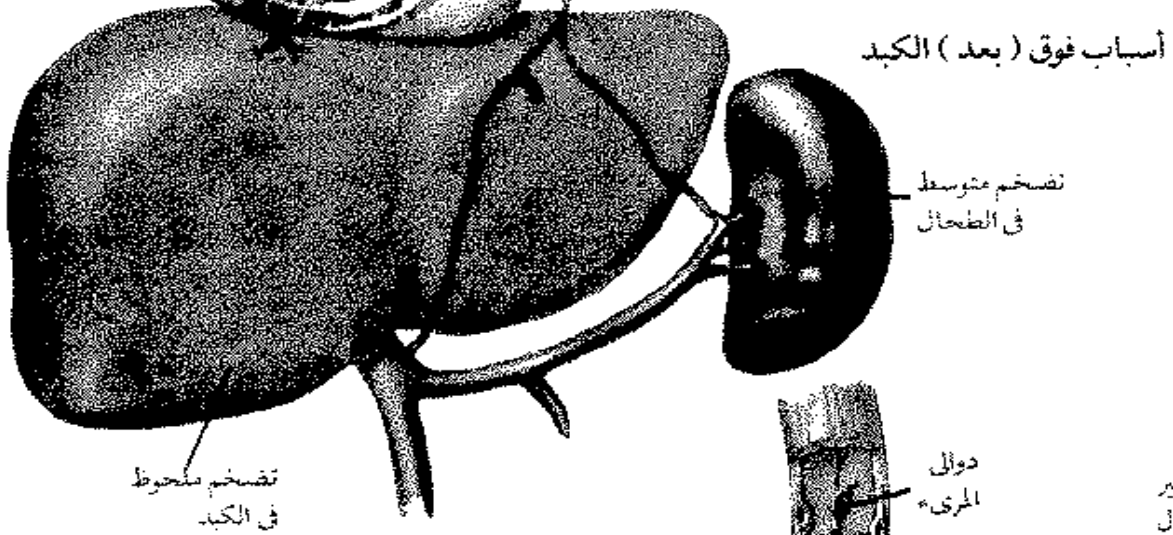
(و) تسمم الكبد بالكلوروفورم



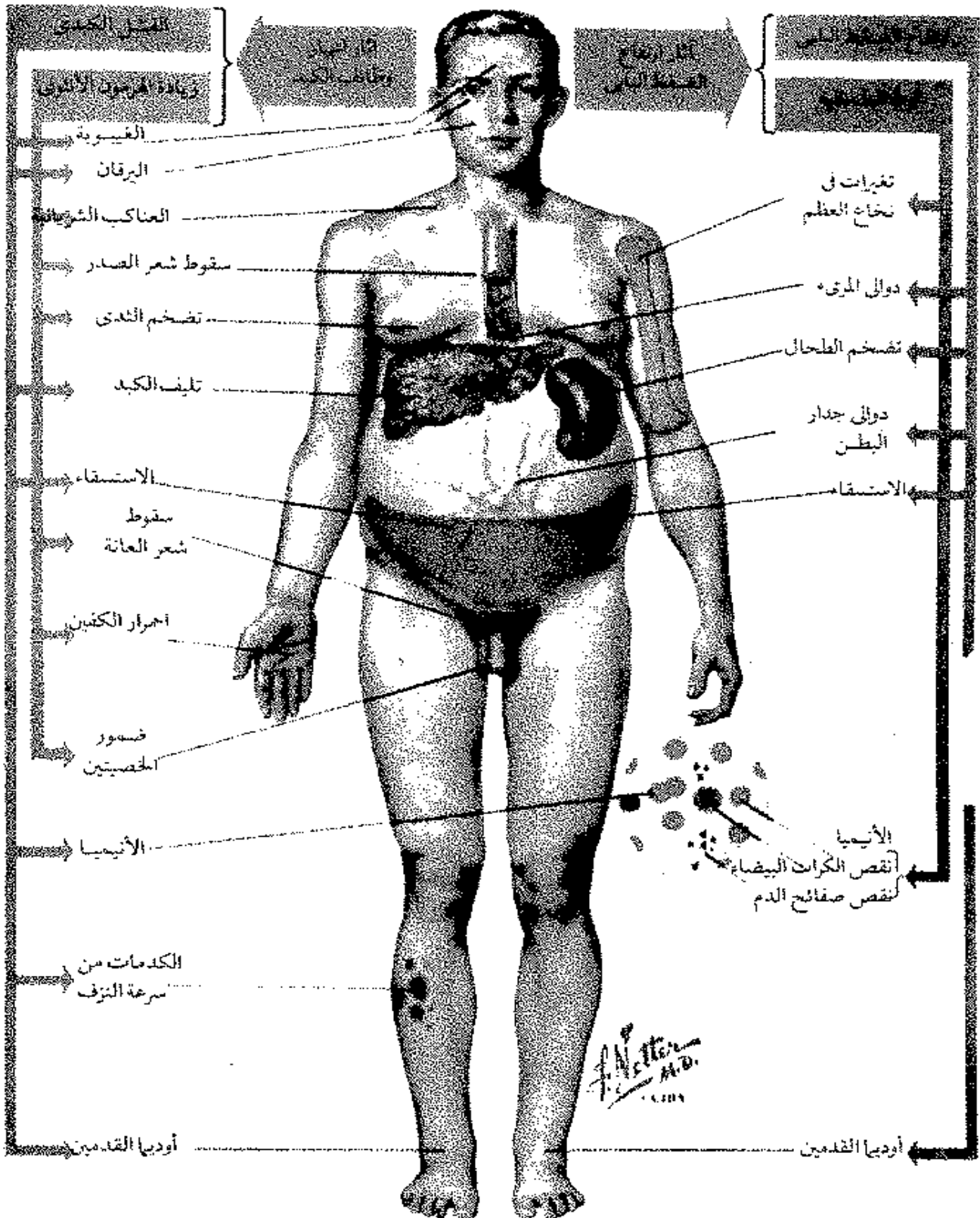
(هـ) سرطان الكبد الأولي

نسيج الكبد كما يظهر في أمراض متنوعة

ارتفاع ضغط الوريد البابي وأسبابه

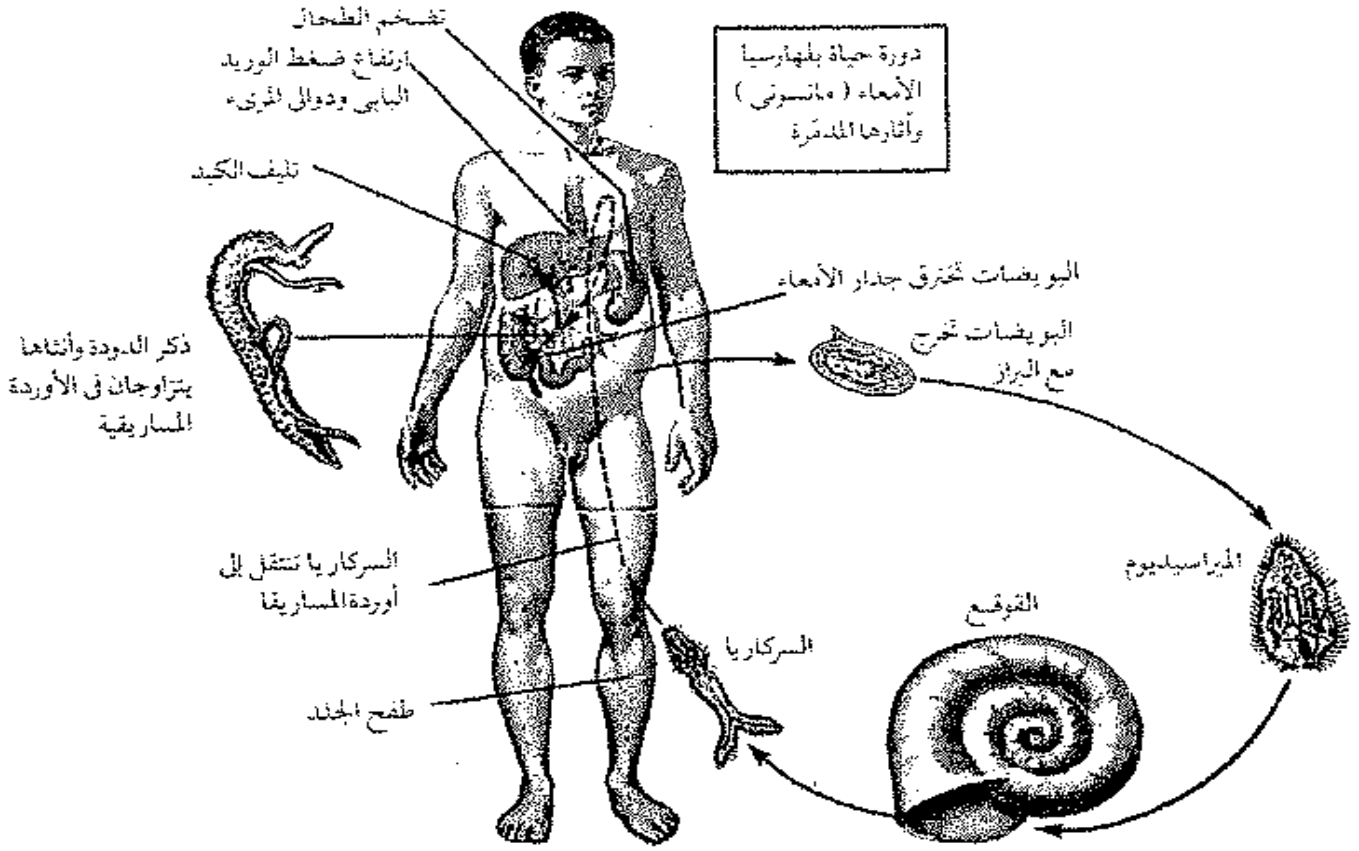


تليف الكبد وعلاماته



بلهارسيا الكبد

دورة حياة بلهارسيا
الأمعاء (مانسوني)
وأقارها المدفنة



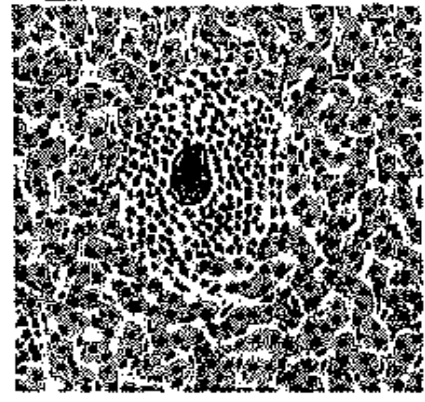
ذكر الدودة وأنتاعها
يتراو جانبا في الأوردة
المساريقية



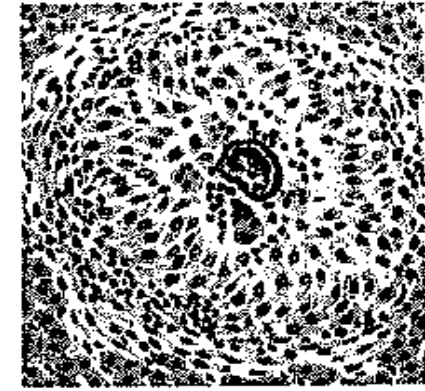
السركاريا تنتقل إلى
أوردة المساريقا

طفح الجناد

قطاع في
الكبد المتليف



التهاب ميكرو حول
البويضة في الكبد



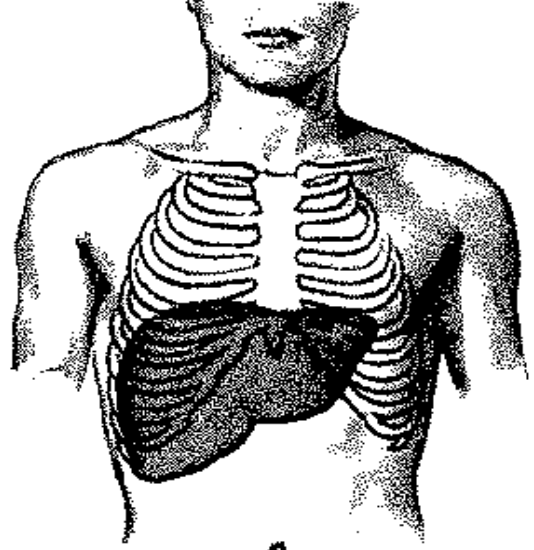
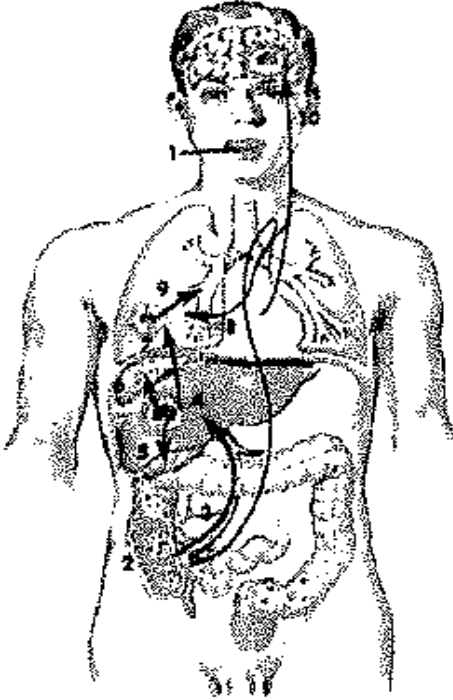
التهاب حبيبي حول البويضة

F. Nathan
M.D.
©CIBA

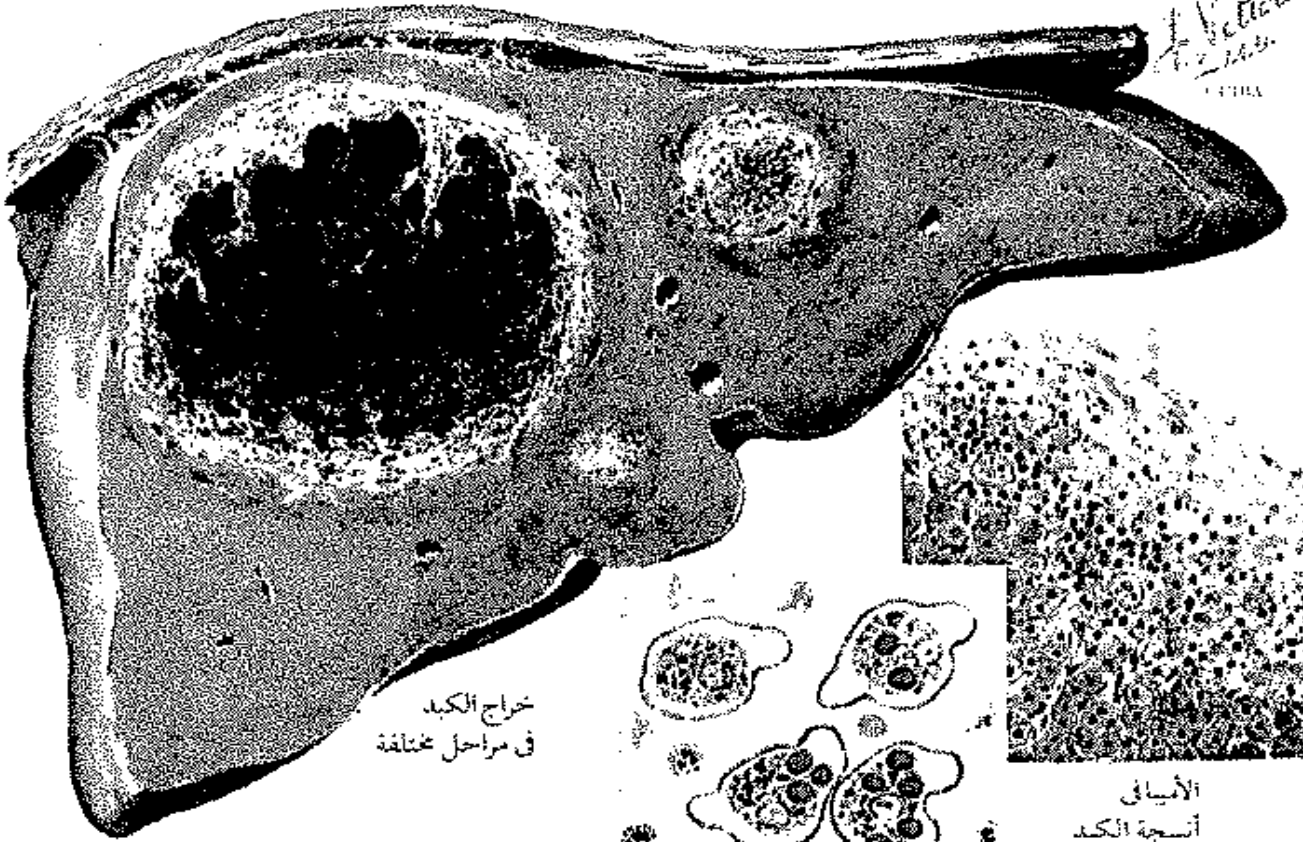
أميبا الكبد

طرق انتقال الأميبا إلى الجسم

- ١- المدخل
- ٢- في الأمعاء
- ٣- في الوريد البابي
- ٤- خراج في الكبد
- ٥- خراج تحت الكبد
- ٦- خراج تحت الحجاب
- ٧- خراج يخترق الرئة مباشرة
- ٨- خراج إلى الرئة عن طريق الدم
- ٩- ناسور شعبي
- ١٠- خراج في الملح



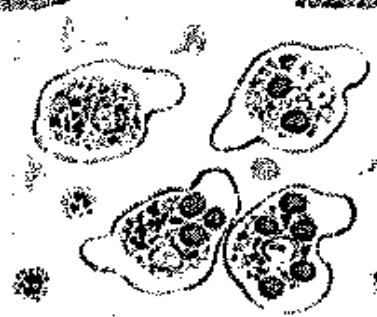
المرحلة المبكرة :
الكبد متضخم والم



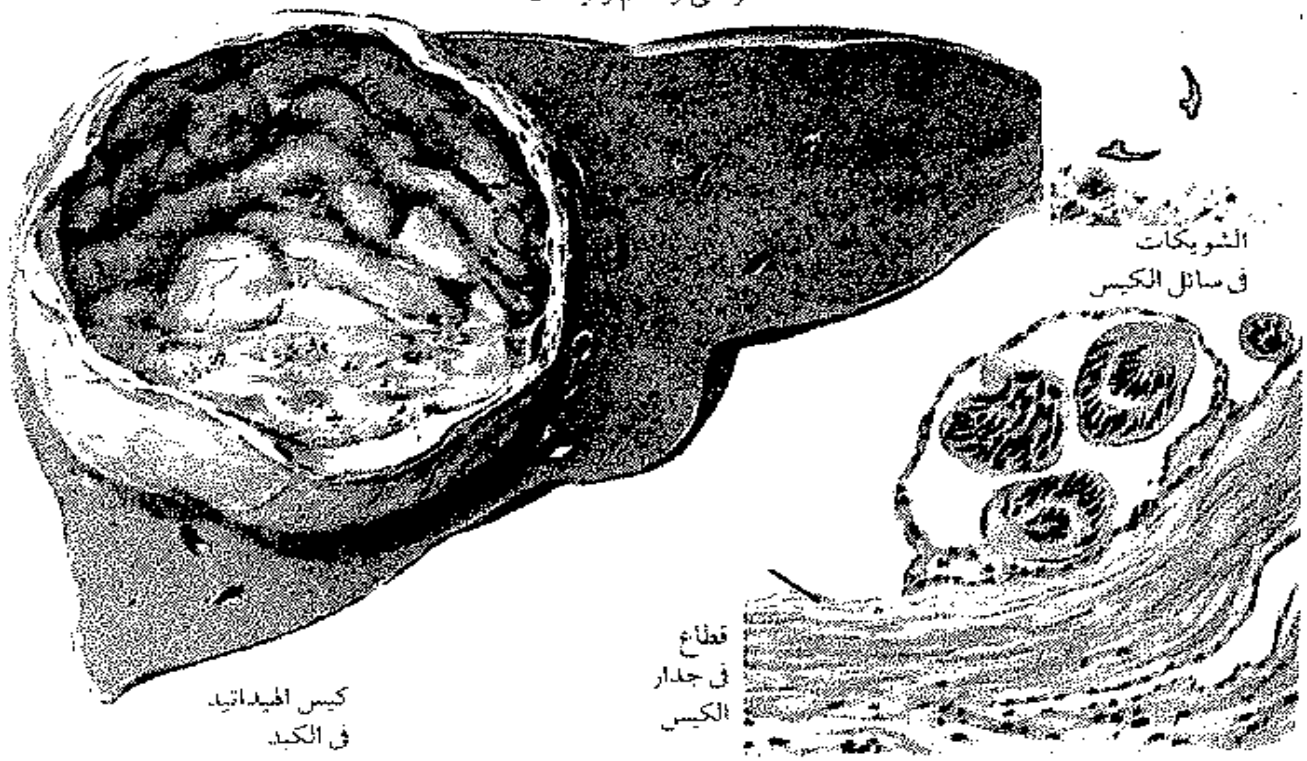
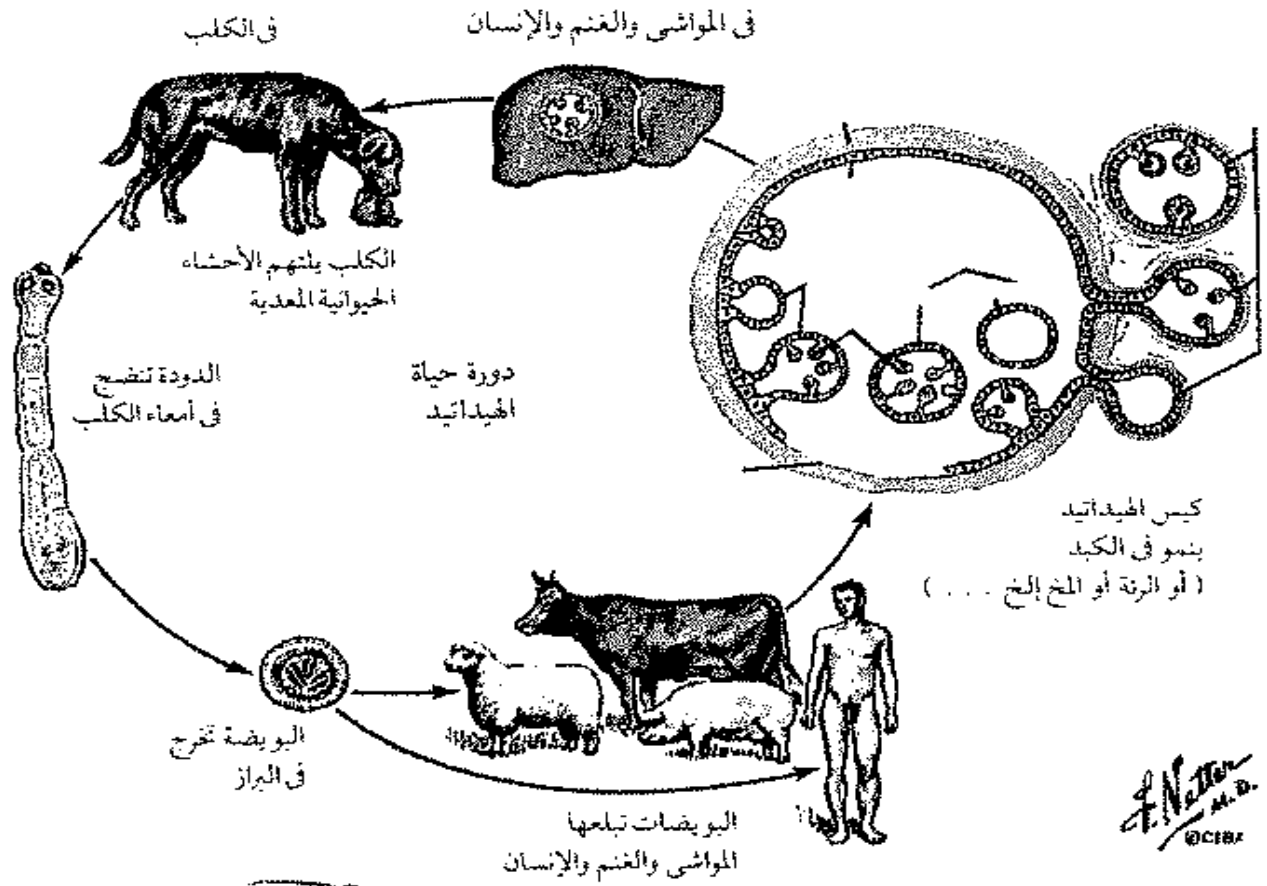
خراج الكبد
في مراحل مختلفة

الأميبا في البراز

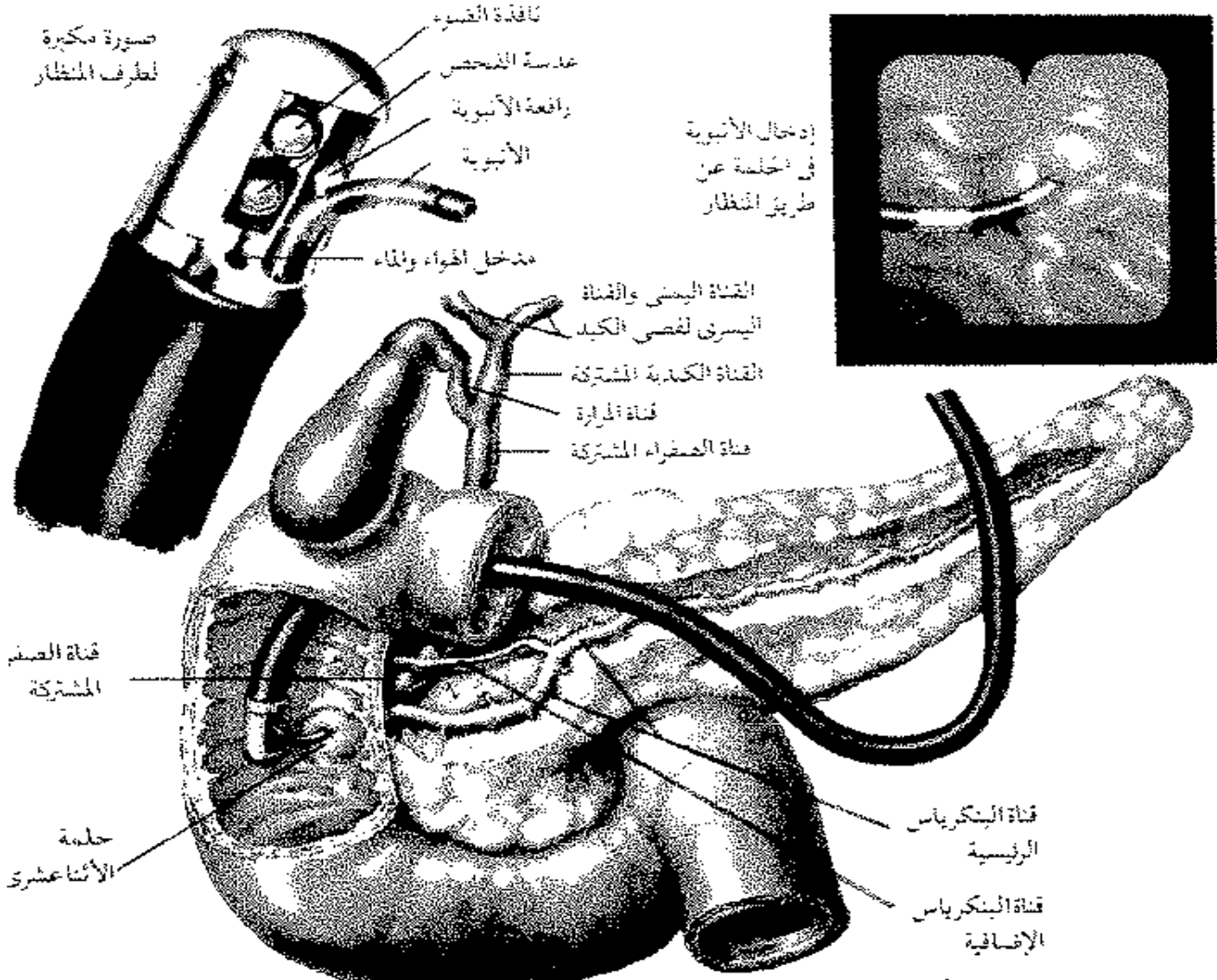
الأميبا في
أنسجة الكبد



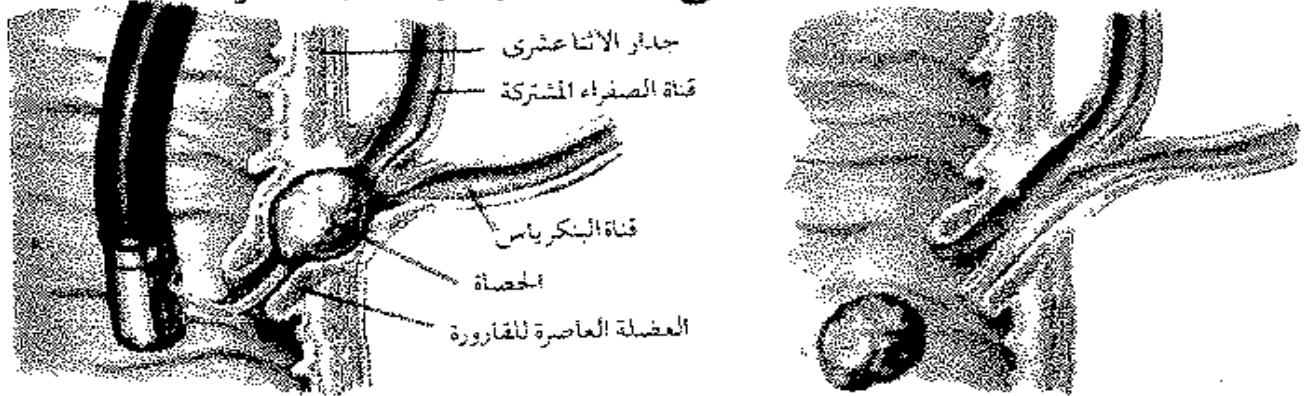
هيسدا تيسد الكبد



تلوين القنوات المرارية وقناة البنكرياس بأنبوبة عن طريق المنظار



شق العضلة العاصرة لإخراج حصاة محشورة في قارورة « فاتر »



حصاة محشورة في القارورة ، والسلك القاطع (عن طريق المنظار) يحاول أن يشق العضلة العاصرة

الخصاة تطلق بعد شق العضلة العاصرة

٥ - التهاب الكبد المزمن

(أ) نوعاء : المثابر والنشيط :

التهاب الكبد قد يبدأ وينتهي حاداً ، أو يتخذ مساراً بطيئاً ولائثاً ، حتى إذا استمر الالتهاب أكثر من ستة أشهر سميناه التهاباً كبدياً مزماً . هذا الالتهاب المزمن قد تتفاوت شدته ومدته وتفاوتاً كبيراً ، نقسمه عادة إلى نوعين :

١ - التهاب كبدي مزمن مثابر : وهو بطبيعته أشبه بالالتهاب الحاد ، إلا أنه بطيء الانصراف ، وهو لا يعصف بنظام الكبد ، وينتهي عادة نهاية حميدة ، يعود بعدها إلى حالته الطبيعية .

٢ - التهاب كبدي مزمن نشيط : وفيه يختل نظام الكبد ، فيزداد تنكزز (موت) الخلايا ، وتمتد جسور الالتهاب والتليف بين المسارات البابية والقنوات المركزية . هذا الالتهاب النشيط قد يكون خفيف الوطأة ، أو يسلك مسلكاً عدوانياً ينتهي عادة بتليف في الكبد لا رجعة فيه .

هناك نوع ثالث ونادر من التهاب الكبد المزمن ، أضيف أخيراً إلى تصنيف أمراض الكبد ، وهو التهاب الكبد المزمن الفصيصي ، وهو قريب الشبه بالالتهاب المثابر ، إلا أنه أشد قليلاً من سابقه ، وتناجح شدته صعوداً وهبوطاً ، ولكنه ينتهي عادة نهاية حميدة .

كل هذه الأنواع من الالتهاب ، تعتمد أساسًا على الفحص الباثولوجى لعينة الكبد ، حتى يمكن التفريق بينها بدقة ، وهو أمر بالغ الأهمية لعلاج المريض والتنبؤ بآله .

(ب) التهاب الكبد المزمن المثابر :

هذا الالتهاب المزمن قد يعقب العدوى بالفيروس الكبدى ب أوج ، أو يصاحب التهابات الأمعاء المزمنة ، كالدسنتاريا وتقرح القولون (والبلهارسيا لها فصل خاص) ، أو ينشأ من الإفراط الحاد فى شرب الخمر ، وأحيانًا لا يكون له سبب واضح .

أعراضه خفيفة : شعور بالإعياء ، فقد الشهية خاصة للأكل الدسم ، وجع خفيف فى منطقة الكبد . وقد لا يشكو المريض من شىء ، ولكن الفحص الروتينى يظهر تضخمًا محدودًا فى حجم الكبد ، أو اختلالًا فى وظائفه . هذا الاختلال يكون عادة ارتفاعًا فى نسبة الإنزيمات (الترانسامينازات) ، بحيث قد تصل إلى أربعة أمثال الحد الطبيعى ، وقد تستمر إلى سنوات ، إلا أن بقية وظائف الكبد ، وبخاصة نسبة الجلوبيولين ، تكون عادة طبيعية .

مثل هذه الحالات يجب أن تفحص بأخذ عينة الكبد للتأكد من نوعها ، والبحث عن مسبباتها كفيروسات الكبد ، وأمراض الأمعاء ، إلخ . . . ولا مبرر لعلاج خاص كالكورتيزون . أو لنظام غذائى متمت ، لأن هذا الالتهاب المثابر رغم إزمائه ينتهى عادة بلا تليف .

(جـ) التهاب الكبد المزمن النشط :

لهذا الالتهاب أنواع وأسباب عدة ، أهمها :

١- الالتهاب الكبدي الفيروسي بنوعيه ب و ج .

٢- الالتهاب الكبدي المناعي ، وسببه اضطراب في مناعة الجسم ، يغير من طبيعة غشاء الخلايا الكبدية ، فتتحول إلى أنتيجينات (مولدات للمضاد) ، وهذه تستثير الجسم فيتتج أجسامًا مضادة تتفاعل معها وتلهب الخلايا ، ويصبح بذلك التهابًا مناعيًا ذاتيًا .

٣- الالتهاب الكبدي الكيميائي ، ويتتج من مضاعفات بعض الأدوية ، أشهرها ميثيل دوبا (المستعمل في علاج ضغط الدم) ، أيسونيازيد (المستعمل في علاج الدرن) ، نيتروفورانتوين (لعلاج تلوث المسالك البولية) . ثم هناك أيضًا الكحول (من شرب الخمر) .

٤- التهابات أيضية (ميتابولزمية) نادرة ، منها مرض « ولسون » ، وسببه خطأ في أيض النحاس في الجسم يؤدي إلى التهاب الكبد وتليفه . ومنها أيضًا نقص خلقي في إنزيم من الإنزيمات يؤدي إلى مرض الكبد واليرقان منذ الولادة .

هذه الالتهابات المزمنة تشترك في كثير من أعراضها وعلاماتها ، وتباين أيضًا بتباين أسبابها ، وسنفضل الكلام على النوعين الأولين ، فهما أكثرها شيوعًا :

١- التهاب الكبد المناعي المزمن النشط :

يصيب هذا المرض أكثر ما يصيب الشباب ، وبخاصة النساء . التهابه كثيرًا ما يستمر شهوريًا أو سنين دون أعراض تُذكر ، وتكون البداية ظهور اليرقان . إلا أن آخرين يشعرون بالإعياء ، أو بالنزف من الأنف أو اللثة ، أو ظهور العناكب الشريانية على الوجه والرقبة والذراعين ، أو انقطاع الطمث في

النساء . والفحص يبين أن الكبد متضخم وجامد ، والطحال عادة محسوس .
وقد تصاحب ذلك علامات مناعية أخرى في الجسم ، منها : التهاب
الغدة الدرقية (مرض « هاشيموتو ») ، والتهاب المفاصل ، وارتفاع درجة
الحرارة ، وتغيرات مناعية في الكلى أو في الرئتين ، أو طفح الجلد الشبيه بالذئبة
الحمرء ، أو علامات فرط نشاط الغدة الكظرية ، أو البول السكري ، أو
الأنيميا التحليلية وغيرها من اضطرابات الدم .

أما وظائف الكبد الكيميائية فأهمها : ارتفاع نسبة البليروبين ، ارتفاع
نسبة الإنزيمات ، ارتفاع ملحوظ في نسبة الجاما جلوبيولين ، ثم وجود
الأجسام المضادة لأنسجة الجسم في الدم .

وأما عينة الكبد فلها أهمية خاصة متى سمح تجلط الدم بإجرائها .

والعلاج عادة بدواء برينديزولون (من مركبات الكورتيزون) ، يبدأ عادة
بجرعة من ٢٠ - ٣٠ مجم يوميا لمدة أسبوع ، ثم تنقص إلى ١٠ - ١٥ مجم يوميا .
ويستمر العلاج شهوياً أو سنين حسب استجابة الحالة ، وأحياناً نساعد
بدواء آخر هو أزابيرين ٥٠ - ١٠٠ مجم يوميا . وفي مثل هذه الأدوية الطويلة
العلاج ، علينا أن نتنبه دائماً للمضاعفات المحتملة : البول السكري ، تخلخل
العظام ، تغير صورة الدم .

أما بالنسبة لمستقبل المرض فهو بطبيعته متقلب ، وينتهي عادة بتليف
الكبد ومضاعفاته .

٢ - التهاب الكبد الفيروسي المزمن النشط :

سنشرح أولاً المرض الناجم عن الفيروس ب ، ثم نعلق بعده على المرض
الناجم عن الفيروس ج .

هذا الالتهاب الفيروسي المزمن قد يبدأ حاداً في أوله ، إلا أن أكثر المرضى به لا يشعرون ولا يذكرون بدايته ، وكثير منهم لا يشكون عَرَضاً ، بل تكون البادئة فحصاً روتينياً إكلينيكياً أو معملياً ، يُكتشف بعدها أن الكبد متضخم وجامد ، أو أن وظائفه الكيميائية مختلفة . بعض الناس يحسون بالإعياء ، أو يبرقان خفيف يذهب ويعود ، وآخرون يلفت نظرهم ارتفاع نسبة الإنزيمات (الترانسامينازات) في الدم ، ومنهم من يتحول إلى تليف الكبد فيؤدي إلى الاستسقاء أو إلى النزف من ارتفاع ضغط الوريد البابي ، والبعض يتطور إلى سرطان الكبد .

الفحص المعمل يبين ارتفاعاً متوسطاً في نسبة البليروبين والإنزيمات والجلوبولين ، أما الأجسام المناعية المضادة لأنسجة الجسم فتكون عادة سلبية . ومن المهم متابعة دلالات الفيروس الكبدى ب ، فالأنتيجين السطحى HBs Ag يكون متوافقاً في الدم في بداية المرض ، ولكن العثور عليه يصعب مع تقدم الحالة . أما الأنتيجين HBe Ag ، وهو دليل العدوى ودليل تكاثر الفيروس ، فهو يدعونا إلى أن ننصح المريض بحماية زوجه وأهل بيته من العدوى بالتطعيم من الفيروس ب ، متى ثبت أنهم سلبيون للفيروس . ونتابع أيضاً الجسم المضاد HBe Ab ، خاصة أثناء العلاج بالأدوية المضادة للفيروس ، لأن التحول من الأنتيجين إلى الجسم المضاد له في الدم يعنى عادة انتهاء تكاثر الفيروس وتكامله مع نواة الخلية الكبدية .

وأخذ عينة من الكبد بالإبرة أمر ضرورى لتشخيص المرض وتحديد درجة الإصابة . وللفيروس ب أصباغ خاصة ، مثل صبغ الأورسين لتلوين العينة ، كما أن الفحص الهستولوجى لنسيج العينة يكشف عما قد يصاحب الالتهاب من تغيرات أخرى كالتليف أو السرطان .

أما العلاج فننصح المريض أن يكون طبيعيًا في غذائه وفي نشاطه طالما يحس بذلك ، ولا مصلحة لنا في التزام السرير ولا في الطعام المسلوق الذي يعافه المريض .

وأما الأدوية المضادة للفيروس ، فأهمها في مرضنا هذا هو «الإنترفيرون» ، وله قصة . فقد جربت عشرات من الأدوية لعلاج الالتهاب الكبدي الفيروسي ، فرادى ومجموعة ، بعضها مضاد للفيروس وبعضها منبه للمناعة أو مثبط لها . والإنترفيرون على أنواع ثلاثة : ألفا وبيتا وجاما ، ثم إن الإنترفيرون ألفا له مصدران : الخلايا شبه اللمفية ، وتكنولوجيا هندسة الجينات . واستقر الرأي على أن أفضل المتاح هو العلاج بالإنترفيرون ألفا بجرعة من ٣ - ٥ مليون وحدة حقننا تحت الجلد يوما بعد يوم ، ثلاثة أيام من كل أسبوع ، مع مراقبة صورة الدم ووظائف الكبد دوريًا . ويستمر العلاج عادة من ٣ - ٦ أشهر ، وقد يمتد أطول من ذلك حسب استجابة الحالة . بعض الناس يشعرون بارتفاع الحرارة والأوجاع عقب كل جرعة ، ولذلك نفضل حقنهم مساء مع مسكّن مناسب مثل باراسيتامول .

نسبة النجاح مع هذا العلاج تتراوح بين ٢٠ - ٤٠٪ ، وأفضل النتائج مع المرضى الذين يبدؤون العلاج وعلامات الالتهاب واضحة شديدة (في التحليل الكيميائي وفي نسيج عينة الكبد) . ولا مكان للعلاج بالإنترفيرون إذا كان الكبد متليفًا ووظائفه منهارة .

وهناك تجارب علاجية لدواء آخر مضاد للفيروسات اسمه « ريبا فيرين » ، ودواء ثالث منبه للمناعة اسمه « ليفاميزول » ، ومحاولات أخرى كثيرة ، ولكنها لم تستقر بعد على رأي نهائي متفق عليه .

ويظل السؤال الملحّ : ما مصير هذا المرض ؟ والإجابة صعبة ، خاصة في

مصر ، لأن الإحصاءات المناسبة ليست دائماً متاحة ، ولأن خريطة المرض ونمطه يختلفان من بلد إلى بلد . فالبلهارسيا مثلاً ، إذا أصابت الكبد غيرت كثيراً من استجابته للعدوى بالفيروس الكبدى ب . أضف إلى ذلك أن العدوى بفيروس آخر مثل فيروس د قد تضاف فوق العدوى السابقة ب ، وتزيد من تعقيدها .

وكصورة تقريبية نستطيع أن نستعين بالتقارير الأجنبية : نسبة الأحياء بعد ٥ سنوات من المرض هي ٩٧٪ للالتهاب الكبدى المزمن المثابر ، ٨٦٪ للالتهاب الكبدى المزمن النشط ، ٥٥٪ للالتهاب الكبدى المزمن النشط المصحوب بتليف . النساء أخف إصابة من الرجال . والعاقبة أسوأ لمن تجاوزوا سن الأربعين ، أو فى حالة الاستسقاء ، أو مع العناكب الشريانية . وفى متابعة أخرى بعد ٧ سنوات لمرضى الالتهاب الكبدى المزمن بفيروس ب تبين أن ثلث المرضى تحسنوا ، وثلثا آخر ظلوا كما هم ، والثلث الباقى ساءت حالتهم .

وهناك اتفاق عام على أن كل مريض بهذا المرض يكون قد تجاوز سن الـ ٤٥ عاماً يجب أن يفحص دورياً كل ستة أشهر بالموجات فوق الصوتية وبالتحليل للآلفا فيتوبروتين ، استباقاً لظهور السرطان فى الكبد ، حتى إذا ظهر أمكن استئصاله وهو فى مرحلة مبكرة .

أما الالتهاب الكبدى المزمن النشط الناجم من الفيروس ج فهو مرض مخاتل ، أى يتسلل ببطء وهدوء . بعض الحالات تعقب نقل الدم أو استعماله ، والغالبية لا تشعر بمقدمه ولا بظهور يرقان ملحوظ . هذا الالتهاب المزمن مشابه لالتهاب الفيروس ب ، إلا أن أعراضه ونتائجه المعملية تتأرجح صعوداً وهبوطاً . وكنا نشخص هذه الحالات باستبعاد الفيروسات الثلاثة

الأخرى (أوب و د) ، لكنّ تشخيص الفيروس ج بالجسم المضاد له ، أولا بواسطة اختبار « الإليزا » ، ثم بعده بالاختبار الأدق المسمى « ريبا » ، لفت نظرنا إلى ارتفاع نسبة الإصابة به في مصر وفي بلاد أخرى مشابهة لظروفنا ، وإلى أن كثيرا من المصابين بهذا الفيروس ج لم يسبق لهم العدوى عن طريق الدم . وتقوم الآن وزارة الصحة المصرية بمسح شامل لتحديد نسبة الإصابة بالفيروس ج C بين فئات المواطنين المختلفة وفي كل محافظات مصر . كما تشرف أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا على دراسة تحدد مدى انتشار هذا الفيروس بين متطوعي الدم وبنوكه .

هذا الالتهاب المزمن قد يتحول إلى تليف كبدي ، وبعض التقارير من اليابان تؤكد أنه هو الآخر قد يؤدي إلى السرطان .

علاج هذا المرض أكثر نجاحًا مع دواء الإنترفيرون ، ونسبة الشفاء به نحو ٥٠٪ من المرضى ، والجرعة اللازمة أقل عادة من تلك في علاج الفيروس ب ، يكفي ٣ مليون وحدة ٣ مرات أسبوعيًا لمدة ٣-٦ شهور ، إلا أن بعض الحالات تنتكس بعد انتهاء العلاج ، وعندئذ يمكن معاودة المحاولة . وهناك تجارب جديدة تجمع بين الدوائين بالجرعات التقليدية :

... إنترفيرون حقنا تحت الجلد ٣ مليون وحدة ٣ مرات أسبوعيا ،

- ريبافيرين بالفم ١٠٠٠ - ١٢٠٠ مجم يوميا

ويستمر العلاج ستة أشهر ، والتشائج مشجعة . وعلينا دائما أثناء العلاج أن نتابع صورة الدم ، خصوصا عدد صفائح الدم والكريات البيضاء بالنسبة للإنترفيرون ، ومستوى الهيموجلوبين بالنسبة للريبافيرين .

وبعض الباحثين يفضل استعمال الريبافيرين وحده ، ولمدة طويلة ، وبخاصة إذا كان الالتهاب مصحوبا بتليف الكبد ، أو كانت قلة عدد الصفائح أو الكريات البيض تحول دون استعمال الإنترفيرون .

٦ - بلهارسيا الكبد

(أ) دودة البلهارسيا ودورة حياتها :

البلهارسيا ، كما هو معروف ، مرض المتوطن الأول ، عايش المصريين منذ أيام الفراعنة ، ولا يزال يفتك بالملايين . ثم هو مرض واسع الانتشار في بلاد العالم الثالث ، آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية : أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة في ٧٣ دولة .

دودة البلهارسيا لها دورة حياة ، تعتمد في طور منها على قواقع معينة تعيش في ترع النيل ومصارفه . تخرج من هذه القواقع مُدَنَّبَات البلهارسيا ، واسمها «سركاريا» ، تعوم في الماء وتخترق جلد المريض ، وفي جسمه تمر بمراحل نموها حتى تستقر في أوردة المساريقا والوريد البابي .

ودودة البلهارسيا على ثلاثة أنواع ، نوعان منها يعيشان في مصر : «هيئاتويوم» الذي يصيب أساسًا الجهاز البولي في الإنسان ، و «مانسوني» الذي يصيب الأمعاء والكبد .

يكتمل نمو الدودة ، ذكراً وأنثى ، يتزاوجان ، وتضع الأنثى بيضها . أكثر هذا البيض يتجه إلى الأمعاء باحثاً عن طريقه مع البراز ، إلا أن بعض هذه البويضات تترد في فروع الوريد البابي إلى فصيصات الكبد ومساراته البابية ، وهناك تسد البويضات الأوردة الرفيعة ، وتثير حولها التهاباً مناعياً ، تتجمع له

الخلايا المناعية ، وتكوّن ما يسمى بالتورمات الحبيبية . وبمرور الوقت تتحول هذه التورمات إلى نسيج ليفى مكون من مادة « الكولاجين » ، فتغلظ المسارات البابية وتضيق فروع الوريد البابى ويرتفع الضغط فيه .

ويشارك الطحال بالتضخم ، أولاً من انفعال النسيج الشبكي البطاني فيه ، وثانياً من احتقانه بعد ارتفاع الضغط البابى . هذا الضغط المرتفع يفتح الطرق الجانبية ، فتتكون الأوردة الموصلة بين الوريد البابى والوريد الأجوف ، وأهمها دوالى المريء والمعدة ، فقد تنفجر أحياناً ويصبح النزف مصدراً للخطر.

هذا التفاعل بين الدودة والإنسان يتوقف على عوامل كثيرة من الطرفين : فنوع الدودة ، وعمرها ، وعدد أفرادها (ومن ثم كثافة إنتاج البيض) ، كلها عوامل حاكمة . أما الإنسان فلديه التكوين المناعى ، ومستوى التغذية ، والإصابة بالسموم ، أو العدوى بالأمراض المنتشرة فى البيئة ومن أهمها فيروسات الالتهاب الكبدى . لذا فالصورة الإكلينيكية لمرض بلهارسيا الكبد صورة متنوعة ومتغيرة ، إلا أن لها سماتها وعلاماتها التى تميزها من أمراض الكبد الأخرى كالتهاب الفيروسي مثلاً ، أو كتليف الكبد الناجم من الكحول . أضف إلى ذلك أن الإصابة بالبلهارسيا فى الإنسان ليست قاصرة على الكبد ، فالأمعاء (وخاصة الغليظة) مشاركة فى العبء ، لأن بويضات الديدان تنتشر إلى جدار الأمعاء فتلهبها أو تحترقها فى طريقها إلى البراز .

(ب) الأعراض والعلامات :

أكثر المرضى يصابون بالبلهارسيا فى مرحلة الطفولة أو المراهقة ، إلا أن المرض المتمكّن تكتمل صورته فى ريعان الشباب وأوج العمر . والذكور طبعاً ، بحكم عملهم وسلوكهم ، أكثر تعرضاً وإصابة من الإناث .

يمر المرض بمرحلة مبكرة ، قد لا يحس بها أبناء الريف وأهل البلد ، إلا أن الغرباء يتأثرون بها عادة . هذه هي مرحلة اختراق « السركاريا » (مذنبات الديدان) في جلد المريض ثم جولتها في الجسم قبل أن يكتمل نموها . أهم الأعراض : حكة في الجلد ، ارتفاع درجة الحرارة ، ضيق النفس أو سعال جاف ، تضخم بسيط في الكبد والطحال ، ثم زيادة ملحوظة في كريات الدم البيض المعروفة بالآفات الإيوسين ، وهي العلامة المميزة لفرط الحساسية (الأرجية) . هذه المرحلة تعتمد على التشخيص السيولوجي للدم لأن البحث عن البويضات في البراز أو في جدار الأمعاء لا يجدي . والعلاج بدواء برازيكوانتل .

أما المرض المتمكن ، بعد نضوج الديدان وانتشار البويضات إلى الأمعاء والكبد ، فعلاماته الرئيسية تبدو في الكبد والطحال . هذه مرحلة تكوين التورمات الحبيبية في المسارات البابية ، فيصبح الكبد كبيراً وجامداً ، ويصاحبه تضخم متوسط الحجم في الطحال ، وتكون أعراض الأمعاء واضحة : ألم أو إسهال أو انتفاخ . هذه المرحلة يمكن أن تعالج بالدواء المناسب (برازيكوانتل أو أوكسامنيكوين) علاجاً فعالاً ، خاصة إذا تجنب المريض التعرض للعدوى من جديد .

أما إذا استمر المرض وتحول الكبد من مرحلة التورمات الحبيبية إلى مرحلة التليف البابي ، فإن الكبد ينكمش ويصغر حجمه فلا يُحَسُّ ، ويقابل ذلك تضخم مطرد في الطحال مع ارتفاع الضغط في الوريد البابي ، وتبرز الدوالي (أى الأوردة المحتقنة) في أسفل المريء ، وقد تمتد إلى قاع المعدة وتصبح مهددة بالنزف منها ، أو يَرْتَشِح المصل من الدم أو اللمف إلى تجويف البريتون ويكون هذا هو الاستسقاء .

كل هذه مظاهر معروفة لتليف الكبد بصرف النظر عن أسبابه المختلفة ،
وسنشرحها بتفصيل أكثر في فصل « تليف الكبد » .

إلا أن بلهارسيا الكبد لها سمات خاصة نوجزها في النقاط التالية :

١ - بلهارسيا الكبد ، يتركز أذاها على الأوردة والمسارات البابية ، بينما تظل
الخلايا الكبدية نفسها سليمة حتى المرحلة الأخيرة ، وهي بذلك تختلف كثيراً
عن التهاب الكبد الفيروسي الذي يقع عبءه الأكبر على الخلايا الكبدية .

٢ - استتبع ذلك ، أن ارتفاع الضغط في الوريد البابي علامة بارزة في تليف
الكبد البلهارسي ؛ فالطحال عادة أضخم من طحال تليف الكبد الفيروسي ،
ودوالي المريء مبكرة وناثئة .

٣ - يقابل ذلك أن وظائف الخلايا الكبدية تظل سليمة إلى مرحلة متقدمة ؛
فاليرقان ، والأوديما من انخفاض زلال الدم ، والغيوبية الكبدية ، كلها أمور
نادرة في تليف الكبد البلهارسي البحث .

٤ - وهذا لا يتعارض أحياناً مع وجود تدهور في وظائف الكبد وأعراضه ،
لأن بلهارسيا الكبد تمتزج كثيراً مع فيروسات الالتهاب الكبدي ، وخاصة من
النوعين ب و ج ، ويساعد هذا على تشبها واستمرار التهاب الكبد .

٥ - مريض البلهارسيا لا يعاني من أعراض الكبد فقط ، لأن للبلهارسيا
مظاهر أخرى متعددة :

إصابة الأمعاء تؤدي إلى عسر الهضم ، والانتفاخ ، واضطراب البراز . وقد
تتفاقم إلى أعراض الدسنتاريا ، كالتعنى وخروج الدم في البراز .

بلهارسيا الجهاز البولي ، علامتها المشهورة البول المدمى . أما إذا تقدم
المرض ، فله مضاعفات خطيرة في الكلية والحالب والمثانة ومجرى البول ، ليس

هذا مجال تفصيلها ، إلا أن نوعاً معيناً من « الكلاء » قد يصاحب بلهارسيا الكبد ، ويكون سببه اضطراباً مناعياً يلهب الكلى ، ويسمح لبروتينات الدم بأن تتسرب إلى البول ، فيتجمع الماء في الجسم ويتورم (وهو الأوديما) .

بلهارسيا الرئة والقلب ، لها أيضاً مضاعفاتها وعلاماتها ، وقد تصاحب بلهارسيا الكبد ، إلا أن حدوثها الآن أصبح نادراً بعد انتشار العلاج المبكر للمرض .

هناك أيضاً حمى طويلة ، تتخللها نوبات من القشعريرة تشبه أدوار الملاريا ، سببها ميكروب التيفود والباراتيفود ، تصيب أحياناً مرضى بلهارسيا الكبد ، وتتخذ لها مساراً مزمناً يختلف عن مسار الحمى المعروفة ، لأن الميكروب يكمن في جسم الدودة ويصعب اقتلاعه من الدم إلا بعد علاجه وعلاج الدودة في الوقت ذاته .

(جـ) الفحوص الخاصة :

مريض الريف ، سواء المقيم فيه بحكم عمله في الزراعة ، أو ذلك الذي عاش فيه طفولته ثم تركه إلى المدينة ، مُرَّح دائماً لأن يكون قد تعرض للعدوى بالبلهارسيا ، خاصة في قرى الدلتا حيث تعيش القواقع التي تستضيف ديدان « مانسونى » المسببة لمرض الكبد . أما في الصعيد ، فمعظم قواقه لديدان « هيياتوبيوم » وهى محدودة الأذى في الكبد .

في الفحوص العملية ، نبحث عن بويضات البلهارسيا في البراز والبول . فإذا لم نجدها ، بحثنا عنها في عينة من الغشاء المخاطى للمستقيم تؤخذ بالمنظار ، أو لجأنا إلى أضعف الإيوان ، وهو التحليل السيرولوجى (المناعى) للدم . هذا الحرص على تشخيص وجود البلهارسيا ، أو استبعادها في مريض

الكبد ، أمر مهم ، لأن هذا المرض قابل للعلاج بدواء البرازيكوانتل ، حتى ولو كان مرضاً متقدماً وصل إلى مرحلة التليف والاستسقاء .

نحصى الدم أيضاً لأغراض كثيرة : صورة الدم ، أى نسبة الهيموجلوبين وعدد الكرات الحمراء والبيضاء وصفائح الدم . مريض بلهارسيا الكبد يعانى عادة من الأنيميا ونقص الكرات البيضاء ، إلا أنها إذا كانت بالغة النقص ، أو انخفض عدد الصفائح انخفاضاً ملحوظاً ، فكنا فى احتمال « فرط الطحالية » ، أى توخس الطحال والتهايم خلايا الدم . عندئذ لابد من فحص نخاع العظم ، لكى نضمن سلامته قبل الشروع فى استئصال الطحال .

ثم نحصى وظائف الكبد ، أى التحاليل الكيميائية . وظائف الخلايا الكبدية ، متمثلة فى نسبة البليروبين والزلال والبروثرومين والترانسامينازات ، تكون عادة شبه طبيعية فى بلهارسيا الكبد الصرفة ، أو على الأكثر محدودة الاختلال . أما الزيادة الملحوظة ، فتكون عادة فى نسبة الفوسفاتاز القلوى وجلوبيولين الدم . لكن ، إذا كانت البلهارسيا مختلطة بعوامل أخرى كسوء التغذية أو سموم البيئة أو فيروسات الالتهاب الكبدى ، وهى القاعدة لا الشذوذ ، فوظائف الكبد تكون مختلفة والخلايا الكبدية مختلفة .

البحث عن دلالات فيروسات الكبد ، خاصة ب و ج ، أمر ضرورى فى كل مريض مزمن بالكبد ، ومن الثابت الآن أن حمل الفيروس ب أكثر انتشاراً وإصابة فى مرضى بلهارسيا الكبد عنه فى عامة الناس .

الفحص التصويرى يعتمد أساساً على الموجات فوق الصوتية ، لأن لها نمطاً مميزاً للكبد البلهارسى ، يظهر ثخانة النسيج اللينى حول فروع الوريد البابى ومساراته . أضف إلى ذلك أنه يحدد قطر الوريد البابى ومدى سريان الدم فيه ، وحجم الطحال وشكله ، والأوردة الجانبية (الدوالى) ،

والاستسقاء إن وُجد . كذلك يكشف لنا عن أى تكّس في المثانة البولية أو الحالب في حالات البلهارسيا البولية . هذا الفحص التصويرى البسيط أصبح وسيلة فعالة لاكتشاف مرضى البلهارسيا ، والاتجاه الآن إلى إتاحة هذا الفحص وتعميمه في قرى مصر .

أما وسائل التصوير الأخرى ، الأشعة السينية ، وأشعة الكمبيوتر المقطعية ، والنظائر المشعة ، وتلوين الأوعية الدموية أو القنوات المرارية ، فيندر أن نحتاج إليها لتشخيص حالات البلهارسيا الصرفة ، اللهم إلا للبحث العلمى ، أو إذا كانت الحالة مختلطة بأمراض أخرى تشمل الكبد كالتهاب الفيروسي أو الأورام .

الفحص المنظارى يساعدنا لغرضين : المنظار العلوى يفحص المريء والمعدة والأثنا عشرى ، ويحدد لنا حجم الدوالى ومداها وجدوى حقنها إذا كانت مندرة بالنزف . أما المنظار السفلى ، فيفحص الشرج والمستقيم والقولون ، وإلى أى مدى أصابتها البلهارسيا ، ونأخذ أيضًا عينة نسيجية من الغشاء المخاطى بحثًا عن البويضات الكامنة .

أما الفحص الباثولوجى ، وأسامة عينة الكبد ، فهو أمر ضرورى طالما أمكن ذلك ، لتأكيد طبيعة المرض والبحث عما قد يصاحبه من أمراض أخرى ، أهمها وأكثرها شيوعًا التهاب الفيروسي . أما ورم الكبد السرطانى فليس من مضاعفات البلهارسيا المجردة ، إنما ينشأ أحيانًا من الفيروس ب (وربما أيضًا الفيروس ج) الذى قد يختلط بها ، وعلينا إذن أن نتنبه له ونحذره .

هناك أخيرًا فحوص بكتريولوجية ، نلجأ إليها أحيانًا في تليف الكبد البلهارسى المصحوب بالحمى وارتفاع الحرارة ، من العدوى بميكروبات

السلمونيلا (التيفود والباراتيفود) ، أو تقيح البول - وهو تلوث شائع
بيلهارسيا المسالك البولية ، أو الالتهاب البريتوني التلقائي في المرضى المصابين
بالاستسقاء .

(د) العلاج :

- العلاج النوعي للبلهارسيا بأنواعها يعتمد أساسًا على دواء
«برازيكوانتل» ، ونبدأ به متى تأكد لنا أن المريض مصاب بها وأن العدوى
نشيطة . الجرعة الواحدة للبالغين ٤ أقراص ، كل واحد منها ٦٠٠ مجم ،
وأحيانًا نكررها . هذا الدواء يوقف تقدم المرض ويعكس مساره إذا أعطى في
المرحلة المبكرة ، وهو خالٍ من الآثار الجانبية الخطيرة ، ويمكن استعماله حتى
في حالات التليف والاستسقاء .

- هناك محاولات لوقف تليف الكبد ، بل لإذابته ، أهمها المحاولة
المكسيكية لاستعمال دواء « كولشييسين » ، وجرعته قرص نصف مجم مرتين
يوميًا لعدة سنوات ، وفي تقريرهم أن تليف الكبد يتراجع ، ووظائف الكبد
تتحسن ، إلا أن العالم لا زال يجرب هذا الدواء ، وحتى الآن لم تتأكد جدواه .
(الكولشييسين دواء معروف من قديم لعلاج النقرس ، ويستعمل أيضًا لعلاج
حمى البحر الأبيض المتوسط) .

- ارتفاع الضغط في الوريد البابي^(١) يمكن خفضه بدواء « بروبرانولول »
(المستعمل من قبل لعلاج ضغط الدم الشرياني) ، والجرعة تختلف من
شخص لشخص ، وهدفها إنقاص سرعة النبض بمقدار الربع (أى من ٨٠

(١) لمزيد من التفاصيل ، راجع الفصل الخاص بهذا الموضوع .

إلى ٦٠ نبضة في الدقيقة مثلاً) . خفض الضغط الباطني يُرجى أن يمنع انفجار
دوالي المريء والنزف منها ، ونستغنى بذلك عن حقن الدوالي وعن الجراحة .

- دوالي المريء (والمعدة) هي الخطر الداهم ، والرعب المقيم من انفجارها
والنزف منها . إذا حدث هذا نسارع بنقل الدم وإيقاف النزف بحقن مادة
قابضة هي « فازوبريسين » في الوريد ، ونضغط الدوالي بأنبوبة (تسمى أنبوبة
سنجستاكن وبلاك مور) تُنفخ في تجويف المريء وقاع المعدة . ثم شاع الآن
تجليب الدوالي بحقنها بمواد مجلطة من خلال المنظار . هذا التجليب بالحقن
يمكن أن يكون إسعافاً طارئاً لإيقاف النزف ، أو علاجاً متأنياً بعد وقف النزف
وزوال الخطر الداهم ، أو إجراء وقائياً متى تأكد لنا أن الدوالي من النوع المنذر
بالنزف (ولهذا علاماته بالفحص المنظاري) .

- العلاج الجراحي محدود بعد توافر البدائل العلاجية الأخرى . كان
استئصال الطحال عملية شائعة في بداية القرن لعلاج بلهارسيا الكبد وتضخم
الطحال (سُمي لذلك « تضخم الطحال المصري ») ، إلا أن استعماله الآن
محدود لخفض الضغط الباطني ومنع النزف ، مع ربط أوردة الدوالي ، أو لعلاج
فرط الطحالية . أما الجراحة الأخرى البديلة لخفض الضغط الباطني فهي
التوصيل بين الوريد الباطني والوريد الأجوف السفلي ، أو فرعيه المناظرين - أي
التوصيل بين وريد الطحال ووريد الكلية اليسرى (وتعرف بعملية « وارن ») .
هذه الجراحات التوصيلية ، يؤخذ عليها أنها قد تسبب أعراض الغيبوبة الكبدية
أو مقدماتها ، مما يتعارض مع أصحاب العمل الذهني المحتاج إلى التركيز .

- الاستسقاء في بلهارسيا الكبد قد يكون مؤقتاً ، عقب نزف كبير أو حمى
شديدة أو إسهال طويل ، أو يكون باقياً في المرض المتأخر . وستفصل الكلام
في فصل خاص عن الاستسقاء .

... بلهارسيا الكبد ، كما قلنا ، ليس دائماً مرضاً وحيداً خالصاً ، بل يغلب أن تصحبه أمراض أخرى بحكم البيئة والمهنة ، ليس أقلها سوء التغذية ، أو العدوى بالطفيليات الأخرى ، أو فيروسات الالتهاب الكبدي ، أو السموم الكيميائية من مبيدات الحشرات والأفات الزراعية . ويتوقف العلاج طبعاً على المرض المصاحب .

... قبل وبعد كل شيء ، علينا أن نحمي الفلاح من العدوى ، وتكرار العدوى بهذه الدودة اللعينة ، وهو أمر يتطلب تضافر القوى والوسائل المتعددة : التثقيف الصحي ، تطهير الترع والمصارف وإيادة القواقع ، البحث عن لقاح فعال لتطعيم الفلاحين المعرضين للعدوى ، ثم العلاج الجماعي بالدواء .

٧ - تليف الكبد

أولا : تليف الكبد : صفاته ونشأته وتصنيفه :

- * يقصد بتليف الكبد^(١) : مرض مزمن بالكبد ، يتصف بعدة صفات :
- * نسيج ليفى منتشر ، يمتد كالحواجز بين المسارات البابية أو القنوات المركزية في جسم الكبد .
- * هذا التليف المنتشر يعقب موت الخلايا الكبدية (تنكزها) ، ويحل محل فصيصاتها المندثرة .
- * وفي الوقت ذاته ، تتكون خلايا كبدية جديدة في تجمعات من العقد الصغيرة أو الكبيرة التي لا يربطها رابط ولا نظام واحد .
- * النتيجة الطبيعية هي انهيار معمار الكبد وتصدع بنيانه ، وانعزال دم الوريد البابي عن خلايا الكبد ، وارتفاع الضغط البابي في مواجهة المقاومة المتزايدة لسريان الدم .

(١) شاع في مصر مصطلح « تليف الكبد » ، كترجمة للكلمة الإنجليزية cirrhosis ، وأصلها اليوناني Kirrhos ، ويعنى المدبوغ باللون الأصفر البني ، صفةً للكبد المريض من إدمان الخمر . وآخرون (المعجم الطبي الموحد) يفضلون مصطلحاً آخر هو « تشمع الكبد » . وكلاهما قاصر ، لأن تليف الكبد يقابل حرفياً ما يسمى liver fibrosis ، وهو مظهر واحد من مظاهره . أما تشمع الكبد ، ويقابله waxy liver ، فهو مرض مختلف سببه النشوانية amyloidosis .

هذا المخطط النهائى لتليف الكبد ، له أسباب كثيرة ، ولكن النتيجة واحدة .

ينشأ الليف من الخلايا الليفية ، التى تمزج إلى خلايا الكبد الميتة (المتكثرة) للماء الفراغ . والخامة الأساسية للليف هى الكولاجين ، وهى فئة من البروتينات الفريدة على أربعة أنواع ، وتزيد هذه الكولاجينات فى تليف الكبد ، وترتفع نسبة النوع الأول إلى النوع الثالث ارتفاعاً ملحوظاً . والكولاجين ، بالإضافة إلى تقويضه لبنيان الكبد ، وتسببه فى انحراف دم الوريد البابى عن مساره الطبيعى الذى يغذى الخلايا الكبدية ، يترسب أيضاً فى جُيبات الدم ويضيقها ، فتزداد الخلايا فقراً على فقر ، ويزداد ضغط الوريد البابى ارتفاعاً .

يُصنّف تليف الكبد شكلاً إلى أنواع حسب حجم العقد ؛ فهناك كبير العقد ، وصغير العقد ، والمختلط . ويصنف وظيفياً حسب كفاءة الكبد وتطور مساره ؛ فمنه المتحسن الكفاء ، والثابت المستقر ، والمتدهور الفاشل . ثم يصنف علّياً حسب أسبابه ومصادره ، وهى كثيرة ، نذكرها جملة ثم نفصل القول فى أهم أنواعها .

ثانياً : أسباب تليف الكبد وأنواعه :

١ - بلهارسيا الكبد : هذا المرض ليس « تليفاً » بالمعنى الحرفى الذى أشرنا إليه ، فهو يفتقر إلى المكونات الرئيسية فى تعريفه ، وهى تنكز (موت) الخلايا ، وتكوين العقد الجديدة ، وتشوش معمار الكبد . لكنّ العنصر الأساسى ، وهو تكوين النسيج الليفى ومضاعفاته كارتفاع الضغط البابى والاستسقاء - كلها مظاهر مشتركة ومصير واحد ، تدعونا إلى إدراجه على رأس

قائمة الأسباب ، فهو مرض مصر المتوطن الأول كما قلنا ، وقد أفردنا له فصلاً قائماً بذاته .

٢ - التهاب الكبد الفيروسي : وهو السبب الثاني لتليف الكبد في مصر ، بأنواعه الثلاثة : ب ، ج ، د . أما الفيروس أ فليس سبباً للتليف . وقد شرحنا هذا تفصيلاً .

٣ - التهاب الكبد المزمن النشط : سواء أكان فيروسياً أم مناعياً أم كيميائياً أم أيضاً ، وقد سبق أيضاً ذكره .

٤ - تليف الكبد الكحولي : هذا أهم أنواع تليف الكبد في الغرب ، أما في مصر والدول الإسلامية فهو أقل انتشاراً .

٥ - احتقان الكبد الوريدي المزمن : كما في ضيق صمامات القلب ، أو التهاب غشاء القلب التاموري ، أو انسداد أوردة الكبد صغيرها أو كبيرها (مرض « بَضْ » و « كِيَارِي ») .

٦ - ركود الصفراء المزمن : سواء في داخل قنوات الكبد ، أو خارجه في المسالك المرارية . وهناك نوع خاص يسمى « تليف الكبد الصفراوي [المراري] الأولى » ، سنشرحه في نهاية الفصل .

٧ - هناك مجموعة من العوامل المساعدة أو المصاحبة لتليف الكبد ، ولكنها ليست السبب المباشر ، منها مثلاً سوء التغذية ، أو العدوى بالأمراض المزمنة كالملاريا والدرن وغيرها .

ثالثاً : الأعراض والعلامات :

تليف الكبد ، بالرغم من اختلاف أسبابه ، يحكمه عاملان أساسيان يشتركان في كل أنواعه ومظاهره ، وهما : ارتفاع الضغط في الوريد البابي ،

وفشل وظائف الخلايا الكبدية . وسنفرّد فصلاً خاصاً من الكتاب لكل منهما .
أما الاستسقاء ، وهو حصيلة العاملين السابقين ، فله فصل ثالث .

أعراض تليف الكبد الشائعة هي : الإعياء والتعب ، نقص الوزن ، فقد الشهية ، عسر الهضم والانتفاخ ، وجع البطن ، تورم القدمين أو امتلاء البطن ، اليرقان ، تغير لون البول أو البراز ، النزف من الأنف أو اللثة أو الجلد أو القثانة الهضمية ، فقد الشهوة الجنسية .

بعد ذلك نسأل المريض عن نمط حياته وبيئته . هل هو من الريف أو من الحضر ؟ وهل مرض من قبل بالبلهارسيا ، أو بالالتهاب الكبدي واليرقان ؟ هل أجريت له من قبل عمليات جراحية ، أو نُقل إليه دم ؟ هل عولج من قبل بالأدوية ، وما هي ؟ هل يشرب الخمر ، أو يتعاطى المخدرات ؟ هل هناك مَرَضِي آخرون بالكبد بين أفراد العائلة ؟

أما الفحص الإكلينيكي ، وقد شرحناه بالتفصيل في فصل « وسائل الفحص » ، فيركز على حجم الكبد وشكله ، وحجم الطحال وشكله ، والاستسقاء إن وجد ، ثم علامات ارتفاع الضغط البابي ، وعلامات فشل الخلايا الكبدية ، وننتقل بعد ذلك إلى سُبل الفحص الخاصة .

رابعاً : الفحوص الخاصة :

الفحص المعملّي يعتمد أساساً على وظائف الكبد الكيميائية ، وعلى نسبة الإلكتروليات خاصة أثناء علاج الاستسقاء . وصورة الدم تشمل عدد الصفائح لاستبعاد فرط الطحالية ، وتستبعد طبقاً أمراض الدم المعروفة كاللوكيميا (سرطان الدم) ، أما فيروسات الالتهاب الكبدي ب و ج فيجب أن نبحث عن دلائلها لأن التليف قد يصاحب الالتهاب النشط ، كما أن

التليف قد يصاحبه أو يعقبه سرطان الكبد ، لذا نحرص على تحليل الألفافيتوبروتين .

الفحص التصويرى : ضرورى لتحديد حجم الكبد وبنائه ، وللأعضاء الأخرى المرتبطة به كالطحال والوريد البابى وكيس المرارة والبنكرياس . وأبسط وسائل الفحص التصويرى وأكثرهما استعمالا هى الموجات فوق الصوتية ، فهى تميز لنا تليف الكبد من أمراضه الأخرى كالتشمع أو الالتهاب ، وتفرق بين بلهارسيا الكبد وأنواع التليف الأخرى ، وهل فى الكبد بُؤر غريبة على نسيجه كالأكياس السائلة أو الأورام الصلبة ، ثم حجم الكبد وشكله ، وقطر الوريد البابى (١٢ مم فى المتوسط) وفروعه الأخرى ، والطحال : حجمه وشكله ووريده ، والمرارة ، والبنكرياس ، والكليتان ، والعقد اللمفية إذا تضخمت ، وهل بالبطن استسقاء ؟ وما حجمه وتوزيعه وصفائه ؟

ويندر أن نحتاج إلى مزيد من الفحص التصويرى : النظائر المشعة لتأكيد التليف إذا حَقَّتْ النظر من الكبد وتجمع فى الطحال ونخاع العظم ؛ أو أشعة الكمبيوتر المقطعية لمزيد من التفاصيل فى حالات الأورام المشتبهة أو اليرقان المجهول السبب ؛ أو تلوين الشرايين أو الأوردة بالأشعة لأغراض خاصة قبل الجراحة أو للعلاج الكيميائى بالحقن .

الفحص المنظارى : فحص روتينى فى حالات تليف الكبد للتأكد من وجود الدوالى فى المرء والمعدة ، وما مداها وحجمها وقابليتها للنزف الوشيك ، وحالة المعدة والاثنا عشرى . ونفحص أيضا الشرج والقولون بالمنظار إذا شككنا فى الإصابة بالبلهارسيا (انظر الفصل الخاص) . أما المنظار البريتونى ، فيندر أن نلجأ إليه إذا تعدر التشخيص بالوسائل الأخرى البسيطة ، كما فى تشخيص حالات الاستسقاء الغامضة .

الفحص الباثولوجى : أهم فحص هنا هو عينة (خزعة) الكبد بالإبرة ، إلا أن له محاذير وموانع محددة . نحن مثلاً نتجنب أخذ العينة إذا كان التليف شديداً والكبد منكمشاً صغيراً ، أو كانت سيولة الدم ملحوظة ولا تستجيب للعلاج بفيتامين ك . إلا أننا نحاول دائماً أن نحصل على العينة ، كلما أمكن ، لأنها تتيح لنا الكثير من المعلومات : نوع التليف وسببه ، وهل يصاحبه التهاب مزمن ؟ وما درجة نشاطه ؟ وهل هو فيروسى بطبيعته أم لا ؟ وهل يصاحب التليف أيضاً تشحم بالكبد (كما فى السمنة المفرطة ، أو مرض السكر ، أو سوء التغذية ، أو تعاطى الخمر ، أو العلاج بالكورتيزون) ؟ وهل هناك شبهة للتحول السرطانى ؟ إن البؤر الغريبة فى الكبد نفضل أن نفحصها بالعينة الموجهة تحت أشعة الكمبيوتر المقطعية ، أو بإبرة رفيعة لالتقاط الخلايا وفحصها سيتولوجياً .

خامساً : مضاعفات تليف الكبد فى الأجهزة الأخرى :

قلنا إن أهم مضاعفات تليف الكبد ثلاثة : نزف دوالى المرىء من ضغط الوريد البابى ، والغيبوبة الكبدية من فشل وظائف الكبد ، والاستسقاء من كلا السببين .

إلا أن لتليف الكبد مضاعفات أخرى فى أجهزة الجسم المختلفة :

- القرحة الهضمية فى مرضى التليف أكثر انتشاراً من عامة الناس .
- حصيات المرارة وُجدت فى ٣٠٪ من أصحاب تليف الكبد ، ولا ننصح عادة باستئصالها جراحياً إلا للضرورة .
- التهاب البنكرياس المزمن ، والإسهال الدهنى ، شائعان فى تليف الكبد الكحولى .

- فتق السرة ، والفتق الأربى كلاهما شائع في الاستسقاء ، ولا ننصح لها بالجراحة إلا للضرورة الملحة .

- اختلال تركيب الكلى ووظائفها شائع في مرضى تليف الكبد ، وقد يؤدي إلى الفشل الكلوى .

- مرضى تليف الكبد معرضون خاصة للعدوى الميكروبية من الأمعاء أو غيرها، والالتهاب البريتونى التلقائى معروف ، والدرن البريتونى قد يضاعف تليف الكبد .

- تصلب الشرايين وضيق الشرايين التاجية للقلب أقل شيوعًا في مرضى تليف الكبد من عامة الناس ، وضغط الدم الشريانى فيهم أقل عادة من الطبيعى .

- سرطان الكبد الأولى شائع في تليف الكبد ، وله فصل خاص في الكتاب .

سادسًا : العلاج :

(أ) الغذاء : إذا كان تليف الكبد مستقرًا ووظائفه متكافئة ، فيمكن للمريض أن يتناول طعامًا مُنوعًا سهل الهضم ، يسمح بالبروتين بمقدار ١ جم لكل كيلو جرام من وزن الجسم ، وينسبة معقولة من الدهونات تشمل الزبد والبيض والشوكولاته . والخمور (الكحول) ممنوعة . أما إذا اختلت وظائف الكبد وظهرت بوادر الغيبوبة ، فعلىنا أن ننقص من بروتين الغذاء أو نستبعده مؤقتًا ، بالإضافة إلى تجنب الإمساك وغيره من وسائل علاج الغيبوبة الكبدية الموضحة في الفصل الخاص بالفشل الكبدى . وأما إذا امتلأ الجسم بالماء الزائد ، وعلامته تورم القدمين أو استسقاء البطن ، فعلىنا أن نحكم السيطرة على ملح الطعام وغيره من المواد المحتوية على عنصر الصوديوم ،

بالإضافة أيضًا إلى استعمال مدرّات البول وغيرها من وسائل العلاج الموضحة في الفصل الخاص بالاستسقاء .

(ب) الأدوية : الإفراط في الفيتامينات لن يفيد ، وكذلك الكثير من أدوية السوق التي تزعم أنها تنشط الكبد « الكسلان » أو تحميه من سمومه ، ويشمل ذلك المركبات المحتوية على الكولين والميثيونين . أما الأدوية الخافضة لضغط الوريد البابي (بروبرانولول) فلها مكانها ، ونشرحها في الفصل الخاص به . وأما الأدوية المضادة للتليف أو التي تحاول حلّه ، فأشهرها دواء «الكولشيسين» ، وكان أطباء المكسيك قد أعلنوا أن هذا الدواء يفك تليف الكبد ويحسّن من وظائفه ، ولكن الرأى العالمى لم يصل بعد إلى اتفاق عام ، وعلى أى حال لا بأس من محاولته بالجرعة المعروفة وهى نصف مجم مرتين يوميا لمدة طويلة .

(ج) علاج أسباب التليف : هذا يتوقف طبعا على السبب :

- * لبيلهارسيا الكبد النشيطة : الأدوية المضادة للبلهارسيا (برازيكوانتل) .
- * للالتهاب الكبدى الفيروسى المزمّن النشط : الأدوية المضادة للفيروسات (إنترفيرون) .
- * للالتهاب الكبدى المناعى : مركبات الكورتيزون .
- * لتليف الكبد الكحولى : الامتناع عن الخمر .
- * لتليف الكبد الناجم من تراكم الحديد : فصد الدم .
- * لتليف الكبد الناجم من تراكم النحاس (مرض ويلسون) : دواء بنسلامين .
- * لاحتقان الكبد الوريدي المزمّن : علاج القلب الهابط أو الوريد الكبدى المسدود .

* للانسداد الصفراوي (المرارى) المزمن : فلك الانسداد .

* لتليف الكبد الناجم من سموم أو أدوية لها آثار ضارة (كما فى علاج مرض الصدفية بدواء ميثوتركسات مثلا) : استبعاد المادة الضارة .

(د) الجراحة : نحن لا نرحب بالجراحة فى مريض تليف الكبد إلا للضرورة ، فالخطورة فيه مضاعفة ، خاصة إذا كان تجلط الدم (نسبة البروثرومبين) مختلاً ، أو زلال الدم فقيراً ، أو المناعة للعدوى الميكروبية منهارة . أما دور الجراحة فى علاج ارتفاع ضغط الوريد البابى ، أو فى علاج أورام الكبد المصاحبة للتليف ، فلها مكانها الخاص . وأما زرع الكبد فله فصل خاص .

سابعاً : أنواع خاصة من تليف الكبد :

(أ) تليف الكبد الكحولى :

تختلف استجابة الناس للخمر (الكحول) اختلافاً بيننا ، و « ظاهرة تشرشل » معروفة . فقد كان ونستون تشرشل يفرط فى الخمر والتدخين ، وقاد بريطانيا للنصر فى الحرب العالمية الثانية ، وعاش حتى تجاوز التسعين . إلا أن أكثر الناس يعانون متى تجاوزوا حد الخطر ، وهو ٨٠ جم كحول فى اليوم بصرف النظر عن صنف الشراب (١) ، وبخاصة إذا استمر سنين طويلة ، أو كان مصحوباً بسوء التغذية (نقص البروتين) .

يضر الكحول الكبد من عدة وجوه : فقد يتشمحم ، أو يلتهب ، أو

(١) ١٠ جم كحول = ٣٠ سم^٣ ويسكى

= ١٠٠ سم^٣ نبيد

= ٢٥٠ سم^٣ بيرة

يتليف . ويقع العبء الأكبر على خلايا المناطق المركزية المحيطة بالأوردة الكبدية ، وتصبح معرضة للموت (التنكز) وتكوين كولاجين التليف . وأحياناً يتوقف الأذى عند تجمع حبيبات الدهن في خلايا الكبد ، أو تكوين مواد غريبة زجاجية الشكل تسمى « أجسام مالورى » .

تبدأ الأعراض بفقد الشهية ، والغثيان و « التهوع » خاصة عند الاستيقاظ في الصباح ، والإسهال ، وقد يصاحبه ألم في جانب البطن الأيمن العلوى ، أو ارتفاع في الحرارة إذا كان الكبد ملتهباً . والفحص يبين الكبد متضخماً ، أملس ، جامداً ، وقد تصاحبه علامات تليف الكبد المعروفة (العناكب الشريانية ، نزف القناة الهضمية ، الاستسقاء) ، إلا أن تضخم الطحال محدود وقد لا يكون محسوساً .

وعلامات إدمان الخمر معروفة ، كاحمرار العينين ، واحتقان الوجه ، ومظاهر نقص التغذية وخاصة اضطراب الجهاز العصبى والنفسى ، وقد يصاحبه تضخم في الغدد النكفية ، أو ضمور في الخصيتين ، أو تقبُّض في ألياف راحة اليد (تقبُّع « دوبيتران ») ؛ ومرض الكلى شائع في مدمنى الخمر، كما أن العدوى بفيروس التهاب الكبدى (ب) أكثر انتشاراً في مرضى تليف الكبد الكحولى منه في عامة الناس .

أما الفحوص المعملية فتعتمد على تحاليل وظائف الكبد ، والإنزيمات عادة مرتفعة وخاصة الفوسفاتاز القلوى (AP) والجاما جلوتاميل ترانسبيبيداز (GGT) ، كما أن جلوبيولين المناعة من النوع IgA يكون عادة مرتفعاً ارتفاعاً ملحوظاً . وأحياناً نقيس نسبة مادة هيدروكسى برولين في الدم كدليل لمدى التليف في الكبد .

وأما عينة الكبد فتبين مدى الإصابة : التشحم ، أو الالتهاب ، أو

التليف . وأجسام مالوري لها أهمية خاصة لتشخيص دور الكحول في إحداث الأذى .

يعتمد علاج المريض اعتمادًا أساسيًا على الامتناع الكامل عن شرب الخمر، ومدى نجاحه في الإقلاع عن الإدمان ، توًا وإلى الأبد . كثير من أذى الكبد ينقشع بعد الكف عن الخمر ، وحتى تليف الكبد قد يستعيد حالته الطبيعية إلى حد كبير . ولكن العلاج التقليدي للتليف ولمضاعفاته كالنزف أو الاستسقاء ، علاج معروف . وأما سوء التغذية ، وهو أمر شائع في مدمني الخمر ، فيعوض بالبروتينات والفيتامينات الناقصة .

(ب) تليف الكبد الصفراوي (المراري) الأولى :

هذا مرض غير شائع ولكنه آخذ في الازدياد ، ربما لأننا أصبحنا أكثر وعيًا بوجوده ودقةً لتشخيصه . سببه غير معروف ، ويسمته المميّزة التهاب القنوات الصفراوية الصغيرة داخل الكبد وانسدادها . يظهر المرض عادة في كبار السن ، وأغلب المرضى من الإناث (عشرة إلى واحد) .

أشهر الأعراض هو الحكاك (الهرش) ، وهو أكثر شيوعًا من اليرقان في هذا المرض بالذات ، ولذلك يغلب أن يلجأ المرضى أول الأمر إلى طبيب الأمراض الجلدية . وبعض المرضى لا يشعرون بأي أعراض ، بل تكون البادرة هي فحصًا روتينيًا يكتشف تضخمًا في الكبد ، أو تحليلًا عارضًا يبين اختلالًا في وظائف الكبد . وآخرون يلجئون إلى الطبيب بعد أن يكون المرض قد استفحل : تليف الكبد ومضاعفاته المعروفة كالدوالي النازفة ، والاستسقاء ، والغيبوبة الكبدية .

التحليلات العملية مميزة ، أهمها ارتفاع نسبة الإنزيمات وخاصة

الفوسفاتاز القلوى والجاما جلوتاميل ترانسيتيداز ، ثم ارتفاع جلوبيولين المناعة من النوع IGM ، وأخيرا ، وهو أهمها ، الجسم المناعى المضاد للميتوكوندريا AMA . أما عينة الكبد فتبين التهاب القنوات المرارية الصغيرة وانسدادها وتجمع النسيج الحبيبي حولها ، وأخيرا التليف .

تشخيص هذا المرض يجب أن يميزه من الأمراض المشابهة ، وخاصة انسداد القنوات الصفراوية الخارجية (من الحصيات المرارية أو أورام البنكرياس والقنوات الصفراوية) ، وكذلك من الالتهاب الكبدي المزمن النشيط ، وقد يتطلب الأمر تلوين القنوات المرارية بالإبرة أو بالمنظار .

أما العلاج فهو غير حاسم : مركبات الكورتيزون غير شافية ، رغم أن المرض يشبه في الكثير أمراض المناعة . والبسلايين يزيل تراكم النحاس من نسيج الكبد ، ولكنه لا يؤثر في مسار المرض . حمض الصفراء المعروف بحمض أورسو ديزوكسى كولييك قد يحسن وظائف الكبد ويخفف من حدة الهرش ، ونفس الشيء مع دواء آخر وبطريقة مختلفة وهو دواء كولسترامين . أما الكولشيسين فهو دواء واعد ، ولكنه لازال رهن التجربة .

وكثير من هؤلاء المرضى يصابون بوهن العظام ، ولذلك نعوضهم بالكالسيوم وفيتامين د ، كما نعوضهم أيضا عن الفيتامينات الدهنية الفاقدة (فيتامين أ وفيتامين ك) حقا .

بقى علاج أخير ومهم ، وهو زرع الكبد ، لأن تليف الكبد الصفراوى الأولى من أهم دواعى زرع الكبد ومن أنجح نتائجه ، بشرط ألا يتأخر المرض أكثر من اللازم . وآخر التقارير الأوربية تؤكد أن المريض يمكن أن يعالج بزرع الكبد حتى لو تجاوز سن الستين ، وأن أكثر من ٧٠٪ من « المزروعين » بالكبد عا زالوا أحياء أكثر من خمس سنوات .

(ج) تليف الكبد من تراكم الحديد :

يتراكم الحديد في أنسجة الجسم ، إما لأسباب مكتسبة ، وإما لسبب خلقي .

الأسباب المكتسبة تشمل الإفراط في حقن الجسم بمركبات الحديد للعلاج ، أو بنقل الدم المتكرر في علاج الأمراض المزمنة كالأنيميا التحليلية أو فشل نخاع العظم .

أما السبب الخلقى فهو وراثي ، يُعزى إلى إفراط امتصاص الحديد من الأمعاء ثم توزيعه وترسيبه في أنسجة الجسم المختلفة : الكبد ، البنكرياس ، القلب ، الغدد الصماء ، الطحال ، المفاصل ، الجلد . وحيثما ترسب الحديد فإنه يثير تفاعل الأنسجة لتكوين التليف .

يصيب هذا الخطأ الأيضى الوراثى كلا الجنسين بالتساوى ، إلا أن المرض يغلب ظهوره في الذكور (عشرة إلى واحد) لأن فقد الحديد من تكرار الحيض والحمل يعفى النساء من ظهور المرض .

تبدأ الأعراض عادة في منتصف العمر ، وتضخم الكبد قد يصاحبه تضخم محدود في الطحال ، إلا أن مضاعفات تليف الكبد كالاستسقاء ونزف الدوالي والغيبوبة كلها محدودة وقليلة ، وإن كان سرطان الكبد يصيب ١٤٪ من هؤلاء المرضى . التحاليل المعملية لا تبين اختلالا ملحوظاً في وظائف الكبد ، لكن نسبة الحديد في البلازما ومركباته الأخرى كالفرّيتين والترانسفيرين عادة مرتفعة .

وهناك أيضاً علامات أخرى مصاحبة من إصابة أعضاء الجسم الأخرى : اضطباغ الجلد وباطن الفم باللون الرمادى الإردوازى ، البول السكرى (لذا سُمى بالسكر البرونزى) ، ضعف عضلة القلب ، ضمور الخصية ، وفقد

الشهوة الجنسية ، ونحول شعر الجسم ، تكلس غضاريف المفاصل .
والفحص التصويرى مفيد بأشعة الكمبيوتر المقطعية وبالرنين المغناطيسى ؛
وعينة الكبد قاطعة فهي تبين صبغ الحديد في الخلايا ، ويمكن تجفيفها لقياس
نسبة الحديد في الكبد .

العلاج يعتمد على فصد المريض : ٥٠٠ سم^٣ من الدم أسبوعيا في البداية ،
حتى تنخفض نسبة الهيموجلوبين إلى أقل من ١١ جم % ، ثم يباعد الفصد
حتى يصل إلى مرة كل ثلاثة أشهر ، ويستمر مدى الحياة .

(د) تليف الكبد من تراكم النحاس (مرض ويلسون) :

وهذا مرض أيضا وراثي آتخر ، يصيب صغار السن والشباب ، ويتج
من ترسيب النحاس في أنسجة الجسم وبخاصة الكبد والمخ والعين والكلى .

في الكبد تتفاوت شدته من الالتهاب الحاد ، إلى الالتهاب المزمن النشيط ،
إلى التليف . ويصاحب ذلك اليرقان ، واختلال وظائف الكبد المعروفة . في
الدماغ يترسب النحاس ، خاصة في العقد القاعدية فيسبب الرعاش وتيبس
الجسم وتداخل الكلام ، يصاحب ذلك تدهور الشخصية وتغيرات نفسية .
وفي الكلى تحتل وظائف الأنابيب الصغيرة فيتسرب الجلوكوز والفوسفات
والأمحاض الأمينية وحمض البوليك إلى البول . أما العين فلها علامة مميزة تعرف
بحلقة « كايزر وفلايشر » من ترسيب النحاس في محيط القرنية ، تفحص عادة
بمصباح خاص .

والتحليل المعمل يبين نقص النحاس والسريلوبلازمين (البروتين الحامل
للنحاس) في الدم ، وارتفاع نسبة النحاس في البول ، أما عينة الكبد فتكشف
عن ترسيب النحاس في نسيجه ويمكن قياس كميته .

والعلاج بدواء « بنسيلامين » ، الذى ينتزع النحاس من الأنسجة ويعمل على إخراجها .

ويبقى على الأطباء واجب آخر ، متى اكتشفوا مريضاً بمرض أبيض وراثى كمرض النحاس أو مرض الحديد ، إذ يجب علينا أن نفحص أقرباء المريض مسحا شاملاً عن أى مرضى آخرين ، ولو كانوا فى مرحلة مبكرة لا يحسون معها أى أعراض ؛ لأن الاكتشاف المبكر والوقاية الفعالة خير من العلاج .

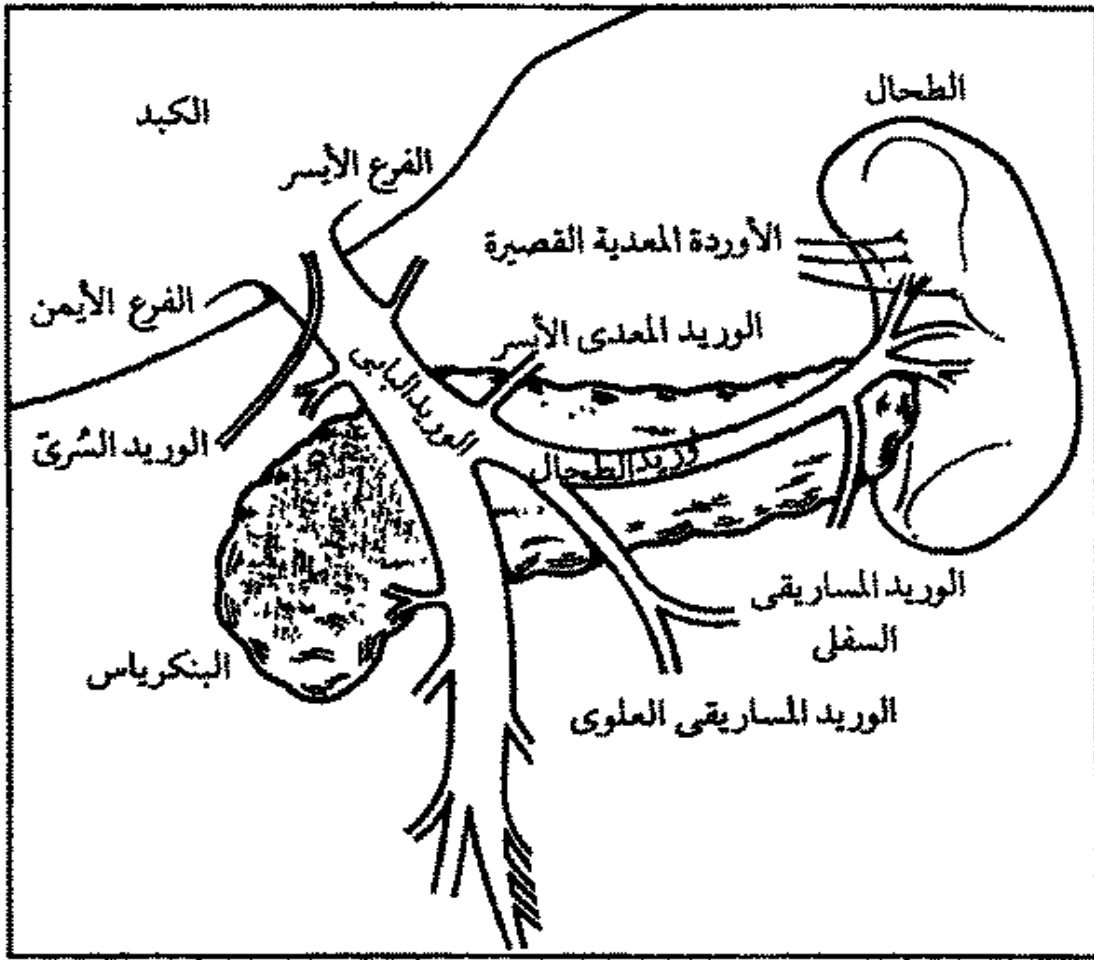
٨ - ارتفاع الضغط البابى ، ونزف دوالى المرىء

أولاً : الوريد البابى :

الوريد البابى هو الوريد الداخلى إلى باب الكبد ، بعد أن جمع الدم من القناة الهضمية فى جوف البطن ، ومن الطحال والبنكرياس والمرارة . يتكون الوريد البابى من اتحاد وريدين : الوريد المساريقى العلوى (الذى يجمع الدم من أعلى القناة الهضمية) ، والوريد الطحالى (الذى ينضم إليه أيضًا الوريد المساريقى السفلى لجمع الدم من أسفل القناة) .

يتفرع الوريد البابى بعد مسار قصير إلى فرعيه الرئيسيين ، لتغذية فصى الكبد : الأيمن والأيسر ، ثم يتفرعان إلى فروع أصغر فأصغر ، أشبه بالشجرة ، حتى تنتهى بالشعيرات الرفيعة المسماة الجيبات ، وبها تتصل أيضًا فروع الشريان الكبدى ، وفروع أوردة الكبد الخارجة منه ؛ فهنا إذن يجمع الدم من شبكاته الثلاث : الوريد البابى ، والشريان الكبدى ، والوريد الكبدى . وهذه الجيبات تصطف على شواطئها خلايا الكبد ، فتتاح لها الفرصة واسعة لتبادل الأخذ والعطاء بين الكبد والدم .

قلنا من قبل إن الكبد يتغذى بالدم من مصدرين : الوريد البابى ، والشريان الكبدى . يورّد الوريد البابى للكبد نحو ١٢٠٠ سم^٣ من الدم فى الدقيقة ، وهو يمثل ٧٢٪ من حاجة الكبد للأكسجين . وضغط الدم الطبيعى فى الوريد البابى هو ٧ ملليمتر زئبق .



الوريد البابي وفروعه

وفي ظروف معينة يرتفع ضغط الوريد البابي ، إما لانسداد في داخل الكبد كما في حالات التليف ، أو في خارجه كما في انسداد الوريد ، عندئذ يلجأ الوريد البابي لتفريغ الضغط إلى أوردة جانبية كامنة متصلة بالوريدين الأجوفين (العلوي والسفلي) . وأهم هذه الأوردة الجانبية هي التي في أسفل المريء وأعلى المعدة (دوالي المريء) ، لأنها معرضة للتقرح والانفجار ، ومن ثم للنزف الخطير . هناك طبعا أوردة جانبية أخرى كتلك التي في جدار البطن ، أو في المستقيم ، أو بين الطحال والكلية اليسرى ، إلا أن هذه لا تشكل خطرا دائما .

ارتفاع الضغط البابى له عواقب وخيمة ، منها أن غذاء الكبد يُحرم من دم الوريد البابى ويزداد اعتماده على الشريان الكبدى ، ومنها أن مصفاة الكبد ورقية الكيمياءى يفقد الكثير من وظائفه الحارسة ، فتسلسل الجراثيم من الأمعاء إلى الدم وتلوّثه ، وتتسرب الأمونيا (النشادر) المتولدة من الأمعاء إلى المخ فتؤدى إلى الغيبوبة . يحتقن الطحال أمام الضغط المرتفع فيتضخم وتتصلب أنسجته ، وقد يتوحش ويلتهم خلايا الدم وهو ما نسميه « فرط الطحالية » . ودوالى المرىء تبرز وتنتشر ، بعضها سطحى فى بطانة الغشاء المخاطى ، وبعضها غائر وعميق فى جدار المرىء وحوله ، وكثير منها تمتد إلى قاع المعدة . هذه الدوالى فى المرىء والمعدة قد تنفجر وينزف الدم فى القيء أو البراز . والضغط البابى ، من مضاعفاته المزمنة الاستسقاء ، فالضغط البابى سبب آخر للاستسقاء الذى سنشرحه تفصيلاً فى مكان آخر .

ثانياً : وسائل الفحص :

(أ) الفحص الإكلينيكى : يعتمد على تقييم الكبد (كلما صغر حجم الكبد ، ارتفع ضغط الوريد البابى عادة) ، والطحال (كلما كبر حجم الطحال ، كان عادة دليلاً على ارتفاع الضغط البابى) ، والأوردة الجانبية . الأوردة الجانبية فى جدار البطن تتجمع عادة فى منطقة الشراسيف وحول السرة ، وقد يُحسّ مرور الدم فيها بالأنامل كعرشة (هرير) ، أو يسمع بالمساع كخرير هادئ أو هدير كموج البحر . أما الاستسقاء فهو أيضاً من علامات ارتفاع الضغط البابى ، إذا صاحبه فشل الخلايا الكبدية .

(ب) الفحص التصويرى : يعتمد أساساً على الموجات فوق الصوتية ، فهى تكشف لنا خبايا الكبد والطحال ، وتظهر بوضوح حالة الوريد البابى (قطره الطبيعى لا يتجاوز ١٢ مم) وفروعه بما فيها الوريد الطحالى ، والأوردة

الكبدية ، والأوردة الجانبية ، ومحتويات البطن الأخرى ، والاستسقاء إن وُجد . أما أشعة الباريوم فيندر أن نلجأ إليها للكشف عن دوالي المرء إذا تعذر الفحص المنظاري . وأما تلوين الأوعية الدموية بالأشعة عن طريق الأوردة أو الشرايين ، فهو فحص غير روتيني ، نلجأ إليه إذا كانت الأوعية مسدودة ، أو كانت هناك أورام مشتبهة ، أو تمهيدًا للعمليات الجراحية كتوصيل الأوردة أو زرع الكبد .

(جـ) الفحص المنظاري : ضروري لفحص المرء والمعدة ، وخاصة لتقييم الدوالي . فعدد الدوالي ، ومداهما ، وحجمها ، ولونها - كلها أمور حيوية . الدوالي الهادئة المستقرة لونها باهت في العادة ، أما إذا احمرّ لونها وظهرت عليها « بقع الكرز » كما تسمى ، كانت نذيرًا بالنزف الوشيك ، وقد نحقنها وقائيًا لنجلطها ونصلبها لمنع النزف .

(د) الفحص الديناميكي : هذا فحص غير روتيني ، ولكنه أساسي لمعرفة ضغط الوريد البابي وفروعه ، ولسريان الدم في الكبد والدورة البابية : حجمه واتجاهه . ونحن نقوم بهذه الدراسات طلبًا لفهم وظائف الكبد والأوعية الدموية المتصلة به ، ونستعين في ذلك بوسائل غير تقليدية ، منها مثلاً طريقة « دوبلر » للفحص بالموجات فوق الصوتية ، ومنها أيضًا إدخال إبر دقيقة أو قساطر رفيعة إلى الوريد البابي أو الوريد الطحالي أو الوريد الكبدي أو شريان الأورطي وفروعه ، ثم نقيس كمية الدم المارة في جسم الكبد باستعمال أصباغ ملونة كالبروم سلفالين أو الإندوسيانين الأخضر ؛ أو نقيس ضغط الدم قبل الجيببات وبعدها . وُجد مثلاً أن ضغط الوريد البابي يتساوى قبل الجيببات وبعدها في تليف الكبد الكحولي أو الفيروسي ، أما تليف الكبد البلهارسى فيكون الضغط البابي فيه مرتفعًا قبل الجيببات ومنخفضًا بعدها لأن التليف فيه يتركز حول المسارات البابية قبل الجيببات .

ثالثاً : أسباب الضغط البابى وأنواعه :

ارتفاع الضغط فى الوريد البابى له أسباب تختلف باختلاف مساره : منها ما هو فى بدايته ، أى قبل الكبد أو تحته ، ومنها ما هو فى الكبد ذاته ، ومنها ما هو بعد الكبد أو فوقه .

(أ) أسباب الضغط البابى قبل الكبد أهمها :

- التهاب الوريد البابى وتليفه فى الطفل الوليد ، من تلوث السرة أثناء الولادة .
- عقب العمليات الجراحية ، خاصة استئصال الطحال . يبدأ التجلط فى وريد الطحال ، ثم ينتشر إلى الوريد البابى .
- عقب حوادث البطن وإصاباتهما ، مثل الطعنات النافذة أو اصطدام سيارة .
- أمراض الدم المصحوبة بزيادة التجلط ، كما فى مرض كثرة الكرات الحمراء .
- الأورام الضاغطة على الوريد البابى ، وأهمها أورام البنكرياس وأورام الكبد .
- اضطرابات المناعة الذاتية ، كما فى أمراض الكولاجين (أحد مكونات الألياف) أو التهاب الأوردة المتنقل .
- تشوه الوريد البابى أو غيابه خِلْقَةً .

هذه الأسباب الخارجة عن الكبد ترفع ضغط الوريد البابى ، ولكنها لا تؤثر كثيراً فى أداء الكبد وكفاءة وظائفه . فالأوردة الجانبية تبرز ، ودوالى المرئ والمعدة قد تنزف ، والطحال يتضخم ، ولكن الكبد عادة طبيعى الحجم والقوام ، والغيبوبة الكبدية نادرة ، والاستسقاء إذا حدث فهو مؤقت .

مصير هذه الحالات ومآلها أفضل من تليف الكبد ، وعلاجها يتوقف على الأوردة المتاحة لإجراء عملية توصيل الوريد البابى أو فروعه بالوريد الأجوف

السفلى أو فروعه. أما تجليط (تصليب) الدوالي بالمنظار ، فيُسعف النزف الحاد ، ولكنه لا ينفع لعلاج دوالي المعدة والتي تكون عادة ضخمة ومنتشرة . وأهم من هذا وذلك تحديد مصدر انسداد الوريد البابى وارتفاع ضغطه ، لعلاج سببه كلما أمكن .

(ب) أسباب الضغط البابى فى الكبد ذاته : أهمها تليف الكبد . هذا التليف يهز كيان الكبد ويزلزل بنيانه : المسارات البابية تختنق ، والأوردة المركزية تُزحزح عن مراكزها ، والجيببات تضيق وتسد ، وعُقَد الكبد المتجمعة من الخلايا الجديدة تزاحم الجميع ، فتزيد المقاومة فى الكبد ويرتفع الضغط فى الوريد البابى ، ويهرب الدم إلى الأوردة الكبدية ، وتفقد خلايا الكبد ثلث الدم الذى يروىها ويغذيها .

وهناك أمراض فى جرم الكبد ذاته ، ترفع الضغط البابى ولكنها تختلف بعض الشيء عن تليف الكبد ، لأن اختناق المسار وعنق مقاومته يكونان قبل مستوى الجيببات ، كما فى بلهارسيا الكبد وبعض أنواع تضخم الطحال فى المناطق الاستوائية . مثل هذه الحالات ، تكون أقل إصابة بخلايا الكبد ، ويكون الاستسقاء والغيبوية الكبدية أقل حدوثاً منها فى حالات التليف العادى .

(جـ) أسباب الضغط البابى بعد الكبد أهمها :

— انسداد الأوردة الكبدية الصغيرة بسبب مكونات نباتية قلوانية سامة ، كما فى نبات « سنيسيو » (الشبخة) الذى يُشرب كالشاي العشبي ، أو بعض الفطريات العالقة بالقمح .

— انسداد الأوردة الكبدية الكبيرة (مرض « بَضْ » و « كيارى ») ، وأسبابها متعددة ، منها أمراض الدم والتجلط ، والالتهابات المناعية ، والأورام ،

وغيرها . ويساعد في تشخيص هذه الحالات الفحص بالموجات فوق الصوتية ، خاصة إذا لوحظ فص الكبد المذّنب متضخماً ، وكذلك تلويين أوردة الكبد بالأشعة .

- انسداد الوريد الأجوف السفلى من تجلط في الدم أو ضغط من ورم لصيق .
- ارتفاع الضغط في أذين القلب الأيمن ، كما في التهاب التامور المزمن . هنا يتضخم الكبد كثيراً ، ويحتقن الوريد الودجى ، ويغلب وجود الاستسقاء .

رابعاً : دوالى المرىء والمعدة :

(أ) خطرها :

هذه الدوالى ، كما أسلفنا ، هى أخطر أنواع الأوردة الجانبية الناجمة عن ارتفاع الضغط في الوريد البابى ، ذلك لأنها معرضة للنزف . وقد ثبت أن هذا النزف هو أكثرها شيوعاً بين أسباب نزف القناة الهضمية ، ويفوق في ذلك نزف القرحة الهضمية في مصر .

تشارك عوامل متعددة في إحداث النزف من الدوالى ، أهمها : ارتفاع الضغط في الوريد البابى ، والتهاب الغشاء المخاطى المغطى للدوالى وتسلّخه ، ثم سيولة الدم وضعف تجلّطه . ويزداد الخطر كلما كانت الدوالى كبيرة وحمرء ، وقد تكسوها بقع قانية بلون الكرز . والنزف قد يكون مفاجئاً وغزيراً ، أو يكون نزاً بطيئاً لا يلفت النظر بينما تمتلئ الأمعاء بالدم المختزن .

هؤلاء المرضى ، وبخاصة أصحاب تليف الكبد ، مرشحون لمضاعفات خطيرة تعقب النزف ، أهمها : الأنيميا التى تزيد من تدهور أداء الكبد وفشل كفاءته ، وظهور اليرقان ، والاستسقاء ، والغيبوبة . نحن لذلك نسارع باستعمال منظار المعدة في أقرب فرصة في نزيف الجهاز الهضمى لتحديد مصدر النزف : هل هى دوالى أو قرحة أو تسلخ سطحي ؟

ثم نحاول تصنيف مرضى تليف الكبد ، عملاً بتقسيم « تشايلد » المعروف ، إلى ثلاثة أصناف تتدرج شدتها ومآلها من (أ) إلى (ب) إلى (ج) كما يلي :

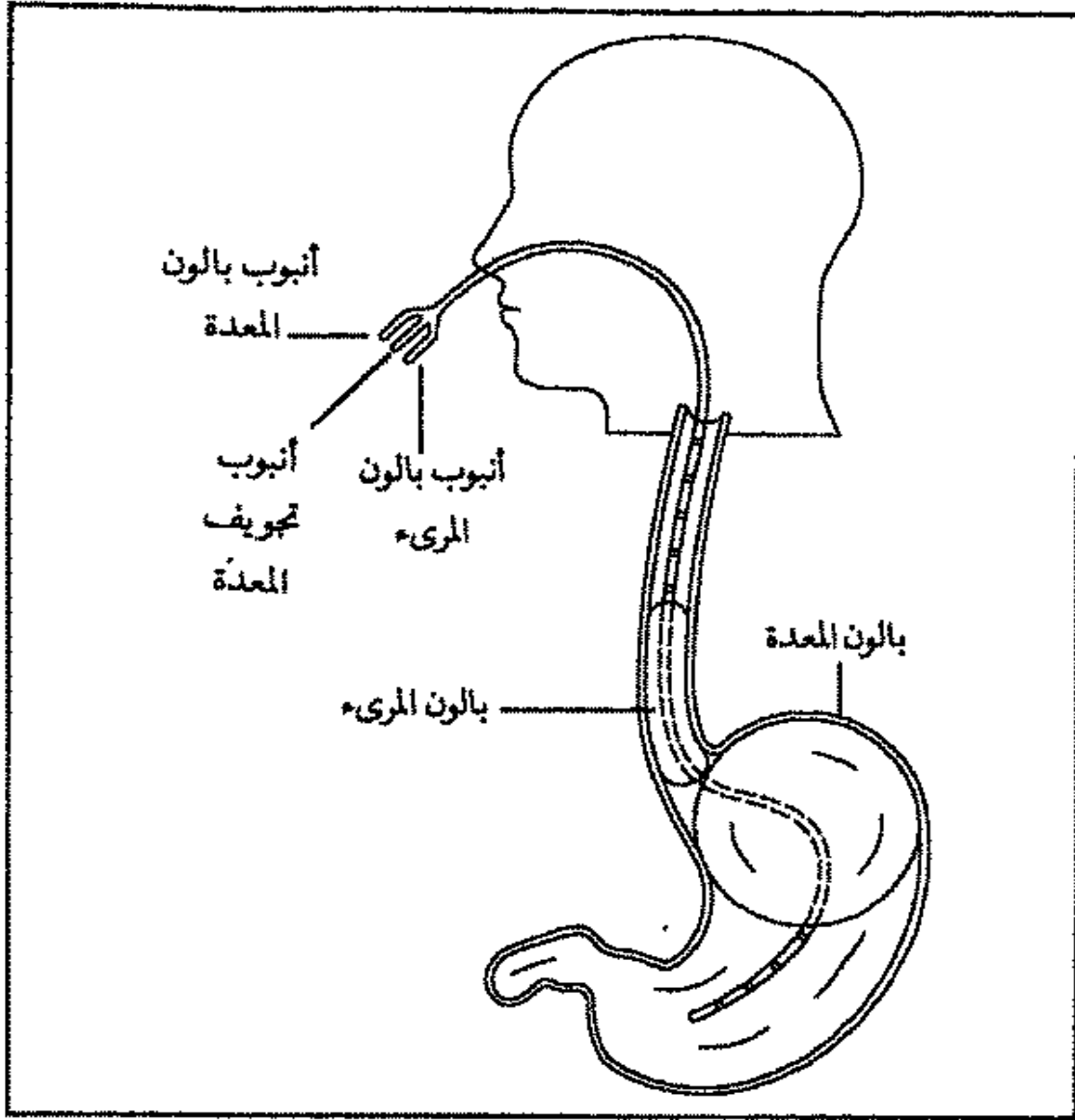
(ج)	(ب)	(أ)	
أكثر من ٣	٢-٣	أقل من ٢	نسبة البليروبين في الدم (مجم %))
أقل من ٣	٣,٥-٣	أكثر من ٣,٥	نسبة الزلال في الدم (جم %))
تصعب إزالته	تسهل إزالته	غير موجود	الاستسقاء
متقدمة وقد تؤدي إلى الغيبوبة	قليلة	غير موجودة	المضاعفات العصبية
سيئة	جيدة	ممتازة	الحالة الغذائية
	—————		فُرص بقاء المريض حيًّا بعد العام الأول من النزف
٣٠%	٧٠%		

ونضيف إلى ذلك أن تليف الكبد البلهارسى ، وهو بطبيعته غير موجه أساسًا إلى الإضرار بخلايا الكبد ، يكون عادة أقل أذى وأفضل مآلاً من تليف الكبد الكحولى أو الناجم من الالتهاب الكبدى المزمن النشط .

(ب) علاجها :

أما علاج الدوالي ، ففيه التفاصيل التالية :

١ - إدخال المريض إلى المستشفى ، متى نزف ، أمر مستحب مهما بدا النزف قليلاً في ظاهره . هنا يراقب المريض ، وتتابع حالته : النبض ، والضغط ، ولون البراز . نقل الدم ضرورى ، وقد يتكرر ، ويجب أن يكون طازجًا ليحتوى على الصفائح وعوامل التجلط . يُحقن المريض بفيتامين ك ،



أنبوية سنجستاكن وبلاكورد

في العضل ، ويعطى دواء لخفض حموضة المعدة مثل « رانيتيدين » . وتحسبًا للغيوية في مرضى تليف الكبد لمنع البروتين من الغذاء ، ويعطى المريض بالفم « نيوميسين » لتعقيم الأمعاء ، و « لاکتبولوز » لمنع تولد الأمونيا فيها . ويتزح الدم النازف من المعدة والأمعاء بالشفط والحقن الشرجية .

٢ - فحص المريء والمعدة بالمنظار أول شيء نحاوله ، لكي نحدد مصدر

التزف ونوقفه بحقن الدوالى إذا أمكن ، فإذا تعذر ، أو تطلب نقل المريض إلى مراكز متخصصة ، كان علينا أن نشترى الوقت بأحد أمرين ، أو كليهما :

(أ) فازوبريسين : وهو مادة قابضة لشرابين الأحشاء - تُنقص ورود الدم إلى الوريد البابى وتخفض ضغطه . تحقن ٢٠ وحدة من هذه المادة فى ١٠٠ سم^٣ محلول جلوكوز ٥% فى الوريد بالتنقيط خلال عشر دقائق ، ويستمر مفعولها لمدة ساعة . وأفضل منها المركب المشابه لها ، وهو جليبريسين ، الذى يحقن جرعة واحدة فى الوريد ويستمر مفعوله لمدة أطول ، ويمتاز أيضًا بأنه لا يقبض شرايين القلب التاجية ، إلا أنه باهظ الثمن . وهناك مركب آخر مشابه للسابقين ومماثل فى مفعوله ، هو سوماتوستاتين ، وهو أيضًا غالى الثمن .

(ب) أنبوبة سنجستاكن وبلاكومور : هذه أنبوية « بثلاثة أرواح » ، أى أن لها ثلاثة تجاويف ، واحد لنفخ بالون فى تجويف المريء ، وثان لنفخ بالون آخر يضغط على قاع المعدة ، وثالث لشفط محتويات المعدة أو حقن الغذاء أو الدواء إليها .

تُولج الأنبوية من خلال الفم حتى يستقر بالون المعدة فى قاعها ، ثم ينفخ بـ ٢٥٠ سم^٣ من الهواء . أما بالون المريء فينفخ حتى يصل ضغطه إلى ٢٠ - ٣٠ سم زئبق . والهدف هو الضغط على دوالى المريء والمعدة بأمل وقف التزف منها . ثم يُنقى الضغط بعد ٢٤ ساعة ، وتشفط محتويات المعدة . فإذا استمر التزف يعاود النفخ يوما آخر يتم خلاله التصرف فى الدوالى بالحقن أو بالجراحة .

واستعمال الأنبوية منغص للمريض ومرهق للطبيب المشرف ، وله مشاكله كالاختناق أو تفرح المريء ، ولكنه أحيانا يكون البديل الوحيد لإنقاذ المريض .

٣ - حقن الدوالى وتصلبيها (أى تجليطها وتلييفها) بالمنظار ، أصبح الآن

علاجًا شائعًا . تُستخدم إبرة رفيعة وطويلة من خلال منظار الألياف الضوئية لحقن الدوالي في أسفل المريء . وتحقن المادة المجلطة (وهي عادة إيثانولامين أوليات) في تجويف أوردة الدوالي أو فيما بينها ، اثنين أو ثلاثة في المرة . ويكرر الحقن أسبوعيًا أولاً ، ثم على فترات متباعدة ، حتى يتم تصلب الدوالي كلها . وإذا كانت الدوالي ناتئة في المعدة ، فيمكن حقنها بزيادة سريعة التجليط هي « باكريلات » . ولا ينتهي حقن الدوالي بتصلبها جميعًا ، بل يجب فحص المريء والمعدة بالمنظار بعد ذلك بطريقة دورية كل ستة أشهر ، ثم كل سنة ، مخافة ظهور دوال جديدة بعد السابقة .

وحقن الدوالي النازفة ، هو أهم دواعى استعماله ، وقد تأكد أثره في وقف النزف المباغت ، وله دوره أيضًا كعلاج انتقائي وكإجراء وقائي . وهو أبسط وأقل تكلفة من العلاج الجراحي . إلا أن له أيضًا مضاعفاته ومشاكله ، منها : الحمى وعسر البلع وألم الصدر ، التي تعقب الحقن في أكثر الحالات وتزول سريعًا . وأخطر منها النزف الغزير والعصى على السيطرة ، أو انثقاب المريء أو تضييقه ، أو التهاب الرئة والبلورا .

٤ - العلاج الجراحي ، وهو على أنواع :

(أ) استئصال الطحال وربط الأوردة الموصلة للدوالي ، ونجمع إلى ذلك أحيانًا قطع المريء ثم وصله (عملية « حَسَاب ») . هذه العملية تحاول خفض الضغط البابى ، ومنع النزف من الدوالي ، وفي الوقت ذاته تتجنب الغيبوبة الكبدية التي قد تنشأ من عملية وصل الوريد البابى بالوريد الأجوف .

(ب) توصيل الوريد البابى بالوريد الأجوف السفلى ، أو توصيل وريد الطحال بوريد الكلية اليسرى (عملية « وِارِن ») . هذه العمليات تخفض

الضغط البابى خفضًا ملحوظًا ، ولكن يعيها الغيبوبة الكبدية التى تنجم بعدها فى كثير من المرضى . لذلك نفضل فى هذه العمليات ألا يتجاوز المريض سن الخمسين ، وأن يكون تليف الكبد فى تصنيف « تشايلد » أ أو ب . وهذه العمليات تحتاج إلى مهارة جراحية خاصة .

(جـ) قطع المرىء ثم إعادة توصيله بجهاز خاص يسمى « الدباسة » ، وسمى كذلك لأنه يربط بين طرفى المرىء المقطوعين بمشابك أشبه بدبابيس الورق . والغرض من ذلك هو هتك الدوالى وقطع اتصالها . وهذه الجراحة شاع استعمالها حينًا لوقف نزف الدوالى المفاجئ ، ولكن يندر اللجوء إليها الآن .

٥ - خفض الضغط البابى ، باستعمال الأدوية ، يعتمد أساسًا على دواء بروبرانولول (إندرال) . هذا الدواء يخفض تدفق الدم من القلب إلى الأوعية الدموية للأحشاء ، فينخفض الضغط البابى ، ويقل احتمال النزف من الدوالى ، إلا أن الاستجابة تختلف اختلافًا بينًا من شخص لآخر ، لذلك يصعب تحديد جرعة الدواء والتنبؤ بجدواه . والقاعدة العامة أن نعمل على إنقاص سرعة النبض فى المريض بمقدار الربع ، والجرعة اليومية قد تتفاوت من ٣٠ إلى ٣٦٠ مجم .

٩ - فشل الكبد والغيبوبة الكبدية

تفشل خلايا الكبد عن أداء وظائفها لأسباب عدة ، منها الحاد ومنها المزمن ، كما في التهابات الكبد بأنواعها (فيروسية وغير فيروسية) ، وتليف الكبد ، والانسداد الصفراوي المزمن ، بما في ذلك أورام الكبد السرطانية ، وانسداد الشريان الكبدي أو الأوردة الكبدية .

(أ) الأعراض والعلامات :

١ - انحطاط الحالة الصحية العامة للمريض ، ويبدو في شعوره بالضعف والإعياء ، وفقد الشهية ، والهزال ، وعلامات نقص التغذية .

٢ - اليرقان ، وهو علامة أساسية ، وسببها هنا عجز الخلايا الكبدية عن التعامل مع صبغ الصفراء (البليروبين) ، ويزداد اصفرار اللون بازدياد انهيار الكبد .

٣ - من مظاهر الفشل الكبدي أن يزيد تسارع الدم في الدورة الدموية ، فيسرع النبض ، وينخفض الضغط ، وتتوابع دقات القلب ، وتكون الأطراف دافئة متوردة ، أو قد تزرق وتتعجر الأصابع إذا صاحبه الاستسقاء والانسكاب البلوري .

٤ - الحمى شائعة في مرضى الفشل الكبدي ، وسببها تسرب الميكروبات

من الأمعاء وغيرها إلى الدم ، وعجز مصفاة الكبد المختلة عن حجز البكتريا والتعامل معها . هذه الحمى قد تكون مفاجئة ومرتفعة ، أو تكون مخاتلة من التهاب البريتون في حالات الاستسقاء . ثم هناك نوع آخر يصاحب مرضى التليف الكبدي ، وتكون درجة الحرارة فيه مرتفعة ارتفاعًا طفيفًا لا يتجاوز ٣٨ مئوية ، ولكنه مستمر ويشكل جزءًا من الصورة الإكلينيكية .

٥ - نَقْنُ الكبد ، وهو تغير مميز في رائحة النَّفَس ، يشبه أحيانًا رائحة الفئران ، سببه مواد متولدة من الأمعاء ومنتسبة إلى الدم . هذه الرائحة المميزة من علامات فشل الكبد ، وقد تؤذن بقرب الدخول إلى الغيبوبة .

٦ - التغيرات الجنسية واختلال وظائف الغدد الصم شائعة . في الذكور : ضعف الشهوة والقدرة ، تساقط شعر الجسم كالإبط والعانة والذقن ، تضخم الثدي (وقد يكون مؤلمًا) ، وصغر حجم الخصية . أما الإناث ، فقيهن اضطراب الحيض وقد ينقطع ، وضمور الثدي ، وضمور الرحم ، والخصوبة عادة ضعيفة أو منعدمة .

٧ - تغيرات الجلد ، وقد سبق أن شرحناها في الكلام على « وسائل التشخيص » ، أهمها احمرار الكفَّين ، والعناكب الشريانية . أما احمرار الكفَّين ، فقد يكون طبيعيًا وشائعًا بين أفراد بعض العائلات ، وكذلك يظهر كثيرًا في الحوامل ، وفي مرضى الغدة الدرقية . ويكون الاحمرار واضحًا في قواعد الأصابع وخاصة الإبهام والخنصر (جانبي الراحة) .

وأما العناكب الشريانية ، فيكثر ظهورها في الوجه والرقبة وأعلى الصدر والذراعين ، وأحيانًا تتخذ شكل الشعيرات الرفيعة الحمراء والزرقاء وتشبه بورق البنكنوت . وعلينا ألا نخلط بينها وبين الشعيرات المنتشرة في الرجلين ، فهي من احتقان الأوردة ودوالي الساقين .

٨ - اختلال تجلط الدم ، وأهم عناصره الفيبرينوجين والبروثرومين ، وكلاهما يعتمد على أداء خلايا الكبد .

٩ - الاستسقاء ، وله فصل خاص بالكتاب .

١٠ - التغيرات العصبية والنفسية : هذه تتفاوت شدتها من التغيرات النفسية البسيطة ، إلى الغيبوبة العميقة التي قد تفضى إلى الموت . من الأعراض والعلامات المبكرة في المريض : اضطراب النوم ، فيغلب عليه النوم نهارًا ولكنه يأرق ليلاً ؛ بطء الكلام وبطء الحركة عمومًا ؛ تغير الشخصية ، كالقلق أو الاكتئاب أو عدم الاكتراث ، أو صعوبة التفكير أو تعثر الكتابة . ارتعاش الجسم (الرعاش) من العلامات المهمة ، ويبدو واضحًا في اليدين والذراعين المبسوطتين فكأنها طائر يخفق جناحاه . أما الغيبوبة فهي على درجات ، أبسطها التشوش واضطراب السلوك ، ثم الخمول والنعاس ، ثم الذهول واختلال الكلام ، وإن كان المريض لا يزال يستجيب لأوامر المتحدث ، وأخيرًا الغيبوبة العميقة التي لا استجابة فيها . وفي أمراض الكبد المزمنة كالتليف تظهر علامات إصابات الجهاز العصبي كالشلل السفلي وتشنج العضلات .

هذه التغيرات النفسية والعصبية ، قد تحدث في أمراض الكبد الحادة كالالتهاب المداهم ، أو في الأمراض المزمنة كالتليف ، خاصة إذا اتسعت الأوردة الجانبية الموصلة بين الوريد البابي والوريد الأجوف .

وأقرب تفسير لمثل هذه التغيرات هو تسرب مادة ضارة تجرد طريقها من الأمعاء إلى الدم ، تزوج من الكبد وتصل إلى الدماغ فتفسد أداءه . هذه المادة تنشأ من فعل بكتريا الأمعاء ، وأغلب الظن أنها مادة الأمونيا (النشادر) . هناك طبعًا احتمالات أخرى كالأمينات والأحماض الأمينية . وهناك أيضًا الحثل

الكيميائى الذى قد يصيب خلايا الكبد وخلايا الجسم عمومًا ، كاضطراب توازن الحمض والقلوى ، أو اضطراب الإلكتروليات كالصوديوم والبوتاسيوم ، أو انخفاض نسبة السكر فى الدم . هذه الاضطرابات لها أحيانًا أسباب مباشرة كالقيء أو الإسهال أو الأدوية المدرة للبول ، أو الحمى ، أو النزف ، أو الإفراط فى أكل البروتينات كاللحوم ، أو الخمر ، أو الإمساك الشديد . هذه الأسباب المباشرة قابلة للتصحيح ، وتشكل جزءًا مهمًا فى العلاج .

(ب) العلاج :

- الأسباب المباشرة للفشل الكبدى وللغيبوبة الكبدية ذكرناها سلفًا ، والكثير منها قابل للتصحيح . منها مثلًا نزف القناة الهضمية ، والحمى ، والقيء والإسهال ، وإساءة استعمال مدرات البول ، والإفراط فى أكل البروتينات أو تعاطى الخمر أو الإمساك إلخ . . .

- أما الأسباب الكامنة ، فتختلف باختلاف المرض . هناك مثلًا الالتهاب الكبدى المداهم ، وفيه ينهار الكبد انبهارًا شاملاً ومفاجئًا ، بسبب الفيروسات الكبدية أو الآثار الضارة لبعض الأدوية أو تسمم الحمل . مثل هذه الحالات يجب أن تعالج بمتهى الاهتمام والمتابعة المستمرة ، ويفضل أن توضع فى مراكز الرعاية المركزة ، لأنها بالرغم من خطورتها إلا أنها قابلة للشفاء التام فى كثير منها .

أما أمراض الكبد المزمنة ، وأغلبها التليف ، فلها الراحة والغذاء المناسبان . ومعظم هؤلاء المرضى يُسمح لهم بالنشاط المعتدل وبغذاء يوفر حوالى ٢٥٠٠ سعر حرارى لليوم .

أما البروتينات ، فلا داعى لحظرها طالما أن المريض لا يعانى من الغيبوبة أو

من مقدماتها ، وله أن يتناول ٥٠ - ٦٠ جم بروتين في اليوم . الخمر ممنوعة
بتاتا . الفيتامينات قد تساعد أحيانا إذا ظهرت علامات نقصها . لكن كثيرا
من أدوية السوق « التي تنشط الكبد الكسلان » أو « تحمي من السموم » ،
معظمها عديم الجدوى ، وبعضها قد يضر ، خاصة إذا احتوت على نسبة
عالية من الكولين أو الميثيونين . المنومات ومهدئات الأعصاب يحسن تجنبها إلا
للضرورة ، والمنبهات الجنسية بلا فائدة .

- في الغيبوبة الكبدية ، وما قبل الغيبوبة ، علينا أن نمنع البروتين منعاً تاماً
من الغذاء ، ونعوضه بالسرعات الحرارية اللازمة عن طريق أنبوب المعدة أو في
الوريد . الإمساك عدو لدود ، نغسل القولون بالحقن الشرجية ، ونعطي
المريض بالفم دواء لاكتيلوز (وشبيهه لاكتيلول) الذي يلين الأمعاء ويمنع
تكوين مادة الأمونيا . ولنفس الغرض نعطي بالفم أو بأنبوب المعدة دواء
نيوميسين (٤ جم في اليوم) ، وهو مضاد حيوى يطهر الأمعاء من البكتريا
التي تنتج الأمونيا ، ويمكن الاستعاضة عنه بدواء باروموميسين أو دواء
مترونيديازول .

هناك محاولات سابقة لامتصاص مادة الأمونيا من الدم بدواء «جلوتامين» ،
ولكن لم يثبت نفعها .

ويجرب الآن دواء ان آخران لحماية الدماغ من النتائج الضارة المصاحبة
للغيبوبة : الدواء الأول هو « بروموكربتين » الذي يساعد في توفير مركبات
الدوبامين اللازمة لأداء وظائف الدماغ . والدواء الثانى هو « فلومازليل »
الذى يحمى خلايا الدماغ من مركبات البنزوديازيبين التى قد تؤدى إلى
الغيبوبة .

أما الغيبوبة الحادة الناجمة عن فشل الكبد المدهام والمصاحب لانهاره

الشامل ، فلها إجراءات استثنائية ، لأن المشكلة ليست قاصرة على مجرد الغيبوبة ، بل تتضمن أيضًا ضياع كل وظائف الكبد الرئيسية : اختلال سوائل الجسم وإلكترولياته ، اختلال توازن الحمضى والقلوى ، اختلال نسبة السكر فى الدم ، انهيار تجلط الدم ومضاعفات النزف الشديد ، الفشل الكلوى ومضاعفاته ، انهيار الدورة الدموية والتنفس ، العدوى بالميكروبات المختلفة وصعوبة السيطرة عليها ، إلخ . . .

لذلك نحن نفضل دائماً نقل مثل هؤلاء المرضى إلى أقسام الرعاية المركزة ، حيث الإشراف الطبى المستمر والفحوص الدقيقة متوافرة ، وحيث المحاليل المختلفة ومشتقات الدم والأجهزة النادرة متاحة . أحياناً نلجأ إلى تغيير دم المريض تغييراً كاملاً واستبدال دم نقى به ، أو نلقى دم المريض من المواد السامة بإمراره فى مصفاة من الفحم النشط ، أو فى أنابيب من الأغشية شبه المنفذة (كما فى الغسيل الكلوى) . ثم هناك إجراء حاسم وخطير ، وهو زرع الكبد ، نلجأ إليه مضطرين إنقاذاً للحياة قبل أن تضيع الفرصة المواتية ، ولهذا حديث خاص فى فصل من الكتاب .

١٠ - الاستسقاء

الاستسقاء هو تجمع سائل في التجويف البريتونى ، يملأ البطن وينفخه . وهو مرض شائع ومعروف من قديم ، وصفه الفراعنة في البرديات ، واليونان في كتابات أبقراط وجالينوس ، والعرب في مؤلفات الرازى وابن سينا . هذا المرض يفرض نفسه على أعين الناس عامة قبل اللجوء إلى الأطباء ، إلا أن القدماء لم يفهموا أسبابه وطبيعته بوضوح . كان ابن سينا يميز بين ثلاثة أنواع من الاستسقاء : زقى ، سببه مادة مائية تنصب إلى فضاء الجوف ؛ ولحمى ، سببه مادة بلغمية تغشو مع الدم في الأعضاء ؛ وطبلى ، سببه مادة ريجية . ولاشك أن الاستسقاء الزقى هو النوع الذى نعبه بكلامنا هنا .

أولا : الأسباب :

يتوقف الاستسقاء على سببين رئيسيين :

١ - انخفاض نسبة الزلال (الألبومين) فى الدم الذى يتحكم فى الضغط الأسموزى للبلازما ، ومن ثم فى الرشح من الغشاء البريتونى الذى يكسو تجويف البطن . هذا الانخفاض فى نسبة زلال الدم ، ينجم عادة عن عجز الكبد عن تخليق الزلال ، خاصة إذا انكشف هذا العجز فى مواجهة ظروف طارئة كالنزف أو العدوى أو الإسهال الشديد .

٢ - ارتفاع ضغط الوريد البابى ، الذى يساعد على دفع السائل الراشح من

الأوعية الدموية إلى تجويف البطن . هذا العامل سبب محلي ولا يكفى وحده لإحداث الاستسقاء إلا إذا اجتمع إليه فشل الخلايا الكبدية وعجزها عن تخليق الزلال ، ولذلك فإن أهم مسببات الاستسقاء وأكثرها شيوعا هو تليف الكبد ، حيث يجتمع السببان .

نحن نميز عادة بين مرحلتين في تاريخ الاستسقاء : نشأته ، واستمراره . أما نشأته ، فهي كما قلنا تتوقف على انخفاض زلال الدم ، وارتفاع ضغط الوريد البابى . هنا يتدفق السائل من الأوعية الدموية إلى تجويف البريتون ويتجمع فيه . وهذا السائل المتجمع ليس في حالة سكون وركود ، بل هناك تبادل مستمر بين الأوعية الدموية وتجويف البطن عبر الغشاء البريتونى ، إلا أن الحصيصة النهائية هي مزيد من تراكم السائل داخل البطن ، يقابل ذلك مزيد من تسرب الماء (السائل) من الأوعية الدموية وجفاف سائر الجسم . ما أشبه ذلك بالصورة التي رسمها الشاعر العربي لقافلة الجبال التي تعبر الصحراء محملة بخزانات (يقرب) الماء ، وهي في الوقت ذاته ظمأى من العطش :

كالعيس^(١) في البيداء يقتلها الظمأ والماء فسوق ظهورها محمول

هذا الجفاف من تسرب ماء الجسم يحفز قوى الدفاع للحفاظ عليه ، فتتشبث الكلى بالصوديوم للاحتفاظ معه بالماء ، وتساعد الغدة الكظرية (فوق الكلوة) بزيادة إفراز الألدوستيرون الذي يساعد في احتفاظ الجسم بالصوديوم والماء ، والغدة النخامية هي الأخرى تشارك بهرمونها الذي يساعد على احتجاز الماء في الجسم . وحصيصة هذا كله هو استعادة السوائل إلى الأوعية الدموية العطشى . إلا أن الأسباب الأولى لنشأة الاستسقاء لا زالت قائمة ، فيزيد

(١) العيس : الإبل التي يخالط بياضها شقرة .

التدفق مرة أخرى إلى تجويف البطن ويزيد امتلاؤه ، وندخل في حلقة مفرغة
تنقلنا من نشأة الاستسقاء إلى استمرار بقاءه .

هذا الفهم التفصيلي أمر ضروري ، إذا أردنا أن نسيطر على هذه الظاهرة
الكثبية ومحاولة علاجها . وهناك أيضًا عوامل أخرى تستحق الاعتبار ، منها
مثلًا ازدياد تورد الأوعية الدموية ونفاذ أغشيتها المنتشرة في بریتون الأحشاء ،
ومنها أيضًا تزايد لصف الكبد مع اختناق دم الأوردة الكبدية وارتفاع ضغطها ،
وهناك أيضًا أسباب أخرى مؤثرة في ظروف خاصة نذكرها في مكانها .

ثانيًا : الأعراض والعلامات :

الاستسقاء يتجمع إما سريعًا مفاجئًا ، وإما بطيئًا مخاتلاً . الاستسقاء
المفاجئ يعقب عادة عرضًا حادًا يزيد من فشل الكبد ، وينخفض زلال الدم ،
كما في النزف من دوالي المريء ، أو عدوى يصاحبها إسهال شديد ، أو عقب
عملية جراحية كبيرة . مثل هذه الحالات العارضة يمكن علاج أسبابها المباشرة
والتخلص من الاستسقاء الطارئ .

أما الاستسقاء البطيء المخاتل ، فهو أصعب علاجًا ، وأسوأ مآلًا ، لأن
أسبابه مزمنة وعصية على الشفاء . يسبق تجمع السائل في البطن ، ويصاحبه
عادة ، تجمع الريح في الأمعاء ، « الريح قبل المطر » كما قالوا ، وهذا يزيد من
انتفاخ البطن ومن الشعور بالضيق وكتمة النفس .

يكون المريض عادة هزيلًا أعرج ، تتناقض نحافة أطرافه مع امتلاء
البطن وانتفاخه ، وقد يبرز فتق من السرة أو في الأربيّة ، وتحتقن الأوردة
الجانبية فتبدو واضحة في جدار البطن . يتجمع السائل عادة في الخاصرتين
(جانبي البطن) ، وهذا يميز امتلاء البطن من أسباب أخرى كالحمل



الاستسقاء والدوالي في جدار البطن

أو الكيس المبيضي ، حيث يكون الانتفاخ في وسط البطن وتكون الخاصرتان خاليتين . ويمكن التأكد من تجمع السائل حُرًا في تجويف البطن بتقليب المريض على جنبه يَمَنَةً وَيَسْرَةً .

وفي مرضى تليف الكبد ، قد يصعب جسّ الكبد والطحال إلا بَنَحْسه إذا كان الاستسقاء ضخمًا ومشدودًا . وقد سُجِّل حجم السائل المستسقى في بعض التقارير ، فيبلغ ٧٠ لترًا في مريض واحد !

يعقب الاستسقاء ، أو يصاحبه ، ارتشاح الماء في القدمين (أوديبا) ، وقد يشمل أيضًا كيس الخصية (الصَّفَن) . ويضغط امتلاء البطن بالسائل على الحجاب الحاجز فيرفعه ، ويزاحم الرئتين في التنفس ، ويزداد الضيق إذا تسرب جزء من سائل الاستسقاء إلى تجويف البلورا (غشاء الرئة) . ويكون

الوريد الودجى محتقنا . أما البول فيقل حجمه ويزداد تركيزه فيصبح غامق اللون .

ثالثاً : وسائل الفحص والتشخيص التفريقي :

(أ) فحص البطن بالموجات فوق الصوتية ، وسيلة مفيدة وسريعة الجدى ، تكشف عن وجود السائل فى البطن مهما قل حجمه ، وتبين تجمعته وهل هو حر طليق أو مقيد بالتصاقات البريتونية . تبين كذلك ثروة من المعلومات : حالة الكبد ، والطحال ، والوريد الباهى ، والأوردة الكبدية ، والعقد اللمفية ، وهل هناك أورام أو بؤر مريية . ثم تفرق بوضوح بين الاستسقاء وبين أسباب انتفاخ البطن الأخرى : الحمل وتضخم الرحم ؛ كيس المبيض وأورامه ؛ امتلاء المثانة بالبول فى مرضى الأعصاب أو تضخم البروستاتا ؛ انتفاخ الأمعاء بالريح فى مرضى شلل الأمعاء أو إثر انثقابها ؛ أو حتى مجرد تراكم الدهن فى البطن فى أصحاب البدانة المفرطة .

(ب) بزل البطن لفحص عينة من سائل الاستسقاء يفيد كثيراً . نحن نميز بين نوعين من سوائل الاستسقاء : الرشيع *transudate* ، والنضيج *exudate* .

الرشيع سائل خفيف قليل الكثافة ، قليل البروتين (أقل من ٢ جم / %) ، قليل الخلايا - هو فى الحقيقة بلازما راشحة من الأوعية الدموية ، شبيهة بقوام البول ولونه ، وهو ما نتوقعه فى حالات تليف الكبد البسيطة .

أما النضيج فسائل كثيف ، غير شفاف ، غنى بالبروتين ، غنى بالخلايا ، لأنه فى الواقع ناضج من التهاب الأنسجة أو من تساقط خلايا الأورام التى تسبح فى التجويف البريتونى . مثل هذا النضيج يدعونا دائماً إلى الحذر وإلى مزيد من الفحص ، لأنه لا ينتج من تليف كبدى بسيط ، وعلينا أن نفكر فى الاحتمالات الأخرى :

(١) التهاب البريتون قد ينشأ تلقائيًا أو ثانويًا . أكثر أنواعه شيوعًا هو عدوى ميكروبية تلوث سائل الاستسقاء في مرضى تليف الكبد . علاماته وجع البطن ، ألم عند جسّه ، ارتفاع الحرارة ، وزيادة في كرات الدم البيض . وأحيانًا تكون هذه العلامات غائبة ، ويكون مثار الشك الوحيد هو التدهور المفاجئ في حالة الكبد . علينا إذن أن نفحص سائل الاستسقاء فحصًا بكتريولوجيًا (فيلم ومزرعة) لتحديد الميكروب المسئول ، ويمكن أن نسعف المريض بمضاد حيوى واسع المجال انتظارًا لنتائج المعمل .

أما التهاب البريتونى الدرني فهو أيضًا قد ينشأ أوليا ، أو مضاعفًا لتليف الكبد والاستسقاء . والالتهاب البريتونى الدرني شائع في مصر والدول النامية ، خاصة في الأطفال والشباب . علاماته وجع البطن وألمه عند جسّه ، وفحص اليد قد يحس بالتصاقات الأمعاء أو تضخم العقد اللمفية ، أما سائل الاستسقاء فيكون محدود الكمية أو محصورًا في تجمعات قليلة بين الالتصاقات . ملمس البطن عمومًا يُشَبَّه بملمس العجين ، والمريض عادة نحيف ضعيف غزير العرق ، أمعاؤه مضطربة بين الإسهال والإمساك . مثل هؤلاء المرضى يجب أن نفحصهم للدرن : أشعة الصدر ، اختبار الجلد (تيوبركلين) ، فحص السائل البريتونى للخلايا وللبكتريا ، فحص التجوييف البريتونى بالموجات فوق الصوتية أو بالمنظار البريتونى . وقد نلجأ أخيرًا إلى علاج الدرن بالأدوية الكيميائية علاجًا مبدئيًا (إمبريقيا) إذا أعميتنا الحيل .

(٢) الأورام ، خاصة السرطان ، هو أول ما نفكر فيه إذا كان سائل الاستسقاء مُدَمَى ، أو كان المريض متقدمًا في السن ، لأن السن المتقدم هو سن الأورام . نحن نبحث عن أورام الكبد : سرطان الكبد الأولى آخذ في الانتشار مع تليف الكبد والتهاباته الفيروسية ، وقد كشفت لنا الموجات الصوتية عن كثير من هذه البؤرات المرئية في مراحلها المبكرة . ثم سرطان الكبد

من ثانويات أخرى منتشرة من الجهاز الهضمي أو غيرها ، أو ناشئة أصلاً من البنكرياس مثلاً ، كلها احتمالات مطروحة علينا أن نتفحصها . نعتمد في ذلك على فحص عينة سائل الاستسقاء فحصاً خلويًا (سيتولوجيا) بحثاً عن الخلايا السرطانية . وأحياناً نُفرغ الجزء الأكبر من سائل الاستسقاء حتى نستطيع أن نتفحص الكبد وسائر محتويات البطن باليد الفاحصة .

هناك طبعاً وسائل أخرى لفحص الأورام ، منها الدالات المعروفة ، مثل ألفا فيتو بروتين ، ومنها أيضاً عينة الكبد الموجهة بأشعة الكمبيوتر المقطعية . إلا أننا نود أن ننبه إلى ملاحظات معينة في مرضى الاستسقاء تشير دائماً الشك في احتمال السرطان :

- * ظهور الاستسقاء لأول مرة في كبار السن .
- * التدهور السريع والمفاجئ في مريض الكبد بعد أن ظل مستقرًا لعدة سنوات .
- * ظهور الاستسقاء واستمراره ، دون تورم وارتشاح في القدمين (أديما) .
- * صعوبة علاج الاستسقاء ، وعدم استجابته للعلاج بمدرات البول .
- * سرعة امتلاء البطن بالاستسقاء بعد علاجه بالأدوية أو بالزل .
- * تجلط الوريد البايي وانسداده ، كما تبينه الموجات فوق الصوتية .
- * اصطبغ سائل الاستسقاء بالدم عند فحص العينة .

(٣) احتقان الكبد ، وهذا يحدث على مستويات ، كما في انسداد الأوردة الكبدية (مرض « بَنَسْ » و « كيارى ») ، أو التهاب التامور (غشاء القلب) المزمن . هذه الحالات يصاحبها تضخم ملحوظ في حجم الكبد ، يتدفق منه اللمف غزيرًا ، ويكون الاستسقاء ضخماً ، وسائله كثيفاً وغنيًا بالبروتين .

وهناك طبعاً وسائل الفحص الأخرى المعروفة ، كالتصوير بالأشعة ، أو بالموجات فوق الصوتية .

رابعاً : العلاج :

إذا كان المريض حديث عهد بالاستسقاء فعليه أن يتجنب الإجهاد . وقد ننصحه بالدخول إلى المستشفى لبضعة أيام حتى يُفحص ويُقيم حالته وتستقر . يوزن المريض يومياً ، ويجمع البول ويسجل حجمه كل ٢٤ ساعة ، وتقاس إلكترونيات الدم لمتابعة الحالة .

(أ) الغذاء : الصوديوم ، وأهم مصادره ملح الطعام ، هو العدو اللدود للاستسقاء وتراكم الماء في أنسجة الجسم (الأديما) ، لأن كل جرام واحد من الصوديوم يحتجز معه ٢٠٠ سم^٣ من السائل في الاستسقاء . لذلك يجب على المريض ألا يتناول أكثر من نصف جرام من الصوديوم في اليوم . كذلك يفضل ألا يتناول المريض من السوائل أكثر من لتر إلى لتر ونصف في اليوم . يتجنب المريض ملح السفارة ، ويمكن أن يستبدل به ملحاً طبيئاً بديلاً . وله الحرية في استخدام كثير من التوابل ، والمشهيات التي تحسّن مذاق الأكل ، كالليمون والخل والبصل والثوم والمقدونس والفلفل والمسطردة . يُفضل الخبز الخالي من الملح (وهذا يمكن عجنه ونخبه خصيصاً) ، وتمنع العجائن والفظائر المحتوية على « بيكنج باودر » . ممنوع طبعاً الزيتون والمخللات والجبن الحادق واللحوم المحفوظة المملحة أو المعلبة (الفسيخ - السردين ، الرنجة ، البسطرمة ، البوليف ، اللانشون ، السجق) .

ويستطيع المريض أن يأكل من اللحوم أو الدجاج أو الأرناب أو السمك ما يساوى ١٠٠ جم في اليوم ، وله أن يأكل بيضة يومياً . له أيضاً كوب من اللبن الحليب (ربع لتر) أو الزبادى . والأرز المطبوخ بدون ملح ، وكذلك

الخضراوات والفواكه الطازجة أو المطبوخة كلها مباحة ، وكذلك الفواكه المعلبة (كومبوت) . أما الأيس كريم والشوكولاتة والمياه الغازية والمعدنية فيحسن أن نُقلَّ منها . وهناك أيضًا إضافات من البروتينات المجهزة قليلة الملح شبيهة بالألبان المجففة ، يمكن للمريض ضعيف الشهية أن يتناول منها .

(ب) الأدوية المدرة للبول : هذه تحاول أن تستخلص الصوديوم (ومعه الماء) من الجسم ومن سائل الاستسقاء ، وتفرزه في البول . وهي على نوعين :

١ - النوع الأول يفعل فعله على الجزء القريب من « النُفرون » (وهو وحدة الإفراز في الكلية) ، مفعوله قوى في إخراج الصوديوم إلى البول ومعه الماء ، ولكن يعيبه أنه يسبب خروج البوتاسيوم أيضًا ، ولهذا مشاكلة . أمثلة هذا النوع : مركبات الشيازيد ، فروسيميد ، بيوميتاميد ، حمض إيثاكرينيك .

٢ - النوع الثاني يفعل فعله على الجزء البعيد من النُفرون ، مفعوله أضعف في إخراج الصوديوم والماء ، ولكن يميزه أنه يحافظ على البوتاسيوم في الجسم . أمثله : سيرونولاكتون ، تريامترين ، أميلوريد .

في حالة الاستسقاء البسيط ، نبدأ عادة بالتحكم في مصادر الصوديوم (الملح) في الغذاء تحكمًا منضبطًا ، يغنى كثيرًا عن الأدوية المدرة ، أو على الأقل يختصر كميتها . نلجأ أولاً إلى سيرونولاكتون ١٠٠ - ٢٠٠ مجم في اليوم . وإذا شكنا المريض من تضخم الشدى وألمه ، وهو عَرَضٌ قليل الحدوث ، بدلنا به دواء آخر من نفس المجموعة الثانية . أما إذا احتجنا إلى مزيد من الإدراج لعلاج الاستسقاء ، أضفنا دواء آخر من المجموعة الأولى مثل فروسيميد أو بيوميتاميد ، وهنا قد نحتاج إلى إضافات من كلوريد البوتاسيوم تحسبًا لنقصه .

نتابع استجابة الاستسقاء ، بوزن الجسم وقياس كمية البول يوميًا ،

حريصين على ألا يكون الإدرار أشد وأسرع من اللازم ، فلهذا مضاره ، منها
اختلال إلكتروليات الدم (الصوديوم ، البوتاسيوم ، الكلوريد) ، اختلال
وظائف الكلى ، تقلص العضلات ، ثم الغيبوبة الكبدية .

(جـ) بزل البطن : ينزعج مرضى الكبد عندما ما تنتفخ البطن ، ويعلمون
أنهم مصابون بالاستسقاء ، فهو علامة على تقدم المرض وتعطل أداء الكبد .
وينزعجون أكثر عندما يُطلب إليهم بزل البطن لإفراغ السائل منها ، فهم
يخشون أن يتكرر ذلك وهو ما يعنى قرب النهاية (١) .

ونحن نبزل البطن كثيراً لفحص عينة محدودة من سائل الاستسقاء بغرض
التشخيص .

ونبزل أحياناً كمية أكبر للعلاج ، خاصة إذا عجزت الأدوية المدرة عن
مفعولها وأحس المريض بضيق النفس من المراحة ، عندئذ نبزل نحو ٥ لترات
من السائل في اليوم ، ونعوضه في الوقت ذاته بنحو ٤٠ جم من الزلال الأدمى
قليل الملح حقنا في الوريد بالنقطة ، ويتكرر هذا الأمر عدة مرات ، والغرض
هو تعويض زلال الاستسقاء الضائع بزلال جديد .

أما طريقة البزل ومكانه ، فلا تختلف كثيراً عما قاله الأقدمون (٢) .

(١) يقول ابن سينا في علاج الاستسقاء (القانون : ج ٢ ص ٣٩٠) : « إن الغرض العام
في معالجتهم التجفيف وإخراج الفضول ، والأكل بميزان وترك الماء وتفتيح المسام . . .
واعلم أن الاستفراغ بالأدوية أحد من البزل . والبزل قلما نجح ، ولو استفراغ الماء أى
استفراغ كان ، ولو مائة مرة ، عاد وملاً . ويجب أن لا تقدم عليه ما أمكن علاج غيره .
والصواب أن لا يكون في دفعة واحدة ، فيستفراغ الروح دفعة وتسقط القوة ، بل قليلاً
قليلاً ، وأن لا يتعرض به لمنهوك » .

(٢) « يجب أن تبزل أسفل السرة قدر ثلاثة أصابع مضمومة . ورافق كى لا تشق الصفاق ،
بل لتسلخ المراق عن الصفاق قليلاً إلى أسفل من موضع شق المراق ، ثم تثقب المراق =

(د) الاستسقاء العنيد (العصى) : نعى بذلك الحالات التى لا تستجيب بسهولة للعلاج التقليدى بالغذاء والمدرات المعروفة . ونفترض أن السبب فى الاستسقاء هو تليف الكبد العادى ، لأن أسباب الاستسقاء كثيرة ، كما أسلفنا (التهاب البريتون الدرئى وغير الدرئى ، أورام الكبد والبنكرياس والمبيض وغيرها ، احتقان الكبد فى انسداد الأوردة الكبدية ، إلخ . . .) . ونفترض أيضًا أن العلاج قد استنفذ وسائل إحكام السيطرة على الغذاء قليل الصوديوم ، والجرعة الكافية للأدوية المدرة ، وتكرار بزل البطن وتعويضه بحقن الزلال فى الوريد .

مثل هذه الحالات العصية تعنى عادة فشلًا ذريعًا فى أداء وظائف الكبد ينذر بقرب النهاية . والإمعان فى المزيد من الأدوية المدرة ، سيؤدى لا محالة إلى جفاف الوعاء الدموى ، واختلال الإلكتروليات ، وانهيار وظائف الكلى ، وهو ما نسميه « متلازمة الكبد والكلى » ؛ أى مزيج من الفشل الكبدى والفشل الكلوى ، ترتفع فيه نسبة البولينى والكرياتينين ، وتنهار نسبة الصوديوم فى الدم ، وتصبح الغيبوبة وشيكة الحدوث بسببها جميعًا .

وفى محاولة يائسة لعلاج الاستسقاء العصى ، لجأ البعض إلى تجارب يائسة :

هناك مثلاً جهاز « رودياسيت » ، الذى يُرشح سائل الاستسقاء من جزيئاته الصغيرة ، ثم يعيد حقنه إلى الوريد بعد تركيز البروتين فيه ، وهو جهاز مكلف ومحدود الأثر .

= ثقبًا صغيرًا على أن يكون ثقب المراق أسفل من ثقب الصفاق حتى إذا خرجت الأنوية انطبق ذلك الثقب فاحتبس الماء لاختلاف الثقبين ، ويجب أن يراعى النبض ، فإذا أخذ يضعف قليلاً حبست الماء . (ابن سينا : المصدر نفسه) .

وهناك أيضاً صمام « ليفين » ، وهو أنبوب يوضع طرفه السفلى في تجويف الحوض لينزح سائل الاستسقاء ، ثم يفرغ طرفه العلوى في الوريد الودجى بالعنق ، ومن ثم إلى الوريد الأجوف العلوى . وهذا الصمام ملىء بالمشاكل ، قصير العمر ، ويندر استعماله الآن .

ثم هناك أنواع من العمليات الجراحية تهدف إلى تصريف سائل الاستسقاء وإعادةه إلى الوريد الأجوف لإنعاش جفاف الأوعية الدموية : مثلاً توصيل القناة الصدرية المكتظة باللمف إلى الوريد الودجى أو تحت الترقوة .

ثم أخيراً زرع الكبد ، فالبعض يروونه العلاج الوحيد لمثل هذه الحالات .

هناك تقرير غربى ، يقدر أن فرص الحياة بعد سنتين من ظهور الاستسقاء فى مريض تليف الكبد لا تتجاوز ٤٠٪ . ونعتقد أن الصورة فى مصر أكثر إشراقاً ، إذا أخذنا فى الاعتبار بلهارسيا الكبد ومضاعفاتها ، ومنها مثلاً تغيرات الكلى التى تترسب فيها الأجسام المضادة فى مرضى تليف الكبد البلهارسى وتسبب الكلاء والأوديبا والاستسقاء . هذه الحالات البلهارسية لا تدمر الخلايا الكبدية تدميراً شاملاً ، ويظل أداء الوظائف كفى لمدة طويلة ، ويبقى الاستسقاء منين عدداً .

١١- أورام الكبد

أورام الكبد نوعان : حميد ، وخبيث . والأورام الخبيثة إما أن تكون أولية ، أى ناشئة من الكبد ذاته ، أو ثانوية ، أى بدأت في مكان آخر ثم انتشرت إلى الكبد .

(أ) سرطان الكبد الأولي :

هذا الورم ينشأ من الخلايا الكبدية . وهو ورم كان نادرًا في الغرب ، ولكنه أخذ في الازدياد . أما في إفريقيا ودول الشرق ، فهو شائع لارتباطه بتليف الكبد وخاصة بفيروسات الكبد ب و ج . هذا المرض يصيب الذكور أكثر من الإناث ، عادة بعد سن الأربعين ، ويتفاوت حجمه ومكانه تفاوتًا بيننا ، فقد يكون صغيرًا ومحدودًا في أحد فصى الكبد ، أو يمتد إلى الفصين ، وقد يتغلغل في الوريد الكبدي أو الوريد البابي فيسده ، أو ينتشر إلى العقد اللمفية ومنها إلى الرئة أو العظام ، أو ينفذ إلى الغشاء البريتوني ويسبب الاستسقاء المدمى .

أعراضه قد تكون تافهة لا تذكر : توعك بسيط ، فقد الشهية ، ارتفاع طفيف في درجة الحرارة ، نقص في الوزن ، أو ثقل في مكان الكبد . إلا أن علينا دائمًا أن ننظر إلى مريض تليف الكبد بريية وحذر شديد ، إذا تدهورت حالته فجأة دون مبرر واضح . ولذلك ننصحه عادة بفحصه

بالموجات فوق الصوتية وتحليل دالة الورم (ألفا فيتوبروتين) بطريقة دورية كل ستة أشهر ، تحسباً لأي مفاجأة ، لأن العلاج الحقيقي لأي ورم هو التشخيص المبكر . أما المرض المتقدم فأعراضه واضحة : تضخم بالكبد ، ويكون ملمسه جامدًا صلبًا كالحجر ، وسطحه معقدًا غير أملس ، وقد يكون غير مؤلم البتة . وأحيانًا نسمع بالساعة صوت احتكاك أو لغط فوق الورم . بعض الحالات يصاحبها يرقان ، ونصف الحالات يصاحبها استسقاء ، ويكون عادة مُدْمَى .

والتشخيص يعتمد على الفحوص التصويرية والمعملية والباثولوجية . التصوير بالنظائر المشعة يكشف الورم إذا زاد قطره على ٣ سم . أما الموجات فوق الصوتية فتكشف ما هو أقل من ٢ سم ، وتكشف أيضًا أى انسداد في الوريد البابى قد يصاحبه . وهناك طبعًا التصوير بأشعة الكمبيوتر المقطعية ، وبالرنين المغناطيسى إذا لزم الأمر . أما الأشعة السينية البسيطة ، فقد تبين تحديداً في الحجاب الحاجز الأيمن يشى بوجود ورم في فص الكبد الأيمن . وأحيانًا نلجأ إلى تلوين الشريان الكبدى بقسطرة خاصة لمعرفة كنه بؤرة غريبة في الكبد وتحديد طبيعتها ، لأن الورم السرطاني يكون عادة غنيًا بالشرابين ويمكن تلوينه ، ويساعدنا هذا أيضا في الكشف عن أورام الأوعية الدموية الحميدة ، وتمييزها من الأورام الخبيثة .

أما الفحص المعملى ، فيعتمد أساسًا على اختبار « ألفا فيتوبروتين » ، وهو بروتين في الدم ، ترتفع نسبته أحيانًا ارتفاعًا محدودًا في حالات الالتهاب الكبدى الحاد والمزمن ، ولكن ارتفاعه في سرطان الكبد الأولى يكون عادة ارتفاعًا ملحوظًا ، وقد يستمر ارتفاعه مع ازدياد التضخم في الورم ، وبالعكس تنخفض نسبته مع استجابته للعلاج . وهناك تحاليل معملية أخرى ،

كإنزيمات الكبد ، نطلبها لتليف الكبد المصاحب ، أو مؤشرات فيروس الكبد ب أوج .

وأما الفحص الباثولوجى فقد ينجح أحياناً فى اكتشاف الخلايا السرطانية فى عينة من سائل الاستسقاء . وأحياناً يضطر إلى إبرة رفيعة لأخذ عينة من الورم موجهة بأشعة الكمبيوتر إذا تعذر التشخيص . وكان البعض قد اعترض على ذلك ، لأنه قد يساعد على نشر الورم فى مسار الإبرة ، ولكن الثقات يؤكدون أن ذلك نادر الحدوث .

العلاج الحقيقى لهذا المرض هو الوقاية الفعالة ، والأمل أن ينجح التطعيم لاستئصال الفيروسات الكبدية ومنع عدواها ، لأن العلاقة وثيقة بين تليف الكبد والعدوى بفيروس الكبد ب (وربما ج أيضاً) وبين ظهور الورم السرطانى الأولى .

أما العلاج الجراحى لاستئصال الورم جذرياً ، ففرصه محدودة ، واحتمالات النجاح قليلة . وورم الفص الأيسر عادة أسهل للجراحة من ورم الفص الأيمن . وتليف الكبد ليس دائماً مانعاً من الجراحة ، لكن تعدد الأورام فى فصى الكبد ، أو تغلغلها فى الوريد البابى أو الوريد الأجوف السفلى ، أو ظهور اليرقان ، أو ظهور الاستسقاء... فكلها موانع للجراحة .

والبديل الآخر ، هو العلاج الكيمايى . أهمه دواء دوكسو روبيسين (أدرياميسين) ، ويحقن مخففاً فى الوريد ، بجرعات متكررة ، يحكمها تحاليل صورة الدم ورسم القلب الكهربائى وقياس نسبة الألفا فيتوبروتين . وأحياناً يوجه العلاج إلى الورم ذاته بحقن الدواء فى الشريان الكبدى ، أو يسد الشريان الفرعى الذى يغذى الورم بأمل إضعافه .

وأما زرع الكبد فنتائجه فى هذا المرض غير مجدية .

(ب) سرطان القنوات المرارية :

هذا الورم أندر كثيراً من ورم الخلايا الكبدية ، وله نوعان رئيسان : نوع مركزي يسد القناة المرارية ويسبب يرقانا متزايداً ، ونوع طرفي يشبه في أعراضه وعلاماته سرطان الكبد الأولى ، إلا أن تحليل الدم لنسبة الألفا فيتوبروتين يكون عادة سلبياً . والعلاج الجراحي محدود الفائدة ، أما العلاج الكيميائي والعلاج الإشعاعي فقليلاً الجدوى .

(ج) أورام الكبد الثانوية :

الكبد ينفرد من بين سائر الأعضاء بأن له مورداً مزدوجاً للدم : الشريان الكبدي والوريد البابي ، وكل منهما يمكن أن يكون مصدراً للقذائف السرطانية المنطلقة من الأورام الأولية ، فتستقر في الكبد ، ويصبح مصيدة للأورام الثانوية . وهو ، لذلك ، أكثر الأعضاء إصابة بها . وفيه تستقر الثانويات من ثلث الأورام السرطانية على إطلاقها ، ومن نصف سرطانات المعدة والأمعاء والثدي والرئة . هذه الأورام الثانوية في الكبد ، قد تكون قليلة جداً وصغيرة جداً ، أو كثيرة جداً وكبيرة جداً تزحم الكبد وتضخمه .

الأعراض ، في بدايتها ، تعتمد على الورم الأولى في المعدة أو القولون مثلاً ، ثم تفرض الثانويات أعراضها : تضخم مؤلم بالكبد ، وسطحه مبثوث بالعقد الصلبة ، وبعضها يتأكل وسطها ويلين فتصبح أشبه بالسرة ؛ الطحال قد يتضخم ؛ واليرقان منعدم أو طفيف ، والاستسقاء يصاحب بعض الحالات ، ويمكن أحياناً أن نعثر على الخلايا السرطانية في عينة منه .

ثم هناك مضاعفات أخرى كورم القدمين من ضغط الكبد الوارم على الوريد الأجوف السفلي ، أو انسكاب بلوري أيمن ، أو ظهور عقد لمفية فوق الترقوة اليمنى . ارتفاع طفيف في الحرارة شائع ؛ كذلك زيادة ملحوظة في

عدد كرات الدم البيض . أما وظائف الكبد فأكثرها طبيعي ، إلا إنزيم الفوسفاتاز القلوي فقد يكون مرتفعًا . ومن دلالات الأورام قد يكون الـ CEA (carcino - embryonic antigen) إيجابيا ، أما الألفافيتوبروتين فلا علاقة له بالأورام الثانوية .

والفحص التصويرى بأنواعه (أشعة سينية ، نظائر مشعة ، موجات فوق صوتية ، أشعة الكمبيوتر المقطعية ، الرنين المغناطيسى) كله مفيد في التشخيص ، وقد يساعدنا في توجيه الإبرة لأخذ عينة من الورم . هذه العينة تكشف لنا عادة عن سرطانية الورم ، وقد تحدد لنا بدقة نوع الورم الأول وطبيعته إذا كانت مطابقة ، إلا أن الإصرار على ذلك مطلب أكاديمي أكثر منه عمليًا ، لأن العلاج محدود وفرص الشفاء ضيقة .

العلاج يعتمد على الأدوية الكيماوية ، مثل « فلورو يوراسيل » و«ميتوزانترون » و « ميثوتركسات » ، وأحيانا نحققها موجّهة إلى الورم عن طريق الشريان الكبدي . وفي حالات قليلة يكون الورم الثانوى في الكبد وحيدًا ، صغيرًا ، سطحيًا ، بطيء النمو - خاصة إذا كان الورم الأول في القولون أو المستقيم - عندئذ قد يجرى الجراح ، ويحاول أن يستأصل الورم الثانوى ، إضافة إلى الورم الأول .

(د) ورم الأوعية الدموية :

هذا الورم هو أكثر أورام الكبد الحميدة شيوعًا ، خاصة بعد أن ساعدت وسائل التصوير الحديثة ، كالموجات فوق الصوتية وأشعة الكمبيوتر المقطعية ، في الكشف عن كثير منها . هذا الورم - ويتكون من شبكة من الأوعية الدموية المحتوية على الكريات الحمر - قد يكون وحيدًا صغيرًا ، أو متعددًا وكبير

الحجم ، ومكانه غالبًا في حذبة الفص الأيمن تحت سطح الكبد . وهو عادة لا يسبب أى أعراض ، إلا إذا زاد حجمه كثيرًا ، فقد يحدث شيئًا من الألم ، وإنما نهتم به لتفريقه من بؤر الكبد الأخرى المشتبهة عند اكتشافه صدفة بالفحص التصويرى . علاماته التصويرية تكفى عادة لتحديد طبيعته والاطمئنان إلى براءته ، ولكن قد تساورنا الشكوك أحيانًا ، فنلجأ إلى تلوينه بحقن الشريان . أما أخذ عينة من الورم بالإبرة ، فأكثر الناس يفضلون تجنبه خشية النزف .

هذا الورم الحميد لا يسبب أعراضًا ، ولا يحتاج لعلاج خاص ، اللهم إلا قلة نادرة ، قد تسبب ألمًا يبرر استئصال فص الكبد أو جزء منه يحتوى عليه .

١٢ - طفيليات الكبد - خراج الكبد -

أكياس الكبد

يصاب الكبد بأمراض طفيلية كثيرة ، منها ما هو وحيد الخلية كالأميبا والملاريا ، ومنها أيضًا الديدان بأنواعها وعلى رأسها البلهارسيا . وهذه الأمراض أهمية خاصة لتوطن الكثير منها في مصر وغيرها من البلاد العربية . وسنعرض فيما يلي موجزاً لأهم أنواعها :

(أ) الأميبا :

الأميبا طفيلي وحيد الخلية ، منتشر في كل أنحاء العالم ، ولكن إصابته في الأمعاء والكبد تكتسب أهمية خاصة ، في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية ، نظرًا لشدة مضاعفاتها . تعيش الأميبا متحوصلة في أكياس منيعة ، تنتقل بها من شخص إلى شخص ، عن طريق تلوث الماء والأغذية بالبراز والفضلات . بعد ابتلاع الأكياس ، تنشط هذه إلى التحرك في الأمعاء الغليظة ، وتغزو الغشاء المخاطي ، فتكوّن قرحًا متناثرة وتسبب أعراضًا وعلامات ، قد تصل إلى الدسنتاريا المعروفة .

بعض هذه الكائنات النشيطة تغزو الوريد البابي وفروعه الدقيقة في الكبد ، فتسببها ، وتسبب تحلل الخلايا الكبدية ، وتجمّعها في خراجات صغيرة متناثرة ، وهذه قد تنضم وتكوّن خراجًا واحدًا في حجم البرتقالة أو أكبر .

ومعظمها يتجمع في فص الكبد الأيمن ، تحت حذبة الحجاب الحاجز ، وعلى مقربة من البلورا والرئة اليمنى . أما خراج الفص الأيسر ، وهو نادر ، فله خطورة خاصة لقربه من القلب وغشائه التامورى .

خراج الكبد الأميبي قد يظل شهورًا دون أعراض ملحوظة : توعدك غامض ، أو ارتفاع طفيف في درجة الحرارة مجهول السبب . أما الألم فقد يكون شعورًا بالثقل في مكان الكبد ، أو يتخذ مسارًا حادًا أشبه بالطنن من مشاركة البلورا ، والسعال عندئذ جاف ومُملح . الكبد قد يُحس متضخمًا وآلمًا ، أو لا يحس إذا كان الخراج متجمعًا في حذبة الفص الأيمن . والقرع والطرق فوق أسفل الصدر الأيمن يكون عادة مؤلمًا . واليرقان نادر .

صورة الدم تبين ارتفاعًا محدودًا في عدد الكريات البيض ، ووظائف الكبد قليلة التأثير إلا الفوسفاتاز القلوى فقد يرتفع . أما التحاليل المناعية والسيروولوجية ، مثل « الإليزا » ، فلها قيمة كبيرة لتشخيص الأميبا التى تغزو الأمعاء والكبد . وأما تحليل البراز ، فقد لا يحتوى على الأميبا المستولة ، ولا نعتد عادة على ضرورة وجودها لتشخيصها .

الفحص التصويرى (أشعة ، ونظائر مشعة ، وموجات فوق صوتية ، وأشعة الكمبيوتر المقطعية) ضرورى للتشخيص ، وقد نحتاج إليه لتوجيه إبرة إلى الخراج ، لتشخيص محتوياته ، أو لتفريغه وعلاجه .

وأخطر ما نخشاه من الخراج ، هو انفجاره : انفجاره فى التجوييف البريتونى ، أو فى تجوييف البلورا ، أو فى تجوييف التامور . وهو أسوأها .

العلاج يستجيب عادة لدواء مترونيدازول ٧٥٠ مجم ، بالفم ٣ مرات يوميا لمدة عشرة أيام . وبالرغم من موت الأميبا ، إلا أن الخراج قد يحتاج لشهور طويلة حتى يندثر ، وأحيانًا نستعجل الشفاء بشفط محتويات الخراج بالإبرة ،

خاصة إذا كان الخراج ضخماً ، أو كان قريباً من القلب في فص الكبد الأيسر .
ويندر أن نحتاج لفتح الخراج جراحياً . أما المضادات الحيوية ، فلها دورها ،
إذا كان الخراج الأميبي قد تلوث بعدها بالبكتريا وتقيح .

خراج الكبد التقيحي يشبه الخراج الأميبي في كثير من أعراضه وعلاماته ،
إلا أن الأسباب مختلفة ، أهمها العدوى من التهابات الجهاز الهضمي عن
طريق الوريد البابي ، كالتهاب الزائدة الدودية ، أو التهاب رُذُوب (جيوب)
القولون ، أو عن طريق القنوات المرارية في التهاب المرارة وحصياتها ، أو نشأ
التقيح في بؤرة في الكبد تكون معرضة للتلوث ، كورم أو كيس أو تجمع دموي
من إصابة حادث كصدمة سيارة أو ما شابهها .

خراج الكبد التقيحي ، قد يكون صغيراً أو كبيراً ، وحيداً أو متعددًا .
وارتفاع درجة الحرارة ، والزيادة في عدد كرات الدم البيض ، أكثر وضوحاً منها
في الخراج الأميبي . ووسائل الفحص التصويري مشابهة . وزرع الميكروب من
الدم ومن صديد الخراج ضروري بالطرق البكتريولوجية لتحديد نوعه والمضاد
الحيوي المناسب لعلاجه . والعلاج يتوقف على المضادات الحيوية المناسبة ،
وعلى شفض صديد الخراج ولو تكرر ، ويندر أن نحتاج للفتح الجراحي .

(ب) الملاريا :

طفيلي الملاريا كائن وحيد الخلية ، يغزو الإنسان ليستقر ، في أول الأمر ،
في الخلايا الكبدية حيث يتكاثر وينقسم ، ثم ينطلق إلى الدورة الدموية ،
فيسبب الأعراض المعروفة كالحشعريرة والحُمى والعرق الغزير ، ويستقر بعد
ذلك في خلايا الجهاز الشبكي البطاني الموزعة في الكبد والطحال وغيرها من
الأعضاء .

عبء الكبد محدود في مرض الملاريا : تضخم الكبد والطحال ؛ يرقان ملحوظ في الملاريا الحبيثة من تحلل كسرات الدم الحمراء ؛ اختلال طفيف في وظائف الكبد . أما التليف ، فلا ينتج من الملاريا وليست من أسبابه .

(جـ) اللشمانياسيا :

هذا أيضا طفيلي وحيد الخلية ، يسبب حمى وتضخماً ملحوظاً في الكبد والطحال ، ويعرف بمرض « كالا أزار » ، شائع الانتشار في السودان وإفريقيا الاستوائية ، ولكنه غير موجود بمصر .

(د) البلهارسيا :

دودة مصر الطفيلية الأولى ، تصيب ضمن ما تصيب الكبد والطحال ، وقد أفردنا لها فصلاً كاملاً في الكتاب .

(هـ) الفاشيولا (الدودة الكبديّة) :

دودة مفلطحة ، تصيب الحيوان أساساً (الماشية والأغنام والماعز) ، وقد تنتقل إلى الإنسان عن طريق تناول الخضراوات الورقية الملوثة (الخس - الجرجير - الفجل - الكزّات - المقدونس) .

تنمو الدودة في مرحلتها المبكرة (السركاريا) في قواقع الماء ، ثم تتكيس وتلتصق بإداة لزجة على الأوراق النباتية وتظل حية لعدة أشهر ، وعندما تأكل هذه النباتات يتحرك الطور المعدي ويتطور ، فيخترق جدار الأمعاء ونسيج الكبد مدة تتراوح ما بين ٦ - ٨ أسابيع قبل أن تستقر في القنوات المرارية للكبد وتصبح مكتملة النمو . وتعيش الدودة الناضجة من سنة إلى عدة سنوات ، تسبب فيها التهاباً مزمناً للقنوات المرارية والكبد ، وارتفاعاً في درجة الحرارة ، وتضخماً في الكبد ، وقد يصاحبه يرقان .

الإصابة بالفاشيولا شائعة في الحيوانات ، وبخاصة في شمال السودان وفي الواحات الداخلة والخارجة ، حيث تسبب خسائر مادية بملايين الجنيهات لفاقد اللحم واللبن والصوف . أما الإنسان ، فقد كانت الإصابة به في مصر نادرة ، ولكنها الآن آخذة في الانتشار . أعراض المرض سبق أن ذكرناها ، ومن أهم علاماته ارتفاع ملحوظ في كريات الدم البيض ألفات الإيوسين ، ثم التشخيص المناعي (السيرولوجي) لنوع الدودة بتحليل الدم لسلاييزا . صورة الدم قد تكشف عن أنيميا عنيدة ، أو ارتفاع في الفوسفاتاز القلوي . ووسائل الفحص التصويري ، وتلوين القنوات المرارية بالصبغة بين أجساماً غريبة قد يخطئها غير المتمرس ويحسبها حصيات مرارية . والعثور على بويضات الدودة في البراز نادر ، وأجدى من ذلك البحث عنها في إفراز الصفراء بشطف محتويات الاثنا عشرى والقنوات المرارية .

علاج الفاشيولا بالأدوية صعب . جُرب أولاً بدواء برازيكوانتل (المستعمل في علاج البلهارسيا) في الخارج ، ولكنه فشل في تجربتنا المحلية . والدواء الأخر هو « بيثونول » ، وجرعته ٣٠ - ٥٠ مجم لكل كيلو جرام من وزن الجسم يوماً بعد يوم حتى تمام ١٠ - ١٥ جرعة .

وهناك الآن دراسة تشرف عليها وزارة الصحة المصرية لتقييم العلاج بدواء جديد اسمه « ترايكلابندازول » ، يؤخذ بالفم جرعة واحدة ، وسبق استعماله بنجاح لعلاج الحيوانات ويتوقع له علاجاً ناجحاً للأدميين .

أما الوقاية من الفاشيولا ، كالوقاية من البلهارسيا ، فيحتاج إلى تضافر جهود وجهات متعددة ، منها تطهير المجارى المائية من القواقع الناقلة ، وعلاج المواشى المريضة الخازنة للدودة ، وترشيد الزراعة نحو إبعاد الخضراوات عن المياه الملوثة ، ثم تثقيف جموع المواطنين لغسل الخضراوات الورقية الطازجة غسلاً جيداً وتطهيرها بالخل إذا لزم . أما الخضراوات الأخرى المطبوخة (الملوخية - الخبيزة - السبانخ) فلا ضير منها .

وفي الشرق الأقصى دودة كبدية مفلطحة أخرى اسمها « كلونوركس » ،
تصيب أيضاً القنوات المرارية ، وقد تسبب خراجات الكبد أو التليف أو
السرطان .

(و) الهيداتييد^(١) (الكيس العُداري ؛ داء المُشوكات) :

هذا مرض طفيلي ، تسببه دودة شريطية من فصيلة متعددة الرؤوس ذات
الأشواك ، وهو مرض شائع في بلاد المراعى : شمال إفريقيا وشبه الجزيرة
العربية ، ولكنه نادر بين المصريين - وأكثر هؤلاء من المغتربين إلى البلاد
العربية .

تمر دورة حياة هذه الدودة بمراحل مختلفة ؛ فالدودة البالغة تعيش في
العائل الأساسي وهو الكلب ، أما المرحلة المتوسطة وهي اليرقة فتعيش في
العائل الوسيط ، وهذا الوسيط قد يكون الغنم أو الماشية أو الإبل ، أو يكون
الإنسان نفسه . تخرج بويضات الدودة من الأمعاء مع براز الكلب
وفضلاته ، فتعلق بشعره ولعابه وبحشائش الأرض . يبلع الوسيط (ويشمل
الإنسان) هذه البويضات ، وتنتقل من الأمعاء إلى الكبد عن طريق الوريد
الباهي ، وهناك تنمو الدودة وتكوّن كيس الهيداتييد ، وهو كيس مائي محتوي على
عدة رؤوس صغيرة . هذا الكيس قد يكون صغيراً أو كبيراً ، وحيداً أو
متعددًا ، وأكثر وجوده في فص الكبد الأيمن .

وكيس الهيداتييد (أو أكياسه) قد تظل ساكنة بلا أعراض مدى الحياة ، أو
تسبب تضخمًا في الكبد وألمًا محدودًا في مكانه ، وأخطر مضاعفاته انفجاره إلى
تجويف البريتون أو إلى الرئة أو إلى القنوات المرارية . وقد يسبب للمريض
حالة من الحساسية ، أبسطها الأرتكارييا ، وأخطرها العوار anaphylaxis الذي
قد يقتل .

(١) « الهيداتييد » كلمة مشتقة من اليونانية معناها حويصلة أو كيس مائي .

هذا الكيس قد يتلوث ويتقيح ، أو يندثر ويتكلس (يترسب فيه الكالسيوم) . وكيس الكبد ، قد تصاحبه أكياس هيداتيد في أعضاء الجسم الأخرى ، كالرئة والدماغ والعظام .

ويعتمد التشخيص على زيادة عدد كريات الدم البيض الألفة للإيوسين ، وعلى التشخيص السيرولوجى لنوع الدودة ، وعلى وسائل التصوير المعروفة كالاشعة والموجات فوق الصوتية وأشعة الكمبيوتر المقطعية . أما وخز الكيس بالإبرة بهدف شفط السائل أو أخذ عينة منه ، فمحاولة محفوفة بالخطر لا ننصح بها مخافة العوار .

الوقاية في هذا المرض خير من العلاج : يُنصح بمخالط الكلاب بالبعد عن فضلاتها ، وبغسل الأيدي بعد تناولها . وفي المناطق المتوطنة يجب أن تعالج الكلاب دورياً لتطهيرها من الديدان .

أما أكياس الكبد ، فقد ينجح علاجها إذا كانت صغيرة ومتعددة بدواء مبندازول أو ألبندازول ، والجرعة عندئذ كبيرة ومستمرة لمدة طويلة . وأما الأكياس الكبيرة ، فلها عادة الجراحة تحسباً للتقيح أو الانفجار ، وهي تحتاج لمهارة وخبرة خاصة ، حتى لا ينسكب سائل الكيس إلى البريتون فيعديه بالرهوس وينشرها .

* * *

هناك أنواع أخرى من أكياس الكبد معظمها خلقى ، ومنها نوع يشمل أعضاء الجسم الأخرى كالكلى والطحال والبنكرياس والمبيض والرئة . هذه حالات نادرة ، تكتشف عادة بالفحص التصويرى ، ويصعب التدخل فيها باطنياً أو جراحياً .

١٣ - الكبد والآثار الجانبية للأدوية

(أ) تعامل الكبد مع الأدوية :

كثير من الأدوية ، وبخاصة تلك التي تؤخذ عن طريق الفم ، تمر بالكبد فيتعامل معها أو يحولها إلى مشتقات أخرى ، قد تؤثر تأثيراً ضاراً في الكبد وفي غيره من أعضاء الجسم .

عند ابتلاع دواء ما ، يكون عادة قابلاً للذوبان في الدهون ، حتى ينفلد من جدار الأمعاء ، فإذا وصل إلى الكبد تعامل معه ، وحولته إلى مشتقات أخرى قابلة للذوبان في الماء . هذا التعامل يمر في الكبد بمرحلتين : مرحلة أولى وظيفتها الأكسدة (أى إضافة الأكسجين إلى المركب) ، ومرحلة تالية مهمتها الاقتران (أى الربط بين المركب ومادة أخرى تسهل إفرازه - وقد سبق لنا شرحه) . والناتج النهائي ، إما أن يكون وزنه الجزيئى صغيراً (أقل من ٢٠٠) فيفرز من الكلى إلى البول ، وإما أن يكون أكبر من ذلك فيفرز مع الصفراء .

تعامل الكبد مع الأدوية (ومع المركبات الكيميائية عامة) يتوقف على عوامل عدة : منها مدى تدفق الدم وسريانه في الكبد ، ومنها نسبة البروتينات في الدم ومدى اتحادها بالمركبات المختلفة ، ومنها أيضاً إنزيمات الكبد المستولة عن التعامل مباشرة مع المركبات الكيميائية وتحويلها إلى مشتقات هي نواتج الأيض . مجموعة هامة من هذه الإنزيمات ، أفرادها ينتمون إلى فصيلة مشتركة

اسمها P450 ، يتعاملون مباشرة مع الأدوية والمركبات الكيميائية ، كل واحد منها مع مقابله . ثم إن هذه الإنزيمات نفسها قد تنشط أو تهمد بتأثير مواد أخرى .

ولنضرب لذلك مثلاً مشهوراً ، هو P450 IA2 . هذا الإنزيم يتعامل مع مادة الكافيين (المتوافرة في القهوة) ، وهو نفسه يتفاعل وينشط بتأثير دخان السجائر ، ولك أن تتصور مدى ما يحدث في الكبد عندما يحتسى المدخن فنجاناً من القهوة . أو خذ مثلاً آخر من أفراد هذه الفصيلة هو P450 IIE1 . هذا الإنزيم يتعامل مع الدواء المعروف « باراسيتامول » ، وهو في الوقت ذاته ينشط بتأثير الكحول ، لذا ينصح شارب الخمر ألا يفرط في تناول هذا الدواء إذا أصابه الصداع .

تعامل الكبد مع الأدوية ، يتوقف أيضاً على عوامل أخرى كثيرة ، منها : الوراثة ، والبيئة ، والاستعداد المناعي للفرد ، والسن (الآثار الضارة للأدوية أقل شدة في الأطفال ، والعكس من ذلك في كبار السن) ، والجنس (الإناث أكثر تأثراً من الذكور) ، والمرض (فشل الكبد ، خاصة مرضى تليف الكبد ، معرضون جداً للآثار الضارة لكثير من الأدوية ، لأن تدفق الدم إلى الكبد محدود ، ودور خلايا الكبد في الأكسدة والاقتران التي أشرنا إليها عاجزة) . لذا يجدر بنا دائماً كلما أصيب أحد بمرض في الكبد أن نسأله : هل تناول دواءً ، أى دواءً ، خلال الأشهر الثلاثة السابقة على المرض ؟ وماذا كان اسمه أو نوعه ، وكيف تعاطاه ، ولأى زمن طال أو قصر ؟

(ب) مناطق الكبد المعرضة للآثار الجانبية للأدوية :

أثر دواء ما على الكبد يختلف من منطقة إلى أخرى في بناء الكبد ، وقد تتعدد المناطق التي يؤثر فيها دواء واحد . ولكي نفهم الآثار الجانبية الضارة

لبعض الأدوية فهماً منطقيًا يفسر أسبابها ويعالج نتائجها ، سنعرض لأمثلة من هذه الأدوية التي تؤثر في مناطق الكبد المختلفة ، (علما بأن الأدوية ، على اختلاف فصائلها ، قد تسبب أي نوع من أنواع أمراض الكبد المعروفة ، وتتشابه معها ، وتصبح بذلك مصدرًا للخلط والبليلة) :

(١) الخلايا الكبدية في مركز الفصيص [انظر فصل « بناء الكبد »] ، وهي التي تحيط بالفروع الصغيرة للأوردة الكبدية ، هي أقل الخلايا نصيبًا من الأكسجين ، وأكثرها تعرضًا لنواتج أيض الأدوية ، لذلك يسهل تراكم الشحم فيها وقد تتنكرز (أي تموت) دون التهاب ملحوظ .

أشهر مثال لنوع الأدوية التي تؤذي هذه الخلايا ، هو الباراسيتامول إذا كانت جرعته ضخمة ، حوالى ١٠ جم ، ويكون ذلك عادة نتيجة محاولة انتحار ، أو قد تكون الجرعة أقل من ذلك إذا صاحبها إفراط في الخمر . وعلاجه ، بعد غسل المعدة ، حقن الوريد بدواء « أسيتيل سستين » .

مثال آخر هو رابع كلوريد الكربون ، وكان شائع الاستعمال ، منذ أكثر من نصف قرن ، لعلاج الإنكلستوما ، ولكنه الآن قاصر على استعماله لأغراض صناعية أو تجريبية في الحيوانات . ومثال ثالث هو الهالوثين ، المستعمل في التخدير ، خاصة في النساء البدينات كبيرات السن ، ولاسيما إذا تكرر تعرضهن للتخدير بهذا المركب .

(٢) الخلايا المحيطة بالمسارات البابية ، وأشهر مثال يؤذيها وينكرزها (يميتها) هو الفوسفور إذا بلع بغرض القتل أو الانتحار كما في سم الفئران أو بعض المبيدات الحشرية . هذه الخلايا الكبدية هي أولى الخلايا التي تصادف السم الوارد إليها من المعدة والأمعاء عن طريق الوريد البابي ، فيقع عليها العبء الأول .

(٣) التهاب الكبدى الشامل قد ينجم من بعض الأدوية ، وقد يكون حادًا لا يختلف فى أعراضه وفى تغيراته الباثولوجية عن التهاب الكبدى الفيروسى ، أو يكون مزمنًا ومشابها لالتهاب الكبد المزمن النشط .

والأمثلة كثيرة ، منها الكحول (الخمر) ، والهالوثين (فى التخدير) ،
والأيسونيازيد (فى علاج الدرن) ، والكيوتوكونازول (لعلاج الفطريات) ،
وميثيل دوبا (لعلاج ارتفاع ضغط الدم) .

(٤) وهناك نوع من التهاب الكبد سببه فرط الحساسية فى بعض الأفراد لبعض الأدوية ، منها مركبات السلغا ، والكينيدين (لعلاج القلب) ،
وألوبيورينول (لعلاج النقرس) ، وأدوية المفاصل والروماتزم ، وأدوية الصرع ،
والمضاد الحيوى ريفاميسين (خاصة إذا أضيف إلى الأيسونيازيد) وكثير غيرها .
هذه الحالات قد يصاحبها اليرقان ، وقد تشاركها أعراض الحساسية الأخرى كطفح الجلد ، أو أوجاع المفاصل ، أو تغيرات فى صورة الدم كارتفاع نسبة كرات الدم البيضاء من النوع أليفة الإيوسين ، أو تحلل الكرات الحمر .

(٥) تشحم الكبد قد ينجم من بعض أدوية الصرع ، ومن مركبات التتراسيكلين (مضاد حيوى) إذا حقنت فى الوريد بجرعات كبيرة خاصة فى الحوامل .

(٦) تليف الكبد : من أهم أسبابه دواء ميثوتريكسات ، خاصة إذا طال استعماله فى علاج مرض الصدفية أو اللوكيميا أو الروماتويد ، ويزيد الخطر مع تناول الخمر . وفى عمال الصناعة مركب آخر قد يسبب تليف الكبد إذا طال التعرض له وهو كلوريد فينيل . أما فيتامين أ فهو مصدر آخر للتليف ، إذا زادت الجرعة وطالت مدة استعماله .

(٧) الأوعية الدموية في الكبد هدف آخر للأذى من كثير من الأدوية .
الأوردة الكبدية الصغرى ، وهى فروع من الأوردة الكبرى ، قد تتأثر وتمتد
بسبب أقراص منع الحمل وغيرها من الهرمونات الجنسية ، التى تسبب أماً في
البطن وتضخماً في الكبد ، وقد تؤدي على المدى الطويل إلى تليف الكبد .
وهناك مرض انسداد الأوردة الصغرى سببه قلوانيات البيروليزيدين ، وُصفت
أولاً في جاميكا (جزر الهند الغربية) ثم في مصر ، وتعزى إلى فطريات مختلطة
بالقمح ، وقد تؤدي أيضاً إلى تليف الكبد . أما جُيبيات الكبد (جيوب الأوعية
الدموية) ، وأوردة الكبد الكبرى (انظر مرض « بَض وكيارى » السابق ذكره)
فهى هدف آخر لأقراص منع الحمل ، ولبعض أدوية علاج الأورام ، وللعلاج
الإشعاعى .

(٨) القنوات المرارية ، صغرها وكبيرها ، هى أيضاً هدف أثير للأذى من
كثير من الأدوية . على مستوى القنوات الصغيرة (القُنَيَات) ، هناك
الهرمونات الجنسية وحبوب منع الحمل (خاصة محتواها من الإستروجين) قد
تؤدي إلى ركود الصفراء وظهور اليرقان . وعلى مستوى أعلى نصادف دواء
كلوربرومازين ، المستعمل في علاج الأمراض العصبية والنفسية ولتبع القيء ،
وقد يؤدي إلى ركود الصفراء واليرقان الانسدادي . وأدوية أخرى تؤدي إلى
النتيجة نفسها ، منها : المضاد الحيوى إرثروميسين ، ودواء نيتروفورانتوين ،
ودواء لعلاج السكر هو كلوربروباميد .

(٩) حتى أورام الكبد ، لا تُعفى الآثار الجانبية لبعض الأدوية من
مُسئوليتها ، خاصة الهرمونات الجنسية وحبوب منع الحمل . أورام الكبد
الحميدة نادرة جداً لدى السيدات اللاتى يستعملن حبوب منع الحمل ؛ قيل
إن النسبة في أمريكا أقل من ٤ في ١٠٠,٠٠٠ (مائة ألف) ، ولكن النسبة

ترتفع مع طول مدة الاستعمال (أكثر من ٤ سنوات) ، ويزداد السن (فوق سن الثلاثين) ، وزيادة نسبة هرمون الإستروجين في الحبوب المستعملة ، والاتجاه الحديث إلى الإقلال من نسبة الهرمون فيها .

أما ورم الكبد الخبيث فهو أيضا نادر مع استعمال الحبوب ، وإن كانت النسبة ترتفع إذا استمر الاستعمال لأكثر من ٨ سنوات . والنصيحة التي نوصي بها أن تلجأ السيدة إلى الطبيب متى أحست بألم في البطن أو تضخم في الكبد ، وعندئذ تُفحص وتُصور بالموجات فوق الصوتية لاستبعاد أى اشتباه ، والبعض في مثل هذه الحالات يوصون بالتوقف عن استعمال الحبوب ولو إلى حين .

* * *

خلاصة القول إذن أن الدواء سلاح ذو حدين ، علينا أن نستعمله بحذر ، ولا نُفْرِط في تعاطيه بغير داع . وقد كان ديدن الأطباء أصحاب التجربة والحكمة ، من أيام أبقرراط إلى وقتنا هذا ، أن يقتصدوا في وصف الدواء . كان الرازي العظيم ، طيبب العرب الأول ، يقول « مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب » . وكان ابن زهر ، طيبب عظيم آخر في الأندلس ، رفيقًا بالمرضى ، حذرًا في العلاج ؛ قال « أقسم بالله إنى ما سقيت دواء قط ، إلا واشتغل بالي قبله بأيام وبعده بأيام ، فإنها هي سموم ، فكيف حال مدبر السم ومسقيه ؟ » .

لقد رأينا إذن ، في عرضنا السابق ، أن كثيرًا من الأدوية قد تسبب أعراضًا جانبية تؤثر في مناطق مختلفة من الكبد ، وأن الدواء الواحد قد يؤدي أكثر من منطقة واحدة . وأصبحت تجربتنا اليومية أن يلجأ المريض إلى الطبيب ، وقد

فوجيء بالصدفة لإجراء فحص روتيني شامل ، فإذا بالتحاليل الطبية تظهر ارتفاعاً ملحوظاً في نسبة إنزيمات الكبد .

علينا إذن أن نفكر في احتمال أن السبب هو تعاطي أحد الأدوية ، خاصة إذا كان المريض مسناً وتأكد لنا خلوه من فيروسات الكبد . والتصرف الأمثل ، أن نوقف استعمال الدواء المشتبه ، ونعاود التحليل بعد بضعة أسابيع . هناك طبعاً أدوية حيوية قد لا يستغنى مريض معين عن تناولها ، وبعض هذه الأدوية تسبب ارتفاعاً محدوداً وموقتاً في إنزيمات الكبد تعود بعدها إلى معدلها الطبيعي رغم الاستمرار في تعاطيه ، عندئذ يمكن أن نسمح له بذلك بعد أن نتأكد . وشركات الأدوية تعرف ذلك جيداً ، وتحرص على إبراز هذه الحقائق في النشرة المرفقة مع الدواء . ثم هناك أجهزة رقابية حكومية مهمتها التنبيه إلى الآثار الجانبية الضارة لأي دواء جديد لإعلام الأطباء وحماية المرضى .

١٤ - الكبد في مراحل معينة ،

وفي ظروف خاصة

(١) في الطفولة :

وظائف الكبد في الطفل تختلف كثيرًا عنها لدى البالغ . فإنزيمات الكبد في الطفل تكون نسبتها عادة مرتفعة ، وبخاصة إنزيم الفوسفاتاز القلوي ، لأن له مصدرًا ثانيًا غير الكبد ، وهو نمو العظام ، وعلينا أن نذكر ذلك إذا وجدنا نسبه مرتفعة في الطفل أو في سن البلوغ . أما البليروبين ، وهو صبغ الصفراء ، فيختلف تكوينه ونسبته (أى إلى مقترن مباشر ، وغير مقترن غير مباشر) في حديث الولادة (أى الوليد) عنها لدى البالغ .

(أ) يرقان الوليد (Icterus Neonatorum) ظاهرة شائعة في الأطفال حديثي الولادة ، وسبب معظمها ارتفاع نسبة البليروبين غير المقترن (غير المباشر) في الدم . في يرقان اليومين الأولين من الولادة ، يكون السبب عادة عدم التوافق بين دم الأم ودم الجنين ، وبخاصة ما يعرف بـ « عامل ريزس Rh factor » . والقصة التقليدية أن يفلت الطفل الأول (البكر) من اليرقان ، ثم يظهر اليرقان في الوليد الثانى بعد أن تتمكن المناعة وتقوم الأجسام المضادة بتحليل الكرات الحمراء في الجنين . ولتجنب ذلك ، على الأم أن تُفحص جيدًا من الناحية المناعية (السيولوجية) لاستبعاد ذلك . أما ما يسمى

باليرقان الفسيولوجى فيظهر عادة في اليوم الثالث إلى السابع من الولادة ، خاصة في المبتسرين ، ويعالجون بتعريضهم لضوء ذى طول موجة خاصة . وأما يرقان الأسابيع التالية فأسبابه متعددة ، منها التشوهات الخلقية أو العائلية التى تسبب تحلل كرات الدم الحمراء ، كما فى نقص الإنزيم المسئول عن فوسفات جلوكوز ٦ (G6PD) ، والشائع فى آكلى الفول فى منطقة البحر الأبيض المتوسط . ومنها أيضًا تلوث السرة بالميكروبات عند الولادة . وهناك مرض خطير ولكنه نادر ، هو اليرقان النووى Kernicterus ، وفيه يتسرب البليروبين من الكرات الحمراء المنحلة ، ويتركز فى نوى الدماغ والحبل الشوكى ، فيتلف الجهاز العصبى ، ويموت ٧٠٪ من هؤلاء الأطفال فى الأسابيع القليلة الأولى ، والناجون يعيشون ضحايا تخلف المخ والعقل .

أما البليروبين المقترن (المباشر) فله أيضًا أنواع من يرقان الوليد ، منها ما سببه العدوى بالفيروسات أو البكتريا ، أو سببه أخطاء أيضية (ميتابولزمية) مرتبطة بزيادة الجلاكتوز أو نقص إنزيم ألفا ١ أنتى تريسين الذى قد يؤدي إلى تليف الكبد ، أو قد يكون السبب هو مركبات الساليسلات والأسبرين فيما سمي « مرض راي Reye's syndrome » ، ومعظم تلفه فى الجهاز العصبى . وأخيرًا هناك مرض غير شائع ولكنه خطير ، هو الرتق (الانسداد الخلقى) فى القنوات المرارية biliary atresia ، وإن كانت بعض حالاته ناجمة عن عدوى تصيب الجنين . هذا الانسداد قد يصيب القنوات المرارية فى داخل الكبد أو خارجها ، ويبدأ اليرقان عادة منذ الأسبوع الأول للولادة ، ويستمر ويزداد بلا هوادة ، فالبول قاتم ، والبراز فاتح اللون ودهنى ، والحركة (الهرش) شديدة ، وإنزيمات الكبد مرتفعة ، وكذلك ترتفع نسبة الكولسترول فى الدم وقد يكون أورانًا صفراء على الجلد ، والعظم يلين . أكثر هؤلاء الأطفال يموتون قبل نهاية السنة الثالثة ، وقلة قليلة تصلح للعلاج الجراحى .

(ب) تليف الكبد في الأطفال :

أسبابه كثيرة . التهاب الكبد المزمن النشيط ، الذى يتحول تدريجيًا إلى تليف ، قد يبدأ في حديثى الولادة من عدوى بفيروس ب أوج ، أو يبدأ في سن متأخرة أو عند البلوغ من التهاب مناعى ذاتى يستجيب للعلاج بالكورتيزون . تراكم الحديد في الكبد ، قد يكون خطأً أيضاً وراثيًا ، أو ينجم من تكرار نقل الدم للطفل المريض بالأنيميا كما في « الثلاسيميا » . تراكم النحاس في الكبد وُصف في تليف كبد أطفال الهنود ، وعُزى إلى استعمال الأوانى المنزلية النحاسية . مرض انسداد الأوردة الكبدية الصغرى قد ينتهى بتليف الكبد (انظر فصل : الآثار الجانبية للأدوية) . أخطاء أيضية (ميتابولزمية) كثيرة قد تنتهى بتليف الكبد ، منها مثلاً مرض ولسون ، ومرض فانكونى ، وتراكم الجلاكتوز في الدم ، وتراكم الجليكوجين في الكبد . أمراض ركود الصفراء المزمن ، وأسبابه كثيرة ، قد يؤدي إلى تليف الكبد الصفراوى (المرارى) .

في كل هذه الحالات من تليف الكبد ، نشاهد نفس الأعراض والعلامات والمضاعفات التى نشاهدها في البالغين : ارتفاع ضغط الوريد البابى ، تضخم الطحال ، دوالى المرىء ، الاستسقاء ، الغيبوبة الكبدية ، العناكب الشريانية ، اختلال وظائف الكبد ، إلخ . . .

ومصير هذه الحالات يختلف اختلافاً بيناً حسب أسباب التليف . ولا نسى طبعًا ، في مصر ، بلهارسيا الكبد ، فهى سن أطفال المدارس .

(٢) في الشيخوخة :

يتناقص حجم الكبد ووزنه مع تقادم السن ، ويتناقص معه سريان الدم ودوران البروتين فيه ، إلا أن وظائف الكبد الكيميائية تظل في المعدل الطبيعى . تزداد نسبة الكولسترول في الصفراء مع الشيخوخة ، وهذا قد يفسر

ازدياد تكون الحصىات في المرارة . كثير من الأدوية ، تقل كفاءة الكبد في تعاملها معها مع تقدم السن ، كما في المخدر المعروف بالهالوثين ، ويزداد احتمال حدوث الآثار الجانبية الضارة ، خاصة إذا تداخلت الأدوية أو تعارض مفعولها ، وعموماً ننصح الشيوخ دائماً بالحذر في تعاملهم مع الأدوية .

(٣) في الحمل :

حجم الكبد طبيعي في الحامل ، وسريان الدم فيه طبيعي أيضاً ؛ كذا وظائف الكبد الكيميائية ، إلا أن الفوسفاتاز القلوي قد يزيد قليلاً في الشهور الأخيرة ، لأن مصدر الزيادة هي المشيمة . احمرار الكفّين ، والعناكب الشريانية مظاهر طبيعية في بعض الحوامل لا تدعو إلى القلق .

يرقان الحمل : له أسباب عدة :

١ - تقيّاء (فرط قيء) الحمل في الشهور الثلاثة الأولى مصدر ليرقان خفيف في بعض الحوامل لا يدعو إلى القلق .

٢ - تشحّم الكبد الحاد في الحمل في الشهور الثلاثة الأخيرة أخطر من سابقه بكثير ، وسببه غير معروف . تتجمع حويصلات دقيقة من الشحم في خلايا الكبد ، وتكون نواة الخلية كثيفة ومتمركزة . تبدأ الأعراض بالغثيان والقيء ووجع البطن ، ثم يظهر اليرقان ، خاصة في البكرية أو حامل التوائم ، وقد تتفاقم الحالة فيظهر النزف أو الاستسقاء أو الفشل الكلوي أو الغيبوبة . كانت نسبة الوفاة في الأم والجنين ٨٠ - ٩٠ % ، أما الآن ، مع العلاج الحديث والمبكر ، فقد انخفضت النسبة إلى أقل من ٢٠ % ، وفي بعض الحالات نعتجل بالولادة بعملية قيصرية إنقاذاً للأم والجنين .

٣ - تسّمم الحمل : هو الآخر غير معروف السبب ، وفيه تنتكز (تموت)

الخلايا الكبدية وتنزف حول المسارات البابية . تبدأ الأعراض بالغثيان والقيء وألم في فم المعدة أو في ربع البطن الأيمن العلوى ، وعلاماته الرئيسية هي ارتفاع ضغط الدم ، وتراكم الماء في الجسم ، والزلال في البول ؛ أما اليرقان فعلامة متأخرة في الحالات الشديدة المعروفة « بالإكلامبسيا » ، وقد تنتهى بالموت . وهناك تشابه ومشاركة بين هذا المرض وتشحم الكبد الحاد . والإنقاذ الأخير قد يكون إنهاء الحمل .

٤ - ركود الصفراء في الحمل : هذا أيضًا غير معروف السبب ، وفيه تركد الصفراء في القنوات المرارية داخل الكبد ، وتؤدى إلى الحكة الشديدة (الهرش) واليرقان ، عادة في شهور الحمل الأخيرة . نسبة البليروبين والفوسفاتاز القلوى في الدم مرتفعة ، أما إنزيمات الترانساميناز فطبيعية ، وهذا يستبعد الالتهاب الكبدى . والموجات فوق الصوتية تستبعد الانسداد الجراحى في القنوات خارج الكبد .

هذا المرض مرض حميد ، لا خوف منه على الأم ولا على الوليد ، ولكن الحالة قابلة للعودة بعد حمل جديد ، ولذا يجب أن تُحذَر الأم بذلك ، وأن تتجنب حبوب منع الحمل حتى لا تتعرض للحكة (الهرش) .

٥ - التهاب الكبد الفيروسى : نصف حالات اليرقان في الحوامل ، سببها التهاب الكبد الفيروسى . وفي البلاد المتقدمة ، يسير المرض سيرًا عاديًا في الحوامل كما في غير الحوامل ، ولا خوف من تشوه الجنين ، إلا أن سقوط الجنين (الإملاص) أكثر احتمالاً ، وفرص انتقال فيروس ب (B) من الأم إلى طفلها تشكل خطرًا كبيرًا ، لذا يجب تطعيم الحامل متى تعرضت للعدوى ، وكذا وليدها ، بالطعم الوقى (الفاكسين) . أما فيروس ج (C) ، ففرص انتقال الأجسام المضادة له من الأم إلى الوليد قد تمكث فيه شهورًا ، ولكنها لا تشكل

مرضاً . وأما فيروس هـ (E) ، فنسبته في الحوامل مرتفعة في البلاد المتخلفة ، وفي شهور الحمل الثلاثة الأخيرة قد تصل نسبة الوفاة إلى ٢٠٪ .

٦- الحصيات المرارية : أكثر احتمالاً في الحوامل منها في عامة الناس ، وقد تذوب وتختفى بمرور الوقت إذا كانت صغيرة أشبه بذرّات الرمل أو الطين . وإذا انحسرت حصاة مرارية في قناة الصفراء أمكن إخراجها بالمنظار .

٧- تليف الكبد في المرأة يقلل من فرصها في أن تحمل ؛ وإذا حملت ، يندر أن تلد ولادة طبيعية في ميعادها المكتمل ؛ إلا أن تليف الكبد ، في حد ذاته ، ليس داعياً إلى إنهاء الحمل . وكذلك مريضة الالتهاب الكبدي المزمن النشط المناسي ، يمكن استمرارها بعلاج مركبات الكورتيزون إذا حملت ، ولا داعي لإنهاء الحمل .

(٤) في أمراض سوء التغذية :

تشحم الكبد (الكبد الدهني) وأسبابه :

يعتبر الكبد دهنيًا إذا زادت نسبة الدهن فيه عن ٥٪ من وزنه . معظم هذا الدهن من نوع ثلاثي الجلسريد ، وسبب تراكمه إما خلل ذاتي في كيمياء الخلايا الكبدية ، وإما إتهام الكبد بالوارد إليه من المواد الغذائية ، دهناً كانت أو كربوهيدرات .

ونحن نميز بين نوعين رئيسيين من تشحم الكبد :

١ - كبير الحويصلات الدهنية ، حيث قطرات الدهن في الخلايا الكبدية كبيرة الحجم .

٢ - صغير الحويصلات الدهنية ، حيث قطرات الدهن صغيرة .

هذا التمييز يعتمد على الفحص المجهرى لعينة من الكبد ، ولكل من

هذين النوعين أسبابه وعلاماته الإكلينيكية ، وأحياناً يجتمع النوعان في كبد مريض واحد .

الكبد الدهنى كبير الحويصلات له أسباب كثيرة ، سنقتصر على أهمها :

البداية (السمنة) : تشحم الكبد يتناسب طردياً مع الزيادة في وزن الجسم ، لأن مخزون الدهن في البدن يتحلل إلى أحماض دهنية وجلسريدات تغرق الكبد فيختل توازنه . كبد البدينين عادة حميد العاقبة ، ووظائفه الكيميائية طبيعية أو شبه طبيعية ، إلا أنه قد يتحول إلى تليف ، خاصة إذا صاحبه مرض السكر (البوال السكرى) أو إدمان الخمر . وعموماً يستطيع الكبد الدهنى أن يستعيد توازنه ويتخلص من دهنه إذا التزم البدين بإنقاص وزنه وتنظيم غذائه « بالريجيم » المناسب .

الكحول (إدمان الخمر) : تشحم الكبد في شارب الخمر ، قد ينشأ خارجياً من فرط تناول السعرات الحرارية ، أو داخلياً من تكوين الدهنيات في خلايا الكبد ذاتها ، ويزيد من أذاه إذا صاحب ذلك نقص في البروتينات أو نقص في فيتامين ب المركب (خاصة ب₁ وحمض الفوليك) . هذا التشحم أكثره دهن كبير الحويصلات ، وأحياناً يكون صغير الحويصلات . وبمرور الوقت قد يتحول إلى تليف (انظر فصل : تليف الكبد) .

مرض السكر (البوال السكرى) : يقوم الكبد بدور رئيسى فى أيض المواد الكربوهيدراتية (النشوية والسكرية) وتنظيم نسبة السكر فى الدم ، ففيه ينحلّ الإنسولين ويتجمع الجليكوجين (وهو المخزن الرئيسى لرصيد الكربوهيدرات فى الحيوان حتى سُمى بالنشا الحيوانى) . لا غرو إذن أن يؤثر الكبد ويتأثر بمرض السكر .

نحن نميز عادة بين نوعين من مرض السكر :

١ - النوع الأول ، الذى يعتمد على الإنسولين ، ويصيب عادة صغار السن (الأحداث والشباب) .

٢ - النوع الثانى ، الذى لا يعتمد على الإنسولين ، ويصيب عادة كبار السن .

فى النوع الأول : يكون مرض السكر عادة شديد الوطأة ، صعب المراس ، معرضاً للمضاعفات التى أخطرها تكوين المواد الحمضية المعروفة بالكتون (الأستون) ، لأنها قد تفضى إلى الغيبوبة . هؤلاء المرضى يتضخم فيهم الكبد من تراكم الجليكوجين فيه ، ويعود إلى حجمه الطبيعى متى تمت السيطرة على مرض السكر . أما تراكم الدهن فيه فدوره محدود فى مرضى النوع الأول .

أما مرضى النوع الثانى فنسبة السكر فيهم عادة خفيفة ، معظمهم بدينون ، وأكثرهم يمكن علاجهم بالتحكم فى غذائهم وإنقاص وزن الجسم . فى هؤلاء الناس يتضخم الكبد من تراكم الدهن فيه ، ويكون من النوع كبير الحويصلات . وملئس الكبد عند فحصه يُحس كبيراً ، جامداً بعض الشيء ، ناعماً ، غير مؤلم . ووظائف الكبد قد تختل قليلاً .

وهناك أيضاً العلاقة الوثيقة بين تليف الكبد ونسبة السكر فى الدم . مرضى تليف الكبد ، قد ترتفع فيهم نسبة السكر فى الدم بالرغم من ارتفاع نسبة الإنسولين فيه ، وهم لذلك ليسوا مرضى بداء السكر بالمعنى الأصيل ، فأعراض مرض السكر (العطش الشديد ، البوال ، إلخ . . .) تكون عادة منتفية ، ومستوى سكر الدم فى الصائم طبيعى . هؤلاء علينا ألا نُقَرَّ عليهم فى إعطائهم حاجتهم من الكربوهيدرات ، خاصة حالات الغيبوبة الكبدية لأن لها الاعتبار الأول . وطبعاً يمكن اللجوء إلى علاج السكر التقليدى (تنظيم

الغذاء ، الإنسولين ، مركبات السلفونيل يوريا ، ولكن ليس مركبات ثنائي الجوانيد) متى تأكد لنا أن المريض مصاب بداء السكر الأصيل .

هناك أخيراً نوع من تليف الكبد سببه تراكم الحديد (انظر فصل « تليف الكبد ») ، يصيب فيه أيضاً تليف البنكرياس ، ويعالج فيه بالإنسولين والعلاج التقليدي لمرضى السكر .

نقص البروتين : سبب شائع يصيب الملايين من فقراء البلاد الامتوائية ومناطق المجاعات . أشجع أشكاله هو المرض المسمى « كواشيوركور - Kwa-shiorkor » [كلمة في لغة غانا معناها « الولد الأحمر »] ، يصيب الأطفال في سن ٦ - ١٨ شهراً ، أي بعد الفطام وحرمان الطفل من بروتين اللبن واعتماده كلياً على السكريات والنشويات . يفقد الطفل شهيته ، ويتوقف نموه ، يحمر جلده ويتقصف شعره ، ويتورم بالماء ويتنفخ بطنه ، ويصبح فريسة سهلة للعدوى بالميكروبات والطفيليات كالمalaria والإنكلستوما . يتضخم الكبد ويتشحم بالدهن كبير الحويصلات .

الأثار الجانبية لبعض الأدوية : قد تسبب تشحم الكبد ، أهمها مركبات الكورتيزون والهرمونات الجنسية .

أما تشحم الكبد بالدهن صغير الحويصلات فأسبابه كثيرة ، منها اليرقان بأنواعه المختلفة ، والفشل الكلوي ، والغيبوبة ، وكلها يتأكد تشخيصها بالفحص المجهرى لعينة من الكبد .

١٥ - زرع الكبد

(أ) نقل الأنسجة والأعضاء :

نقل الأنسجة من مكان إلى مكان آخر في الجسم نفسه ، أو من جسم إلى جسم آخر ، ثم إعادة زرعها transplantation في المكان الجديد ، بدأ منذ حين ، وأشهر مثال لذلك زرع طعم graft من الجلد لستر القروح والجروح والحروق ، أو لترقيع التشوهات .

أنسجة كثيرة يمكن الآن نقلها وزرعها ، كالعظام والغضاريف وقرنية العين ، وهناك « بنوك » تخزن هذه الأنسجة وتوردها حسب الطلب .

أفضل أنواع الطعوم هي تلك التي تُنقل من مكان إلى مكان آخر في الجسم نفسه ، أو بين جسمين متطابقين في تكوينهما المناخي ، كما في بعض التوائم ، وهو أمر نادر الحدوث والسبب في ذلك هو أن جسم المتلقي recipient قد يرى طعم المانح (المعطى) donor غريباً عليه فيلفضه rejection . ونتحايل على ذلك لمنع هذا اللفظ بأدوية خاصة غرضها كبت المناعة immunosuppression .

ثم تقدمنا خطوة أخرى بنقل عضو كامل من جسم إلى جسم آخر ، وشجعنا النجاح المطرد في زرع الكلى على زرع أعضاء أخرى كالقلب والرئة والكبد .

أول زرع كبد آدمي ناجح ، تم في سنة ١٩٦٣ ، على يدي الجراح

الأمريكي « ستارزل Starzl » وفريقه في بتسبرج (بنسلفانيا) . وآخر التقارير الحديثة تقول إن زرع الكبد تم في ٢٧٠٠ مريض في ٦٠ مركزاً من المراكز الطبية الأمريكية ، ٩٠٪ منهم لا زالوا أحياء يزرعون بعد عام من الزرع ، والفضل في ذلك النجاح المطرد يرجع إلى الاختيار الأمثل للمرضى المرشحين ، والتحسين المستمر في الفن الجراحي ، والأدوية الجديدة لكبت المناعة .

(ب) اختيار المرضى المرشحين للزرع :

في المريض المرشح لزرع الكبد يجب أن يكون المرض متفاقماً (progressive) ، لا رجعة فيه ، ولا بديل لعلاجه بالوسائل الأخرى . أما ضخامة العملية وما بعدها فيجب أن تُشرح بوضوح للمريض ولأهله ، بما في ذلك النفقات المالية المحتملة (من خمسين ألف إلى مائة ألف دولار) ، وأن المريض بعد نجاح الزرع سيعيش بقية حياته على أدوية كبت المناعة . وأما التوقيت المناسب للزرع فهو قرار صعب : للطبيب وللمريض على حد سواء .

أهم الدواعي لزرع الكبد هي :

١ - تليف الكبد : الفيروسي ، والمناعي ، والكحولي ، والصفراوي (المراري) الأولى .

في الغرب ، تليف الكبد الكحولي هو أهم الدواعي ، بشرط أن يكف المريض عن شرب الخمر لمدة ستة أشهر على الأقل قبل الزرع ، وألا تكون الخمر قد أفسدت نحه أو غيره من أعضاء الجسم الحيوية .

تليف الكبد الفيروسي بأنواعه الثلاثة : ب B ، د D ، ج C - كلها قابلة للزرع ، إلا أن النوع ب المزمّن يجب أن تكون دلالاته سلبية للأنتيجين HBe Ag والحمض النووي HBV DNA ، وإلا انتشر الفيروس في الجسم بعد

الزرع ، حتى بعد معاودة الزرع بكبد جديد ، وفرص بقاء الحياة تقل كثيرا .
تليف الكبد المناعى قابل للزرع ، حتى بعد طول استعمال الكورتيزون
ومضاعفاته كهشاشة العظام .

تليف الكبد الصفراوى (المرارى) الأولى من أنجح الدواعى للزرع ، لأن
وظائف خلايا الكبد تكون عادة سليمة .

أما تليف الكبد البلهارسى المحض (أى غير المختلط بأمراض أخرى فى
الكبد) ، فلا حقائق معروفة عنه تحدد موقفه من دواعى زرعه .

والمهم - عند الزرع - أن تليف الكبد ، بصرف النظر عن أسبابه وأنواعه ،
يجب أن تكون حالته متأخرة ، أى من الدرجة الثالثة المعروفة بـ Child c (نسبة
إلى الطبيب « تشايلد » الذى صنف درجاته) ، فيكون زمن البروثرومين أطول
من ٥ ثوان ، وتركيز الزلال فى الدم أقل من ٣ جم.٪ ، والاستسقاء عسيفا على
العلاج ، والنزف من دولى المرىء قد فشل بعد العلاج والتصليب بالحقن .
وعلى العكس من ذلك ، لا داعى للزرع إذا كان المريض مُحْتَصِرًا ، أو كان
المريض يحيا حياة شبه طبيعية برغم طول الزمن .

٢ - أمراض الكبد الأيضية (الميتابولزمية) مثل نقص « أنتى تريسين ألفا ١ »
الذى قد يسبب يرقانا فى الأطفال حديثى الولادة ويتحول إلى تليف بالكبد ؛
ومثل مرض ولسون [سبق ذكره] ؛ وأمراض تكدس الجليكوجين فى الكبد .

٣ - فشل الكبد المدهم ، كما فى الالتهاب الكبدى الفيروسى أو التسمم
بجرعة ضخمة من باراسيتامول .

٤ - ورم الكبد الخبيث (السرطان) : كان هذا فى بواكير عمليات زرع الكبد
من أهم دواعيه ، ولكن تناقصت الآن أهميته ، بعد أن اتضح أن الورم يعود
مرة أخرى بعد الزرع ، ربما لاضطرار المتلقى إلى استعمال أدوية كبت المناعة

باستمرار لمنع لفظ الطعم . وعلى أى حال ، إذا كنا سنزرع ، فيجب أن يكون الورم الخبيث من النوع الأول (لا من الأورام الثانوية) ، وألا يزيد حجمه على ٦ سم ، وألا يصاحبه تليف بالكبد ولا عقد لمفية ثانوية (تساعد على كشفها أشعة الكمبيوتر المقطعية) .

٥ - أمراض أخرى متنوعة ، أهمها مرض « بَض وكيارى » .

أما الموانع لزرع الكبد فبعضها مطلق وبعضها نسبي . الموانع المطلقة تشمل التعفن (الإلتان) sepsis خارج الكبد وقنواته الصفراوية ؛ والعدوى بمرض الإيدز؛ ثم الموانع القهرية لأسباب نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية . وأما الموانع النسبية فمنها سن المريض ؛ نحن نفضل ألا يزيد سن المتلقى على الستين ، وإن كان الزرع قد تم بنجاح في البعض حتى سن السابعة والسبعين . وهناك موانع نسبية أخرى ، منها حالة القلب مثلا ، أو صعوبات جراحية فنية كتجلط الوريد البابى ، أو وجود وصلة بين الوريدين البابى والأجوف ، أو وجود جراحات سابقة ومعقدة في أعلى البطن يمكن أحيانا تجاوزها .

(ج) إعداد المريض للزرع :

تشرح العملية بالتفصيل للمريض ولأهله ، وعليه أن يوقع بالموافقة . يفحص المريض فحوصا شاملا ، بما في ذلك التحاليل الكيميائية والسيرولوجية ، وتصوير الشريان الكبدى والوريدين البابى والأجوف السفلى ، وتلوين الجهاز المرارى ، والتصوير بالموجات فوق الصوتية وأشعة الكمبيوتر المقطعية . وتُقيّم وظائف القلب والتنفس . وقد يحتاج المريض للانتظار شهورا طويلا بحثا عن مانع مناسب ، والمتوسط هو من ٣٠ إلى ٥٠ يوما .

(د) المانع (المعطى) :

فصيلة الدم (A ، B ، O) ، والتكوين المناعى للأنسجة HLA يجب أن

تكون متوافقة مع المتلقى . يُفصل الكبد من المانح بعد أن مات دماغه ولكن قلبه لازال ينبض ، ثم يُبرّد الكبد ويحفظ في محلول خاص بارد حتى يزرع . يُفضّل لكبد المانح أن يكون حجمه أصغر قليلاً من كبد المتلقى لأنه سينمو بعد الزرع .

(هـ) عملية الزرع :

تستغرق الجراحة عادة من ٤ إلى ١٥ ساعة . يربط الوريد الأجوف السفلي فوق وتحت كبد المتلقى ثم يقطع وينزع الكبد ، وتقوم مضخة خاصة بدفع الدم ووصله بين طرفي الوريد حتى لا يتراكم الدم في الجزء السفلي من الجسم . تُوصّل الأوعية بعضها ببعض (الوريد الأجوف ، فالوريد الباطني ، فالشريان الكبدي ، فالقنوات المرارية) ، ثم يُفتح الطريق لتدفق الدم إلى الكبد المزروع .

في الأطفال المتلقين حالة خاصة ، فهم يحتاجون إلى كبد صغير ، خاصة الأطفال قبل ثلاث سنوات . عندئذ قد ننقل جزءاً من كبد المانح الميت للزرع ، وفي حالات نادرة ينقل طعام صغير من كبد أحد الأحياء الأقرباء ، لا من « المتطوعين » . ثم هناك أيضاً حالات حرجة ونادرة ، يستحيل معها نزع كبد المتلقى ، كما في فشل الكبد المدهام ؛ عندئذ يُبقى عليه كما هو ونزرع بجواره طعماً من كبد مانح (عادة الفص الأيمن) يوصل بالوريد الباطني وبالأورطي في المتلقى .

(و) كبت المناعة :

« سيكلوسبورين » هو الدواء المعتاد لكبت المناعة ، ويبدأ استعماله قبل الزرع ثم يستمر بعده . وعادة يضاف إليه ميثيل پردنيزولون (من مشتقات

الكورتيزون) . وأحياناً يستبدل بالسيكلوسبورين دواء آخر هو « أزابوبرين » إذا كانت كفاءة الكلى قاصرة .

والسيكلوسبورين دواء مكلف ، وله مضاعفات أهمها على الكلى والكبد واللثة وصورة الدم ، لذا تجب مراقبته ومتابعة نسبته في الدم ، والجرعة العادية المستمرة ٥ - ١٠ ملليجرام لكل كيلو جرام من وزن الجسم في اليوم .

والبحث مستمر عن أدوية جديدة . واحد منها هو FK 506 ، وهو مضاد حيوى شبيه بالإرثروميسين ، أنقذ حالات كثيرة بعد لفظ (رفض) الكبد المزروع .

(ز) ما بعد العملية :

يلزم المريض المستشفى شهرًا في المتوسط ، العشرة الأيام الأولى يمضيها في الرعاية المركزة .

أهم مضاعفات العملية العاجلة هي النزف ، وتسرب الصفراء ، وتجلط الأوعية الدموية ، والعدوى بالفيروسات أو الميكروبات ، وقد نُضطر إلى الدِّيَازَة (الغسيل الكلوى) . وأهم المضاعفات الآجلة هي فشل الكبد المزروع ، أو رفضه (لفظه) . ٢٠ - ٢٥٪ من المرضى يحتاجون إلى إعادة زرع كبد جديد .

٨٥٪ من الناجين بعد الزرع يستأنفون أعمالهم الطبيعية ، والنساء يَحْضِن ويحملن ويَلِدُن طبيعيات ، والأطفال ينمون جسمياً ونفسياً نموًا طبيعيًا . آخر مريض فحصته منذ ستة أشهر ، كان كبده ميتوسًا منه ، والاستسقاء عصيًا على العلاج ، ثم زُرِع له كبد جديد . رأيته منذ أيام سلبًا مُعافى ، يمارس رياضة التنس ساعة كل يوم ، وأتمنى له الصحة والعمر الطويل .

الباب الثاني
الممرارة والجهاز الممراري

١ - الحصيات الصفراوية (المرارية)

الحصيات الصفراوية (المرارية) ، تتكون إما في كيس المرارة ذاتها ، وإما في القنوات الصفراوية (المرارية) ، وقد تنزلق من الأولى إلى الثانية ، ولكل منهما أعراضه وعلاماته وعلاجه .

(أ) أنواعها :

ونحن نميز بين نوعين رئيسيين من الحصيات الصفراوية :

١ - حصيات الكولسترول .

٢ - حصيات الصبغ (أى صبغ الصفراء أو البليروبين) .

حصيات الكولسترول : تنتج من خلل في تركيب الصفراء ، أو خلل في وظيفة كيس المرارة . والأصل في الصفراء أن تحافظ على توازن دقيق بين مكوناتها الثلاثة : الكولسترول ، والدهنيات المُقسَّمة ، والأحماض الصفراوية . والكولسترول بطبيعته دهني لا يذوب في الماء ، وإنما يحافظ على تذويبه ربطه بالأحماض الصفراوية في مركبات تسمى فتات *micelles* ، ظاهرها مائي وباطنها دهني . فإذا زادت نسبة الكولسترول (لأسباب غذائية أو هرمونية أو وراثية) ، أو قلت نسبة الأحماض الصفراوية (بعد استئصال نهاية الأمعاء الدقيقة مثلاً) ، أصبح ترسيب الكولسترول مهياً لتكوين بللورات تتجمع في

طين أو رمل أو حصيات . وحصيات الكولسترول أقلها خالصة ، وأكثرها مختلطة بمكونات أخرى كالكالسيوم وصبغ الصفراء .

حصيات الصبغ : تتكون من البليروبين والكالسيوم والأحماض الصفراوية ، وتختلف عن حصيات الكولسترول في أنها طرية لينة ، غير بللورية ، لونها بني أو أسود ، يكثر وجود البكتريا فيها ، وكثيراً ما تتكون في قناة الصفراء المشتركة . ومن أسبابها المهمة تحلل كرات الدم الحمراء في بعض أنواع الأنيميا المزمنة خاصة في الأطفال .

كثير من الحصيات الصفراوية تبدأ بنواة أو جسم غريب ، دودة صغيرة مثلاً أو خيط (غُرزة) بعد عملية استئصال المرارة ، تتجمع حولها البللورات أو الطين الصفراوى وتكون حصى .

(ب) وبائيات وإحصائيات الحصيات المرارية :

- ١٠٪ من سكان العالم الغربى ، بهم حصى فى المرارة . أما الأفارقة السود وسكان الشرق الأقصى فالنسبة فيهم ضئيلة ، ويعزى ذلك الفرق إلى اختلاف الغذاء ، خاصة محتواه من الألياف ، وإن كانت الصورة آخذة فى التغير مع تغير أنماط الحياة والمجتمعات .

- الحصيات المرارية فى النساء ضعفها فى الرجال . وفى النساء تزيد النسبة مع البدانة ، ومع تكرار الولادة ، ومع طول استعمال حبوب منع الحمل . ولعل للحمل دوراً فى تكوين الحصى ، لأنه يؤدي إلى تراخى المرارة وركود الصفراء فيها .

- ترتفع نسبة الإصابة بالحصيات المرارية مع تقدم السن ، ربما بسبب الارتفاع المتزايد فى مستوى الكولسترول فى الصفراء .

- الوراثة لها دور واضح في تكوين الحصيات المرارية ، وترتفع النسبة في بعض العائلات بصرف النظر عن السن ووزن الجسم .

- ٣٠٪ من مرضى تليف الكبد لديهم حصيات مرارية . وإجراء جراحة لاستئصال المرارة يزيد حالتهم سوءاً وقد يقضى إلى فشل كبدي ، لذا يُنصح أمثال هؤلاء بتجنب الجراحة إلا إذا كانت مسألة حياة أو موت ، كانشقاق المرارة أو حدوث تجمع صديدي فيها .

(جـ) التاريخ الطبيعى للحصيات المرارية :

حصيات كيس المرارة قد تظل ساكنة (صامتة) بلا أعراض ، وقد قُدرت فترة الصمت بين بدء تكوين الحصى وظهور الأعراض اللازمة لاستئصال المرارة باثني عشر عاماً في المتوسط . وكما هي العادة ، يفضل الباطنيون أن تُترك الحصاة ساكنة « في حالها » ، أما الجراحون فيؤثرون الجراحة . والرأى السائد الآن ألا نلجأ إلى استئصال المرارة ، كإجراء وقائي لمنع ظهور سرطان المرارة بسبب حصى صامت ؛ فقد اتضح أن هذا الاحتمال نادر الحدوث ، وهو قطعاً أقل خطراً من مضاعفات استئصال المرارة .

لكنّ حصيات كيس المرارة قد تسبب أعراضاً وعلامات ، أهمها : المغص المرارى ، التهاب كيس المرارة الحاد والتهابها المزمن ، ثم انحشار الحصاة في عنق المرارة أو تحركها إلى القنوات المرارية .

المغص المرارى ألمه شديد ، يُحس في فم المعدة أو في المراق الأيمن (جانب البطن الأيمن العلوى) ، وقد يصاحبه قيء ، ولكن لا يصحبه عادة ارتفاع في درجة الحرارة أو تغيرات شاملة في سائر الجسم ، كما هو الحال في التهاب المرارة الحاد . ويجب تمييز المغص المرارى من الآلام الأخرى ، كالقرحة الهضمية ،

وفتق الحجاب الحاجز ، والتهاب البنكرياس الحاد ، وأمراض الشرايين التاجية : الذبحة ، واحتشاء عضلة القلب .

أما التهاب كيس المرارة ، الحاد والمزمن ، فسنرجئه إلى الفصل التالى . بقى أن نقول إن انحشار حصاة المرارة فى عنقها أو فى قناتها قد يسبب تجمع الصديد فيها ، وقد تصاب بالغنغرينا ، أو تنتقب ، أو تنفذ فى الأمعاء وتكون معها ناسورًا ، ومن خلال هذا قد تنحسر فى الأمعاء وتسبب انسدادها - وهو أمر نادر الحدوث .

حصيات القنوات المرارية ، إذا كانت صغيرة ، تتحرك من خلال « قارورة فاتر » و « حلقة الاثنا عشرى » [انظر تشريح الجهاز المرارى فى الفصل الأول من الكتاب] ، فتسبب مغصًا مراريًا ، ويرقانًا مؤقتًا ، وقد تسبب أيضًا التهاب البنكرياس الحاد . أما إذا انحسرت الحصاة فى قناة الصفراء المشتركة ، فالنتيجة هى اليرقان الانسدادي ، وقد تغزو البكتريا القنوات وتسبب التهاب القنوات المرارية ، وهذا أيضا سنرجئه إلى الفصل التالى .

(د) تشخيص الحصيات المرارية :

يعتمد هذا أساسًا على الفحص التصويرى . الفحص بالأشعة العادية ، يكشف عن ١٠٪ فقط من الحصيات المرارية (مقارنة بـ ٩٠٪ من حصيات الكلى) ، لأنها تعتمد على محتواها من الكالسيوم .

والحصيات المرارية ، عادة ، متعددة ولها سطوح متقابلة ، وقد تكسوها طبقة من الكالسيوم فيبدو الشكل أشبه بحبات فص الرُّمَّان ، أو « بقانصة » الدجاجة المكتظة بحبوب الدرة . وأحيانًا تكون الحصاة وحيدة وكبيرة ، أشبه بفص الخاتم « السوليتير » .

أما الفحص بالموجات فوق الصوتية فهو الوسيلة المفضلة لتصوير حصيات المرارة ، لأنه يكشف عن ٩٥٪ منها ، كما أنه يبين ثخانة جدار المرارة وما فيها من طين صفراوى ، ومدى حساسيتها للألم بلمس الفاحص . ثم إنه ينبهنا إلى حالة الكبد وتجنب الجراحة إذا وجدناه متليفاً .

وأما تصوير المرارة والجهاز المرارى بالأشعة الملونة (مع الصبغة) ، أو بالنظائر المشعة ، فيندر أن نلجأ إلى ذلك ، إلا لأغراض خاصة ، كتذويب الحصيات أو تفتيتها ، أو لتشخيص انسداد قناة المرارة .

(هـ) علاج الحصيات المرارية :

الغرض من علاج هذه الحصيات له هدفان :

١ - التخلص من الحصى

٢ - التخلص من المخزن الذى يأوى هذه الحصيات ، ويساعد على تكوينها (أى المرارة) .

وقد ظلت عملية استئصال كيس المرارة ، لأكثر من قرن ، هى الحل الوحيد ، ولكن جَدَّتْ فى السنوات الأخيرة حلول بديلة :

١ - إذابة الحصى بتعاطى الأحماض الصفراوية (كينودى أوكسى كوك ، أورسو دى أوكسى كوك) عن طريق الفم ، لمدة طويلة ، تمتد أحياناً إلى سنتين ، تختفى بعدها الحصيات . ولكن لهذه الطريقة قيوداً ومآخذ : منها أن الحصاة ، أو الحصيات ، يجب ألا يزيد قطر حجمها عن $\frac{1}{4}$ سم ، وألا تكون محملة بالكالسيوم أو تكون من نوع حصى الصبغ ، وأن يكون كيس المرارة قابلاً للانقباض وإفراغ محتوياته . أضف إلى ذلك أن الحصيات قد تتكون ، من جديد ، بعد التوقف عن العلاج بفترة . ثم إن الدواء نفسه قد يسبب آثاراً جانبية كالإسهال أو اختلال وظائف الكبد .

واضح إذن أن هذا العلاج لن يناسب معظم الناس ، وإنما قد نلجأ إليه في الحالات الخفيفة ، وفي المرضى الذين لا يصلحون للجراحة .

وهناك طريقة أخرى لإذابة الحصى بأحد مركبات الإثير ، يُدفع إلى جوف المرارة ، إما مباشرة عن طريق قسطرة تخترق الجلد ، وإما من خلال المنظار إلى قناة المرارة . هذه الطريقة سريعة المفعول ، ولكن يعيبها أن هذه المادة مهيجة للغشاء المبطن للثلاثا عشرى ، وقد تمتص وتسبب التخدير .

٢ - تفتيت الحصى : هناك طريقة خارج الجسم ، لتحديد مكان الحصىات بالأشعة أو بالموجات فوق الصوتية ، ثم توجه إليها « موجات الصدمة » التي يولدها إلكترود خاص . ومتى تفتتت الحصىات ، فإنها يمكن أن تتسرب من خلال قناة المرارة ، أو نعجل بإذابتها بالأحماض الصفراوية السابق ذكرها .

وهناك طريقة أخرى مباشرة لتفتيت الحصى ، عن طريق قسطرة تدفع إلى جوف المرارة ، إما بتوجيه الأشعة وإما من خلال المنظار البريتوني .

٣- استئصال المرارة : هذه الجراحة ، لازالت الوسيلة المثلى للتخلص من الحصىات ومن الكيس الذى يولدها ويخزنها ، أى المرارة . وهناك لذلك طريقتان :

(أ) الطريقة التقليدية بفتح البطن : آخر الإحصاءات الواردة من أمريكا ، تقرر أن هذه العملية تجرى لـ ٥٠٠,٠٠٠ (نصف مليون) مريض ، وتتكلف بليون (ألف مليون) دولار سنويًا . نسبة الوفاة ١,٠ ٪ فيمن هم أقل من سن الخمسين ، و ٥,٠ ٪ فيمن هم أكبر سنًا ، وتزيد النسبة فيمن تجاوزوا سن ٧٥ سنة ، وتكون حالاتهم إذن حرجة وعاجلة ، كاستئصال المرارة والتهاب البريتون . وخير وسيلة لتجنب ذلك هو المبادرة بالجراحة الانتخابية (أى غير

الاضطرارية) متى كانت الحصيات مصدرًا للأعراض والشكوى منها ، خاصة في كبار السن . ومن المهم ، في هذه الجراحة ، أن نتأكد من خلو القنوات من حصيات أخرى ، قد نغفل عنها ، وتصيح مصدرًا للمضاعفات والمشاكل بعد إنتهاء الجراحة .

(ب) الطريقة الحديثة بالمنظار البريتوني : بدأت سنة ١٩٨٧ ، وهي الآن آخذة في الانتشار ، وإن كانت الخبرة والكفاءة تختلف من شخص لآخر . ويجب على الممارس لهذه الطريقة أن يكون جراحًا سبق له التمرس بجراحة الجهاز المرارى ، لأن نحو ٥٪ من هذه الجراحات الحديثة المستعملة بالمنظار تستعصى على التدخل الناجح ، ولا حل لها إلا بالتحول إلى جراحة تقليدية لفتح البطن . نسبة المضاعفات في هذه الطريقة الجديدة تتراوح من ١,٦ - ٨٪ ، والوفاة أقل من ١,٠٦٪ . ومزاياها : قلة الألم بعد الجراحة ، وسرعة الإفاقة ، وقصر مدة الإقامة بالمستشفى ، والعودة سريعًا إلى الحياة والعمل الطبيعيين .

٤ - قُفْر المرارة ، أى عمل فتحة في كيس المرارة لتصريف ما بها من حصيات أو صديد بإدخال أنبوب فيها ، وهي عملية اضطرارية نلجأ إليها أحيانًا في كبار السن الذين لا يحتملون جراحة إستئصال المرارة .

٥ - علاج حصيات القنوات المرارية : حصيات القنوات المرارية إما أن تكون ثانوية ، أى نشأت في كيس المرارة ثم تدرجت إلى القنوات ، وإما أن تكون أولية ، نشأت في قناة غير طبيعية . الحصيات الثانوية ، كانت تعالج عادة جراحياً ، باستكشاف القناة الصفراوية المشتركة ، وإدخال أنبوب على شكل حرف T في جوفها ، لتصريفها وتلوينها بالأشعة ؛ ثم استُحدث المنظار لشق فتحة حلمة الاثنا عشرى حتى تتساقط منها الحصيات ، وإلا لُقِطت أو

قُتت أو أذيت إذا تَمَنَّعت . أما الحصيات الأولية ، فالعلاج الأمثل لها ، استعمال المنظار لشق العضلة العاصرة في الحلمة ، وفتح الطريق لها فتحة دائمة .

٦ - علاج تضيق القنوات المرارية أكثره ناجم عن تدخل جراحى ، وبعضه نتج عن التهاب أو ورم ، أو بلا سبب واضح . والعلاج التقليدى هو قطع القناة فوق التضيق ثم إعادة توصيلها بالمعى الصائم . أما الطريقة الحديثة فهي توسيع التضيق ببالون يوجه إليه ثم ينفخ فيه عن طريق المنظار أو مباشرة عبر الجلد . ويمكن بعد توسيع التضيق تثبيت أنبوب قصير في جوف القناة بحافظ عليها سالكة .

٧ - مشاكل ما بعد استئصال المرارة : نحو ثلث المرضى الذين عولجوا باستئصال المرارة ، يشعرون بعد ما بخيبة أمل ، وأن أعراضهم وشكاواهم لا زالت باقية . أغلب الظن ، أن هذا الإحباط سببه خطأ في التشخيص الأصيل ، خاصة إذا وجدت المرارة عند استئصالها خالية من الحصيات . عندئذ قد يكون السبب الحقيقى اضطرابا نفسيا ، أو تقلصا في القولون ، أو التهابا في البنكرياس . ثم هناك مجموعة من المشاكل سببها أخطاء فنية في الجراحة ذاتها ، كتضيق القناة المرارية ، أو إغفال حصيات متروكة في القناة ، أو بقية من قناة المرارة قد تعشش حصاة جديدة . وهناك أخيرا ما يسمى عُسر الحركة في العضلة العاصرة (عاصرة « أودى ») في حلمة الاثنا عشرى ، سببه تقلص في العضلة أو تليف وضيق فيها ، وعلاجه إما بشق العاصرة ، أو بتوسيعها بفتح بالون عن طريق المنظار .

٢ - التهابات المرارة والقنوات المرارية

(أ) التهاب المرارة الحاد :

ينشأ هذا عادة من انسداد قناة المرارة بحصاة . عندئذ تحتبس أملاح الصفراء في كيس المرارة المختنقة ، فتثير فيها التهابًا كيميائيًا أول الأمر . أضف إلى ذلك ارتفاع الضغط فيها الذي يعوق سريان الدم في أوعية جدرانها وتصبح معرضة للغثغرينا . بعد ذلك تصبح المرارة مستهدفة لغزوها بالبكتريا ؛ والمرارة الملتهبة قد تنتفخ وتمتلئ بالصديد ، أو تتليف جدرانها وتنكمش ، أو تلتصق بالأعضاء المجاورة . وهناك أقلية من حالات التهاب المرارة ليس بها حصيات ، وقد يكون السبب إذن ارتفاع إفراز البنكرياس المهيج إلى جوف المرارة ، لأن قناتيهما مشتركتان في مخرجهما .

أعراض الالتهاب ، أهمها الألم : يُحس في فم المعدة أو في أعلى يمين البطن ، وقد يُحال إلى المنكب الأيمن أو إلى الكتف ، وكثيرًا ما تبدأ الأزمة آخر الليل عقب أكلة دسمة . وقد يصحب الالتهاب أعراض عامة ، كارتفاع درجة الحرارة ، وزيادة عدد كرات الدم البيضاء ؛ والغثيان والانتفاخ شائعان . ويفحص البطن ، قد لا تحس المرارة إذا لم تكن متضخمة ، إلا أن مكانها يكون عادة حساسًا يمنع المريض من إكمال شهيته عند لمسه (علامة «ميرفي») ، وتكون عضلات البطن فوقها متصلبة .

التهاب المرارة الحاد ، قد يلتبس مع أمراض أخرى ، كالتهاب الزائدة الدودية ، والتهاب البنكرياس ، واثقاب القرحة الهضمية ، والانسداد المعوي ، والتهاب بلورا الحجاب الحاجز ، واحتشاء عضلة القلب . ودُعيت مرة لفحص مريضة سُخَّص مرضُها بالتهاب حاد بالمرارة ، ولكنى لاحظت ظهور ثلاث بثرات طازجة في الجلد فوق مكان المرارة ، وكان التشخيص المؤكد أنه التهاب فيروسي يصيب عصب الصدر في مرض يعرف بالَحَلَا المِنَطَقِي (هَرَبِس زوسْتِر) ، والعدز طبعاً للطبيب الأول الذي فحصها قبل ظهور البثرات .

تشخيص التهاب المرارة ، يعتمد أساساً على الفحص بالموجات فوق الصوتية .

أما مصير الالتهاب ومآله ، فيختلف : فقد ينصرف الالتهاب تلقائياً ، وقد يتكرر بعد فترة ويصبح الالتهاب مزمناً ، وقد يتدهور الموقف فتمتلئ المرارة بالصديد ، أو تتحول إلى الغنغرينا ، وعندئذ قد تنقب وتؤدي إلى التهاب بريتوني صفراوي ، أو تحميها وتحصرها الالتصاقات بينها وبين الأحشاء المجاورة ، وقد تنفذ إلى جوف الأمعاء لتكوّن ناسوراً ، أو تسد قناة الكبد الصفراوية المشتركة وتسبب اليرقان (« متلازمة ميريتزي Mirizzi syndrome ») .

علاج التهاب المرارة الحاد يعتمد على المسكنات ، والغذاء الخفيف ، ومضادات الحيوية . وهناك اتجاه حديث ، يفضل التبخير باستئصال المرارة خلال الأيام الثلاثة الأولى بدلاً من العلاج التقليدي الذي يؤجل الجراحة إلى ستة أسابيع أو أكثر .

(ب) التهاب المرارة المزمن :

هذا هو أكثر أمراض المرارة شيوعاً ، وفي الغالبية العظمى يصاحبه وجود الحصيات المرارية . والتهاب المرارة المزمن قد يعقب التهابها الحاد ، ولكن الأغلب أن ينشأ مُخْتِلاً بمرور الزمن . جدار المرارة ينكمش ويغلظ ، وقد يتكلس (أشبه بالخزف الصيني) ، وترسب الصفراء فيها فتكون الطين والحصى ، وواحدة من هذه تسد عادة عنق المرارة .

أعراضه : قد تعترى المريض نوبات مفاجئة من الالتهاب الحاد أو المغص المرارى أو اليرقان المؤقت . ولكن أكثر الأعراض مزمنة وغير محددة : انتفاخ البطن ؛ عسر هضم وغثيان ، خاصة بعد الطعام الدسم إذا كان مُحَمَّرًا أو مَقْلِيًا أو مسبوكا ؛ ضيق مبهم في فم المعدة أو جانب البطن الأيمن العلوى ، يتحسن بعض الشيء إذا تَجَشَّأ (تَكَرَّج) المريض ، وقد يحس بألم عند جس مكان المرارة (علامة « ميرفى ») .

المريض التقليدى امرأة بدينة ، ولأدة ، متوسطة العمر ، من أسرة يكثرين أفرادها مرض المرارة ، وتشكو من الانتفاخ - من هنا « السداسى » المشهور في تعليم طلبة الطب بالفاءات الستة : female, fat, fertile, forty, 6 Fs (familial, flatulent . ولكن ، طبعا ، لكل قاعدة شواذ .

التشخيص الأساسى يعتمد على التصوير بالموجات فوق الصوتية . والتفريق بين التهاب المرارة المزمن وغيره من الأمراض المتشابهة سبق ذكره في الالتهاب الحاد ، ونضيف إليه هنا المعى العصبى (تقلص القولون وانتفاخه) .
والعلاج يكون بإذابة الحصيات أو تفتيتها إذا كانت شفافة (خالية من الكالسيوم) ، وإلا لجأنا إلى استئصال المرارة إذا كانت مُنْعَصَة .

هناك نوع من التهاب المرارة سببه حمى التيفود ، خاصة في نهاية الأسبوع الثاني أو بعده ، لكنه أصبح نادرًا بعد عصر مضادات الحيوية . أما « حامل ميكروب التيفود » ، الذي يأوى ويخزن الميكروب في المرارة ويصبح مصدرًا للعدوى (كما في حالة « ماري التيفودية » المشهورة) ، فيمكن علاجه بالأمبسلين ، وإلا اضطررنا إلى استئصال المرارة .

هناك أيضا ما يسمى « كولسترولية المرارة » ، وفيها يترسب الكولسترول في جدار المرارة ويكوّن حبيبات صغيرة أشبه بثمر الفراولة ، يصعب تشخيصها بالموجات فوق الصوتية ، وقد تبدو واضحة بالأشعة الملونة .. وعلاجها استئصال المرارة إذا كانت مصدرًا للمتاعب ، وهي مرض شائع .

(جـ) التهاب القنوات المرارية :

ينشأ هذا المرض من حصة تسد القنوات المرارية (معظمها القناة الصفراوية المشتركة) ، أو من تضيق فيها ، حميدًا كان أو خبيثًا من ورم . وهناك سبب أقل شيوعًا هو الديدان الكبدية التي تترعرع في القنوات الصفراوية ، مثل دودة « فاشيولا » في مصر ، ودودة « كلونوركس » في اليابان والشرق الأقصى . ثم هناك نوع نادر هو التهاب القنوات المرارية التصلبي ، سببه مجهول ، ويصاحب عادة التهاب الأمعاء ، كالتهاب القولون التقرحي .

الالتهاب الحاد قد يكون خفيفًا أو شديد الوطأة ، مصحوبًا بانتشار البكتريا في الدم والتقيح في القنوات . أعراضه : ألم البطن ، حمى وقشعريرة (تشبه الملاريا) ، يرقان ، وفي الحالات الشديدة المداهمة يصاب المريض بالصدمة والفشل الكلوى . تشخيصه يعتمد على ارتفاع عدد كرات الدم البيض ، ووظائف الكبد ، ومزرعة الدم للبكتريا ، والفحص بالموجات فوق

الصوتية . والعلاج يسيطر على بكتيرية الدم بالمضادات الحيوية ، والمنظار يتولى الباقي : شق العضلة العاصرة في حلقة الاثنا عشرى لفتح الطريق لتلوين القنوات المرارية واستخراج الحصى ، أو توسيع التضيق الذى يسد القنوات . أما استئصال المرارة فقرار يُتخذ بعد زوال العُمة ، وتحديد دواعيه وموانعه .

إذا تكرر الالتهاب وأزمن دون علاج ناجع ، أصبح الكبد مهددًا بالأذى ، حتى يصل إلى تليف الكبد الصفراوى (المرارى) الثانوى ومضاعفاته التقليدية ، كارتفاع الضغط فى الوريد البابى ؛ لذا يجب علينا أن نبذل كل وسيلة ممكنة لفك الضيق فى القنوات المرارية . أما التهاب القنوات المرارية التصلبى الأولى (الذى لا سبب ولا حل له) ، فقد يحتاج فى نهاية المطاف إلى زرع الكبد .

٣ - أورام المرارة والقنوات المرارية

أورام المرارة قد تكون حميدة أو خبيثة .

الأورام الحميدة هي الأورام الخَلْمِيَّة ، وهي تورمات صغيرة متعددة ناشئة من بطانة المرارة ، وتشبه الحَلَمَات ، وقد تصاحب كولسترولية المرارة ، ولكنها لا تتحول إلى أورام سرطانية . تشخيصها بالموجات فوق الصوتية ، ونمیزها من الحصيات بأنها ثابتة في مكانها ، ولا تلتقي وراءها ظلالاً كما تفعل الحصيات .

(أ) سرطان المرارة :

غير شائع ، وأكثره مصحوب بحصى في المرارة ، وأحياناً بالتهاب المرارة المزمن ، ولكن العلاقة بين هذا وبين السرطان ليست علاقة سببية . إلا أن المرارة المتكلسة (« مرارة الخنزف الصيني » كما تسمى) ، رغم ندرتها ، قد تتحول إلى سرطان . والرأى السائد الآن ألا تُفَرَط في استئصال المرارة لمجرد وجود حصيات بلا أعراض مخافة التحول إلى سرطان ، لأن العلاقة كما قلنا ليست علاقة سببية ، كما أن سرطان المرارة نادر ، ومشاكل استئصال المرارة أكثر .

سرطان المرارة عادة يصيب كبار السن ، خاصة النساء ، وأعراضه ألم في مكان المرارة ، وغثيان أو قيء ، ونقص في وزن الجسم ، ثم اليرقان الانسدادي . والفحص قد يُظهر المرارة كورم جامد قليل الألم ، وقد ينفذ إلى ما جاوره كالكبد والمعدة والأمعاء ، أو ينتشر إلى التجويف البريتوني فيملؤه بهادة جيلاينية تنفخ البطن . والتشخيص بتصوير الموجات فوق الصوتية أو بأشعة

الكمبيوتر المقطعية . قد يتشابه مع التهاب المرارة المزمن إذا كان الورم مبكراً ،
أما إذا تقدم ووصل إلى مرحلة اليرقان الانسدادي ففرص الشفاء الكامل
محدودة، وللطبيب المعالج أن يقدر ويقرر ما إذا كان العلاج الجراحي أو
الإشعاعي مناسباً للموقف أم لا .

(ب) سرطان القنوات المرارية :

هو الآخر غير شائع ، ولكنه أخذ في ازدياد وعينا به ، بفضل الوسائل
الحديثة للتشخيص التصويرى (الموجات فوق الصوتية والأشعة المقطعية) ،
وأيضاً بفضل استعمال المناظير لتلوين القنوات وتحديد مكان الورم وأخذ عينة
منه .

أهم أعراضه اليرقان ، وهو يرقان انسدادى مستمر ومتزايد ، ثم تأتى بعده
الحِجَّة (الهرش) [على العكس من تليف الكبد الصفراوى الأولى ، حيث يبدأ
الهرش ثم يليه اليرقان] . أما الأعراض الأخرى فتشمل الألم فى فم المعدة ،
والإسهال الدهنى ، ونقص وزن الجسم ، وتضخم الكبد ، وأما ارتفاع درجة
الحرارة أو تضخم الطحال أو ظهور الاستسقاء ، فأمور نادرة فى هذا المرض .

هذا السرطان قد يصيب أى منطقة فى شجرة القنوات المرارية من أعماق
الكبد إلى القناة الصفراوية المشتركة ، وتشخيصه كما قلنا يعتمد على وسائل
التصوير الحديثة وعلى مهارة أخصائى المناظير .

والعلاج الجراحي لاستئصال الورم جذريا محدود الفرصة ، وقد يحتاج إلى
استئصال فص كامل من الكبد . أما زرع الكبد فتأثيره غير مشجعة . ويبقى
لنا العلاج الملطف لفتح اختناق القناة المسدودة والتفريغ عن اليرقان والهرش ،
ويتم ذلك بإدخال أنبوب بديل فى مكان الاختناق عن طريق المنظار، أو
باختراق الجلد وتوجيهه عبر الكبد .

الباب الثالث
البنكرياس

١ - بنساء البنكرياس ووظائفه

البنكرياس عضو مهم لأداء الجسم بالرغم من صغر حجمه . كنا في الماضي نسميه « يتيم الجهاز الهضمي » ، لأنه صغير ، ولأنه بعيد عن تناول اليد ، فكنا كثيراً ما ننساه ونغفل عن ذكره . إلا أن الوسائل الحديثة للكشف عنه وتشخيص أمراضه ، وكذلك المعرفة الجديدة بوظائفه ودوره الهام ، كل هذا دفع به إلى المقدمة ، وأصبح عضواً كاملاً وأساسياً في أسرة الجهاز الهضمي .

البنكرياس جسم عُذّي أصفر اللون ، يمتد أفقياً عبر منتصف الجذع ، ويكمن وراء المعدة . طوله نحو ١٥ سم وعرضه ٤ سم . ويتكون من رأس وجسم وذيل ؛ رأسه يقبع في حَنِيَّة الاثنا عشرى ويملؤها ، وذيله يلامس الطحال . وهو في الحقيقة غدة مزدوجة ؛ في جزء منها داخلية الإفراز (غدة صماء) تسيطر على أيض الكربوهيدرات وتنظّم نسبة السكر في الدم ، وفي جزئها الآخر خارجية الإفراز ، تفرز عصائر الهضم التي تتعامل مع مكونات الغذاء من كربوهيدرات وبروتينات ودهنيات .

أما الجزء الأصم ، ولا يشكل أكثر من ١٪ من كتلة البنكرياس ، فيتكون من خلايا منتشرة في جُرم البنكرياس اسمها « جُزَيَّرات لانجرهانتز » ، وهي على ثلاثة أنواع : خلايا (أ) التي تنتج الجلوكاجون ، وخلايا (ب) التي تنتج

الإنسولين ، وخلايا (د) التي تنتج الجلسترين والسوماتوستاتين ... وكلها هرمونات لها دورها في الأيض والنمو .

وأما الجزء الخارجى الإفراز ، وهو الذى يعنينا أكثر في نطاق الجهاز الهضمى ، فيتكون من خلايا سِنْخِيَّة متجمعة في فُصَيْصَات ، ينسكب إفرازها في شبكة من القنوات ، تتجمع في قناة رئيسة تسلك طريقها إلى تجويف الاثنا عشرى ، حيث تصب في حلمته ، بالاشتراك مع القناة الصفراوية المشتركة التى تحكمها عضلة « أودى » العاصرة .

وإفراز البنكرياس قلوبى التفاعل ، لوجود نسبة مرتفعة من البيكربونات فيه . أما إنزيماته الثلاثة الرئيسة ، فهى الأميلاز لهضم النشويات ، والليباز لهضم الدهون ، والترسين لهضم البروتينات . ويتحكم في إفراز البنكرياس مصدران أساسيان : الجهاز العصبى المستقل ، والهرمونات وأهمها « سكريتين » و « كوليسستوكينين » .

يعتمد تشخيص أمراض البنكرياس أساسًا على الوسائل الحديثة للتصوير، وأهمها الفحص بالموجات فوق الصوتية ، وبأشعة الكمبيوتر المقطعية . ومنظار المعدة الضوئى له دور حاسم في تلوين قناة البنكرياس ، والكشف عن كثير من أمراضه . أما التحليل الكيميائى فيبين مدى نشاط البنكرياس بقياس نسبة الإنزيمات في عصير الاثنا عشرى أو في الدم . وهناك طبعًا التحاليل التقليدية لنسبة السكر في الدم ، ومدى اعتمادها على الإنسولين في مرضى البنكرياس .

٢- التهاب البنكرياس

(أ) التهاب البنكرياس الحاد :

أهم أسبابه الكحول والحصى المرارية . أما الأسباب النادرة فمنها الحمى النكفية ، وضيق حلقة الاثنا عشرى ، والتدخل الجراحي فى الجهاز المرارى ، أو تلويح القنوات بالمنظار .

فى هذا الالتهاب تنطلق إنزيمات الهضم من إسار البنكرياس وكأنه يهضم نفسه ، فتتركز الخلايا ، وتنتشر إلى تجويف البريتون فتلهبه ، وقد يستتبع ذلك النزف أو الاستسقاء ، أو يتجمع الإفراز فيها يسمى بالكيس الكاذب ، وهذا قد يتلوث بالبكتريا فيتقيح ويتحول إلى خراج .

أهم أعراضه وعلاماته ألم مفاجئ وعنيف ، يُحس عادة فى فم المعدة ، وقد يخترق الجسم فيُحس فى الظهر ، أو ينتشر فى البطن كله ، ويصاحب ذلك الغثيان ، والقىء ، وأعراض الصدمة كسرعة النبض وانخفاض ضغط الدم .

هذه الحالات تتشابه مع أمراض البطن الحادة الأخرى ، كالتهاب المرارة ، والتهاب الزائدة الدودية ، وانثقاب القرحة الهضمية ، واحتشاء عضلة القلب . والتشخيص يعتمد على قياس نسبة الأميلاز فى الدم ، وعلى التصوير بالموجات فوق الصوتية أو أشعة الكمبيوتر المقطعية ، وأحياناً لا نجد وسيلة لتشخيصه إلا فتح البطن واستكشافه .

والعلاج الناجز ، هو تسكين الألم وتخليص المريض من الصدمة ، وذلك بتعويض سوائل الجسم المفقودة وشفط المعدة وتغذية المريض عن غير طريق الفم . أما الجراحة فنلجأ إليها إذا حدثت مضاعفات ، مثل الكيس الكاذب أو الخراج أو التهاب المرارة المصاحب لالتهاب البنكرياس .

(ب) التهاب البنكرياس المزمن :

قد يعقب الالتهاب الحاد ، ولكنه في أكثر حالاته ينشأ مخاتلاً ، أى بطيئاً ومستمرًا ، تتخلله نوبات من الالتهاب الحاد . أسبابه ، مرة أخرى ، هي الخمر والحصىات المرارية ، وفي بلاد المناطق الحارة يبرز سوء التغذية كسبب مهم لالتهاب البنكرياس المزمن .

وفي هذا المرض تنسد قنوات البنكرياس ويتليف ، وقد ترسب فيه أملاح الكالسيوم وتكون حصيات . أهم أعراضه ألم البطن ، وهو يُحسّ في فم المعدة ، أو في المَرَاقِ الأيمن أو الأيسر ، ويتشر عادة إلى وسط الظهر ، ويخفف من شدته أن ينحني المريض جاثيًا . وأهم مضاعفاته الإسهال الدهنى (من ضياع إنزيم الليباز اللازم لهضم الدهون) ، والبُوال السكرى (من ضياع الإنسولين اللازم لأيض السكريات) ، ونقص وزن الجسم (من فقد الغذاء) . وأحيانًا يضغط البنكرياس المتليف على القناة الصفراوية المشتركة فيسبب اليرقان .

ويعتمد التشخيص ، كما قلنا ، على وسائل التصوير المختلفة ، وعلى تلوين قنوات البنكرياس والجهاز المرارى بالمنظار ، وعلى تحليل الدم للسكر ، والبراز لنسبة الدهن فيه .

والعلاج أغلبه باطنى ، بتعويض إنزيم الليباز عن طريق الفم ، وتعويض

الإنسولين حقناً لمرضى السكر . وفي غذاء هؤلاء المرضى تُنقص نسبة الدهون فيه ، أما الكحول فيستبعد تماماً . وللألم الشديد المسكنات ، ويستحسن تجنب مشتقات الأفيون مخافة الإدمان . أما الجراحة ، فنلجأ إليها أحياناً ، لفتح قناة البنكرياس المسدودة ، أو لتصريف اليرقان الانسدادي ، أو لاستئصال الكيس الكاذب إذا تكوّن .

٣ - أورام البنكرياس

أورام البنكرياس نوعان رئيسيان :

(أ) ورم خلايا الجُزَيرات :

أى أنه ينشأ من جُزَيرات لانجرهانز التى سبق ذكرها . هذا الورم قد يكون حميدًا أو خبيثًا ، دقيقًا أو كبير الحجم ، وأهم آثاره أنه ينتج مزيدًا من الإنسولين أو مزيدًا من الجاسترين . الأول يسبب انخفاضًا شديدًا فى نسبة سكر الدم ، وله علاماته . والثانى يسبب إفرازًا غزيرًا من حمض المعدة (حمض الكلوريدريك) ويؤدى إلى قروح هضمية عنيدة ، وفى أماكن تقليدية وغير تقليدية ، يصعب علاجها ، وهو ما نسميه متلازمة زولنجر وإلسون .

(ب) سرطان البنكرياس :

وهو ينشأ من قنوات البنكرياس ، أو من خلاياه السنخية . ٦٠٪ من هذا الورم يصيب رأس البنكرياس ، و ٢٠٪ يصيب جسمه أو ذيله ، والباقى ينشأ فى أماكن متعددة . سرطان رأس البنكرياس يقع فى منطقة إستراتيجية بالغة الأهمية ، فهو ، كما قلنا ، يملأ حَنِيَّة الاثنا عشرى ويلاصقها ، وفيه أو وراءه تمر القناة الصفراوية المشتركة والوريد البابى .

ثم إن هذه المنطقة الإستراتيجية ، قد ينشأ فيها السرطان من مصادر أخرى

متعددة : نهاية القناة الصفراوية المشتركة ، أو « قارورة فاتر » التي سبق أن وصفناها في فصل عن تشريح الكبد والجهاز المرارى ، أو الغشاء المخاطى فوق حلمة الاثنا عشرى وما حولها .

ولما كانت الصورة الإكلينيكية واحدة بصرف النظر عن نشأتها ، فإننا عادة نتعامل معها جميعاً تحت عنوان « سرطان رأس البنكرياس » ، وسيكون كلامنا فيما يلى بهذا المعنى .

سرطان رأس البنكرياس مرض خداع ، يندر أن يعلن عن وجوده في مرحلة مبكرة ، وأشهر أعراضه وعلاماته اليرقان ، وهو يرقان من النوع الانسدادي ، يبدأ مخاتلاً ويستمر ويزداد بلا هوادة ولا رجعة . الألم ليس دائماً من علاماته ، وإن حدث فهو إذن في قم المعدة ، وهو ألم مبهم ومُض ، وقد يُحس في وسط الظهر ، أو يزيد بعد تناول الطعام أو عند الاستلقاء ، وقد يربحه أن ينحني المريض ويجثو . أما اضطرابات الهضم ، كفقد الشهية ، والغثيان ، والقىء ، والإسهال الدهنى ، وفقد وزن الجسم ، فكلها شائعة . وأما النزف فهو نوعان : نزف مفاجئ وشديد يعلن عنه بالبراز الأسود ، ونزف بطيء ومقيم لا تنتبه إليه إلا بعد ظهور الأنيميا ، أو تحليل البراز بحثاً عن الدم المختفى . وبعض المرضى يظهر فيهم البوال السكرى لأول مرة إذا تأثرت وظيفة البنكرياس في إفراز الإنسولين .

الفحص الإكلينيكى يظهر الكبد متضخماً وغير مؤلم . أما تضخم المرارة وحسها كورم أملس غير مؤلم ، كروى الشكل أو أشبه بالكمثرى ، فله قيمة تشخيصية كبرى ، لأنه يدل على انسداد في القناة الصفراوية المشتركة ليس سببه حصيات مرارية (علامة « كورفوازييه ») ، ومن ثم تنتبه إلى ورم رأس البنكرياس كسبب لليرقان الانسدادي . أما ورم البنكرياس نفسه فيندر أن نحسّه بحس اليد .

والفحوص المساعدة كثيرة : التصوير بالموجات فوق الصوتية ، أو بأشعة الكمبيوتر المقطعية ، فحص المعدة والاثنا عشرى بالمنظار ، تلوين القنوات المرارية وقناة البنكرياس بالمنظار ، ثم هناك طبعًا التحاليل التقليدية كوظائف الكبد ونسبة السكر في الدم . أما الفحص الباثولوجى فيتوقف على العثور على خلايا سرطانية أو عينة نسيجية بواسطة المنظار إذا كان الورم مُتاحًا ، كما في حلقة الاثنا عشرى . وأما التقاط عينة من رأس البنكرياس أو جسمه بإبرة موجهة ، فيحتاج إلى مهارة خاصة ، وفي حالات موثبة ، خاصة إذا كان التفريق بين الورم وبين التهاب البنكرياس المزمّن متشابهًا .

هذا الورم يصيب الذكور أكثر من الإناث ، ومعظم مرضاه بعد سن الستين ، وهو آخذ في الانتشار ، إذ تزداد نسبة المعمرين بين الناس ويتغير التركيب الديموجرافى للسكان .

علاجه يندر أن يكون جَدْرِيًا وشافيًا ، فالمرض عادة مستفحل عند تشخيصه ، والمريض عادة كبير السن مُنهك القوى ، والاستئصال الكامل يتطلب إزالة رأس البنكرياس ومعه الاثنا عشرى إذا كان الورم محدودًا . وعادة نكتفى بالعلاج المُلطّف : فَكّ اليرقان الانسدادى بجراحة توصل بين المرارة والأمعاء ، أو غرس أنبوبة من البلاستيك في جوف القناة الصفراوية المسدودة عن طريق المنظار . والألم نخفّفه بالمسكّنات ، ولا نبالى إذا احتجنا إلى المورفين للألم الشديد المقيم .

متوسط الحياة بعد تشخيص المرض يُعدّ بالشهور . وأحيانًا نفاجأ بالمريض داخليًا إلى العيادة بعد ٥ سنوات من تشخيصه - هذا إذن خطأ منا في التشخيص ، فقد كان مريضًا بالتهاب البنكرياس المزمّن ، لا بالسرطان . وهو أمر ، كما قلنا ، متشابه ، ومعروف بين الأطباء - حتى كبارهم !

الباب الرابع
اليرقان

اليرقان

هو انصباغ الجسم باللون الأصفر ، سوائله وأنسجته ، ويظهر أكثر ما يظهر في الجلد ، والأغشية المخاطية ، وقرنية العين . سببه ارتفاع نسبة البليروبين (صبغ الصفراء) في الدم ، ويصبح واضحًا للعيان متى زادت نسبته على ٣٪ .

مصادره متعددة وأنواعه مختلفة ، لذا أفردنا الحديث عنه إلى فصل مستقل وأخير في نهاية الكتاب . وسيجد القارئ جوانب متعددة عن اليرقان في فصول الكتاب ، خاصة وصفه لدور الصفراء وصبغها (البليروبين) في فصل : «وظائف الكبد» ، وسنحاول الآن جمع شتات الموضوع في نسق متكامل .

(أ) أسباب اليرقان وأنواعه :

أسباب اليرقان وأنواعه الرئيسية ثلاثة (انظر الشكل) :

١ - تحلل الدم ، أى انحلال كريات الدم الحمراء ، كما في الأنيميات التحليلية . هنا يتحول الهيموجلوبين الطليق إلى بليروبين بكميات مفرطة ، يعجز الكبد عن ملاحقة استيعابها ، فترتفع نسبة البليروبين في الدم ، ويكون من النوع غير المقترن (غير المباشر) .

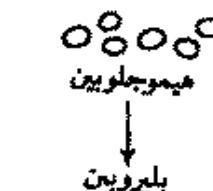
٢ - خلل في انتقال البليروبين ومعالجته خلال مروره في الخلايا الكبدية ، كما في اليرقان الخلقى أو العائلى (مرض « جلدت ») ، وأمراض الخلايا

الكبدية (التهابات الكبد الفيروسية والكيميائية والكحولية) ، وتليف الكبد .
وهنا يكون بليروبين الدم غير مقترن أو مقترنًا أو مزيجًا من الاثنين .

٣ - انسداد في خروج الصفراء ، إما وهي مازالت راكدة في قُنَيَات الكبد (كما في الآثار الجانبية للأدوية كالهرمونات الجنسية) ، وإما بعد خروجها من الكبد محبوسة في القنوات الصفراوية الكبرى (كما في الحصيات المرارية ، وأورام القنوات الصفراوية ، وسرطان رأس البنكرياس) . ويكون البليروبين في هذه الحالات مقترنًا (مباشرًا) .

(ب) الفحص والتشخيص :

معظم أسباب اليرقان وأنواعه وصفناها بالتفصيل في فصول الكتاب

المسعى	النوع	السبب	
قبل (فوق) كبدى	خلل	الأنيمات التحللية	
كبدى	خلل كبدى	مرض «جلبرت» . التهابات الكبد (فيروسات ، أدوية ، كحول) . تليف الكبد	
بعد (تحت) كبدى	داخل الكبد (ركود) انسدادى خارج الكبد (انحباس)	الآثار الجانبية للأدوية أورام القنوات الصفراوية الحصيات المرارية سرطان رأس البنكرياس	

شكل : أسباب اليرقان وأنواعه

المختلفة . يبقى أن نُجمل المعالم البارزة والعلامات المميزة لهذه الأسباب والأنواع في عرض شامل .

١ - تاريخ المرض وتاريخ المريض : سنه ، جنسه ، موطنه ، طبيعة عمله ، أسفاره وتنقلاته ، أمراضه السابقة والحالية والأمراض العائلية إن وُجدت ، طعامه وعاداته ، وهل يدمن الخمر أو المخدرات ؟ وهل يتعاطى أدوية معينة ؟ وهل أجريت له عمليات جراحية أو نُقل إليه دم ؟ وهل أصيب من قبل بالبلهارسيا ، أو الملاريا ، أو الحمى التيفودية ؟ ثم كيف بدأ اليرقان ، وكيف تطور ؟ هل بدأ مفاجئًا أو مخاتلاً ؟ هل سار متقطعًا أو متزايدًا بلا رجعة ؟ كل هذه الأسئلة بالغة الأهمية ومفيدة للتشخيص .

٢ - الفحص الإكلينيكي : يبدأ بالفحص الشامل العام للجسم . وزن الجسم ، وهل طرأ عليه نقص أو زيادة ملحوظة ؟ هل يشعر المريض بألم ؟ ما نوعه ، وما مكانه ، وماذا يزيد منه وماذا يخففه ؟ هل ذهنه واضح ، أو هو متلبّد ؟ هل يدها مرتعشتان ونفسه تئن كما في الغيوبة الكبدية ؟ هل بالجلد كدمات توحى بالنزف ، أو احمرار بالكفين وعناكب شريانية تدل على الفشل الكبدى ؟ هل المريض يشكو الحُكَاك (الهرش) وجلده ملء بالخدوش ؟ هذا إذن دليل على انسداد الصفراء من تراكم أملاحها . هل بالجلد قروح فوق قصبة الساق ، كما في الأنيميا التحللية ؟ هل بالرجلين أوديبا من تراكم الماء كما في تليف الكبد ؟ هل هناك تضخم بالشدين في الرجل ، أو ضمور في المرأة ؟ هل هناك تضخم بالغدة الدرقية ، أو بالعقد اللمفية ؟

عشرات من الأسئلة يمكن أن توجهنا إلى التشخيص الصحيح ، فالسؤال الجيد ، كما قالوا ، نصف الإجابة .

فإذا انتقلنا إلى فحص البطن كان علينا أن نصِف تفصيلا حالة الكبد ،

والمرارة ، والطحال ، وجدار البطن ، ومحتوياته : هل به استسقاء ؟ هل بداخله أورام محسوسة ؟ وما نوعها ؟ ولن نُثقل على القارئ بكل هذه التفاصيل ، فمكانها مبثوثة في فصول الكتاب يمكن الرجوع إليها ، وعلينا طوال الفحص أن نذكر جيدًا الإطار الذي نتحرك فيه ونرجع إليه : هل نحن أمام يرقان تحلّي ، أو خلوى كبدي ، أو انسدادى ؟ وإذا كان انسداديًا ، فهل هو ركود داخل الكبد ، أو انحباس خارجه ؟

علينا أيضًا أن نعرف أن اليرقان ليس دائمًا من النوع البحت ، بل كثيرًا ما يختلط . فالأنيميا التحليلية قد يصاحبها بعض من خلل الخلايا الكبدية ، والالتهاب الكبدي أو تليف الكبد قد يؤدي إلى درجة من تحلل الدم أو من ركود الصفراء ، وانسداد الجهاز المرارى قد تنعكس آثاره على أداء الخلايا الكبدية . ونفس هذا التداخل بين مستويات اليرقان وأسبابه سنرى آثاره في تحاليل وظائف الكبد .

٣ - الفحص المعملى يتدرج من البسيط إلى المعقد ، فمثلا فحص البول والبراز يفيد في تشخيص نوع اليرقان ، لأن اختفاء مادة اليوروبيلينوجين من البول يوحي بالانسداد الكامل في القناة الصفراوية المشتركة ، بينما كثرته في غياب البليروبين يشير إلى يرقان تحلّي . واليرقان الانسدادى علامته ضياع البليروبين من البراز ، فهو كالح اللون فاتح ، والعكس في لون البول ، فهو غامق يتدرج لونه من لون « الحلبّة » إلى « الشاي » إلى « التمر هندی » إلى « العرقسوس » أو « الكوكا كولا » . ووجود دم مختفٍ في البراز يشير احتمال وجود ورم في حلمة الاثنا عشرى ورأس البنكرياس ، أو سرطان في القناة الهضمية ، أو دوال بالمرى .

أما وظائف الكبد ، وأهمها نسبة البليروبين في الدم ونوعه (مباشر أو غير مباشر) ، ونسبة الفوسفاتاز القلوى ، وإنزيمات الترانساميناز ، ومكونات

بروتين البلازما من البومين وجلوبيولينات ، فكلها بالغة الأهمية في تشخيص اليرقان ، وتفصيلها ودلالاتها مشروحة في الفصل الخاص بها . وعلى سبيل المثال نتوقع ارتفاعاً ملحوظاً في البليروبين المباشر وفي القوسفاتاز القلوي ، إذا كان اليرقان انسدادياً ، ونتوقع ارتفاعاً ملحوظاً في إنزيمات الترانساميناز ، إذا كان اليرقان خلوياً كبدياً ، أما اليرقان التحلّي فيعتمد أساساً على صورة الدم وتحاليل الدم الأخرى التي تبين الأنيميا التحللية ونوعها . ولاحظ أيضاً أن اليرقان قد تتداخل أنواعه ومستوياته ، فتبدو وظائف الكبد مزيجاً من كل نوع ، إلا أن لكل مستوى وظيفته المميزة التي تبرز بوضوح بين سائر الوظائف .

ثم هناك أيضاً التحاليل الخاصة بكل مرض معين : الفيروسات الكبدية لها مؤشراتهما ، وسرطان الكبد الأثلى له تحليل الألفا فيتوبروتين ، وتليف الكبد المرارى الأثلى له الفحوص المناعية المعروفة ، وهلم جرا . . .

٤ - الفحص التصويرى : من كل وسائل التصوير المتاحة لتشخيص مريض اليرقان ، يبدو لنا الفحص بالموجات فوق الصوتية أهمها وأولها ، ذلك لبساطته ، وسهولته ، وقلة تكاليفه ، وبعده عن المخاطر ؛ ثم إنه كثر من المعلومات المفيدة في تشخيص سبب اليرقان ونوعه ومستواه . بفضلته يميز بين الانسدادي وغير الانسدادي ؛ والمسدود يتحدد بين ما في داخل الكبد وما هو خارجه . الحصيات المرارية تظهر بوضوح ، وتليف الكبد يسهل تمييزه ، وأورام الكبد وأكياسه ، وتضخم العقد اللمفية ، وعشرات أخرى من المعلومات - كلها طوع أمرنا . ولعل عيبه الأساسى هو البنكرياس وسرطانه ، لأن الغازات في جوف الأمعاء كثيراً ما تحجب عنه رؤيته ، وعندئذ نلجأ إلى أشعة الكمبيوتر المقطعية في مثل هذه الحالات .

٥ - الفحص المنظارى : فحص الجزء العلوى من القناة الهضمية بالمنظار

يكشف عن الكثير في مريض اليرقان : دوالي المرىء في تليف الكبد ؛ أورام المعدة ؛ ورم حلمة الاثنا عشرى ؛ سرطان رأس البنكرياس قد يضغط على جدار المعدة والاثنا عشرى وتجويفهما فينبهنا إلى وجوده . والمنظار أيضًا وسيلة لجمع الخلايا السرطانية وأخذ عينة من أنسجة الأورام المشتبهة ؛ وأهم من ذلك تلوين قناة البنكرياس والجهاز المرارى - خارج الكبد وداخله - وتحديد مكان الانسداد وسببه إن وُجد . وأحيانًا نلجأ إلى تلوين القنوات المرارية عن طريق إبرة ندفعها إلى جسم الكبد باختراق الجلد .

٦ - الفحص الباثولوجى : وسيلة مثلى للتأكد من طبيعة المرض ، خاصة إذا كان السبب ورمًا ، ولكنه ليس دائمًا متاحًا ولا مأمون العواقب ، لأننا نتردد كثيرًا في استعمال إبرة العينة أو مشرط الجراح في مريض اليرقان مخافة النزف ، فإذا كان لا مفرًا منه للتشخيص ، وجب علينا أن نصحح نقص البروثرومين بحقن فيتامين ك_١ ، ويأعداد دم مناسب للمريض إذا تعرض للنزف .

(ج) العلاج :

علاج اليرقان يتوقف على سببه . الأنيميا التحليلية لها نقل الدم ، واستئصال الطحال في حالات فرط الطحالية ، وتجنب الآثار الجانبية لبعض الأدوية التى تزيد من شدة الأنيميا . الالتهاب الكبدى ، الحاد والمزمن ، أسبابه معروفة وعلاجه ذكرناه من قبل (الامتناع عن الكحول للمدمنين ، مضادات الفيروسات لالتهابات الكبد الفيروسية المزمنة ، الكورتيزون للالتهاب المناعى ، إلخ . . .) . اليرقان الانسدادى يختلف علاجه باختلاف سببه ، فللحصيات المرارية المنظار والمشرط ، وللأورام وتضيق القنوات غرس أنبوب يفك احتباس اليرقان ، أو توصيل المرارة بالأمعاء ، ونقف كثيرًا عاجزين عن الاستئصال الجذرى .

وفي كل الحالات نحتاج إلى العلاج الملطف : غذاء قليل الدهون ولكنه واف باحتياجات الجسم ؛ تعويض الفيتامينات الناقصة (أ ، د ، هـ) عن طريق الحقن ، وكذلك فيتامين ك لتصحيح سيولة الدم ؛ دواء «كولستيرامين» لعلاج الحكة (الهرش) في حالات اليرقان الانسدادي ؛ المسكنات لآلم السرطان الذي لا استئصال له .

* * *

من كل أعراض الكبد و « أخواته » (المرارة ، القنوات المرارية ، البنكرياس) يظل اليرقان علامته المميزة والرئيسية ، ويظل تشخيص سببه ونوعه التحدي الحقيقي للطبيب الحاذق . فأسباب اليرقان متعددة ومتنوعة ، وفحوصه عشرات وعشرات . لا عجب إذا لجأنا ، في السنوات الأخيرة ، إلى الاستعانة بالكمبيوتر لتشخيص اليرقان ، فقد قامت به مجموعة في وحدة الكبد بمستشفى « كنجزكولدج » بلندن (١) ، وعاصرت أنا جابتاً منها ، وكان الهدف هو تشخيص سبب اليرقان من بين ١١ مرضاً محتملاً ، وذلك خلال ٤٨ ساعة من دخول المريض إلى المستشفى . أجرى البحث على ٣٠٩ مرضى ، واستعان الكمبيوتر بـ ١٠٢ علامة مستقاة من تاريخ المرض ، ومن الفحص الإكلينيكي ، ومن التحاليل المعملية . نجح الكمبيوتر في التشخيص الصحيح في ٨٩٪ من الحالات ، ثم طُلب إليه أن يختار بين العلاج الباطني والعلاج الجراحي فكان قراره مصيباً في ٩٤٪ من الحالات ، وقورنت نتائج الكمبيوتر بتتائج طبيين خبيرين في أمراض الكبد ، فكانت النتائج متطابقة .

إن الاعتماد على الكمبيوتر في التشخيص ، وفي اتخاذ القرار ، آخذ في الانتشار ، وإن غداً لناظره قريب .

(١) انظر « المجلة الطبية البريطانية . B.M.J. » ، جزء (١) صفحة ٥٣٠ سنة ١٩٧٣ .

صدر للمؤلف :

« الجهاز الهضمي - أمراضه والوقاية منها »

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر

رقم الأيبياع : ٩٢/١٠١٩٤

I.S.B.N.977-09-0170-9

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٢٩٢٤٥٧٨ - فاكس : ٢٩٢٤٨١٤

بيروت : ص ب ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣



أ.د. ابوشادى الروبى

اشتغل بطب الجهاز الهضمى والكبد باحثاً ومعلماً وممارساً زهاء نصف قرن ، أدخل به كثيراً من الوسائل والمفاهيم الحديثة ، ونشر أكثر من ١٠٠ بحث علمى عالمى ، وتخرج على يديه مئات الأساتذة والأخصائيين ، وشغل منصب رئيس مجلس أقسام الأمراض الباطنة الخاصة بطب قصر العينى .

والدكتور الروبى عضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وبالمجمع العلمى المصرى ، وبأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، وبالمجالس القومية المتخصصة ، وبالمجلس الأعلى للثقافة ، ومستشار لوزارة الصحة ، وله عدد كبير من المؤلفات العلمية ، وهو حاصل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الطبية وعلى وسام العلوم والفسون من الطبقة الأولى .

الكبد المرارة - البنكرياس

الكبد وأراضه هو بلا شك حديث الناس الآن وشغلهم الشاغل بعد أن كشف العلم الحديث الكثير من أسرارها ، وأتاح الطب العصرى وسائل جديدة للتشخيص والعلاج لم تكن معروفة . وأغدقت وسائل الإعلام على الجمهور بالمعلومات المثيرة والأخبار المقلقة ، حتى أصبح الناس من خوف المرض فى مرض .

هذا الكتاب يحاول أن يشرح الأمر شرحاً واضحاً وموضوعياً ، التزام فيه بالصدق دون تهويل أو تهوين ، واجتهاد فى أسلوبه أن يتجنب الحشو والتعقيد ، وخطابه موجه أساساً إلى القارئ الذكى ، وإن كان طالب الطب والممارس قد يجد فيه أيضاً ما ينفعه .

To: www.al-mostafa.com